
هنيئاً لمن عرفه
أسماء الجمال
خالد أبو شادي
د. خالد أبو شادي

طيبة
للنشر والتوزيع

اسم الكتاب: هنيئًا لمن عرف ربه

(أسماء الجمال)

التأليف: د. خالد أبو شادي

موضوع الكتاب: إيمانيات

عدد الصفحات: 290 صفحة

عدد الملازم: 11 ملزمة

مقاس الكتاب: 17 × 24

عدد الطبعات: الطبعة الأولى

الإيداع القانوني: ؟؟؟؟؟؟ /2015

الصف التصويري: آرت للتجهيزات الفنية



tibaadv@yahoo.com

ت: 01012355714 - 01152806533







سباحة في بحر المعارف الإلهية الذي لا ساحل له..

واستكشاف أسماء الله وصفاته بمقدار ما أذِن به..

وملأ خزائن اليقين من روافد معرفة رب العالمين..

وبناء قلعة الثبات بإبصار القلب لأنوار الأسماء والصفات..

ومتعة روحية هائلة بأجمل المعارف: معرفة الله، وألذ ألوان العلوم: العلم به.

والهدف:

بناء أسوار عالية حول أرواح المؤمنين الغالية، فلا تنال منهم هموم ولا ظنون ولا سهام الشهوات الفانية..

وذلك في طرح روحي، وبرنامج واقعي، ووِرْد محاسبة عملي، وصور فنية معبِّرة، وملخصات شافية، وأدعية مأثورة جامعة..

وهو خير ما أتقرَّب به لرب العالمين، وأسأله أن يكون شفيعا لي يوم الدين..

فهنيئا لك إن وقع بين يديك..

وجعله الله شاهدا لك لا عليك.

ومباركٌ عليك هذه المعرفة فإنها عنوان الشفاء..

وأبشِر أن قرأت بقلبٍ ووعيت بعقلٍ بعظيم الإقبال على الله ورائع الثواب.

قال **الحسين بن أحمد الصفّار**:

سُئِل **الشِّبلي** وأنا حاضر:

أيُّ شيءٍ أعجَب؟!

قال:

قلبٌ عرَف ربه، ثم عصاه[1].

(١) صفة الصفوة ١/ ٥٤٠.

المقدِّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١]

أما بعد..

إن من أعظم أبواب زيادة الإيمان ورعاية غرس اليقين: فهم الأسماء الحسنى، وهي أمنية قديمة لي كنت أرجو الله أن ييسِّرها لي ويمنحني شرفها منذ زمن، وكنت وما زلت أنظر إليها على أنها كنزٌ مغمور يحتاج إلى البحث والتنقيب، وتسليط الأضواء، وربطه بالواقع والتاريخ، وقد أكرمني ربي وأحسن بي إذ أعانني على إخراج هذا الكتاب.

وما يحويه كتابي عن أسماء الله الحسنى ليس إلا قطرة في بحر المعرفة، وذرة في ملكوت السموات والأرض، فإنه لا إحاطة لأحد بالله مهما علا قدره، ولا أحدٌ من عباده يقدر على إحصاء الثَّناء عليه، أو وصفه كما ينبغي له، بل هو كما أثنى على نفسه كما قال ﷺ: «**لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك**».

ومع ذلك فقد أتاح لنا الله سبحانه بعض العلم بقدر ما تتحمله عقولنا المحدودة من خلال ما سنعرض له من أسمائه وصفاته، ونتتبَّع مظاهرها وآثارها في كتابه وكونه ومخلوقاته، وبقدر تتبع هذه الآثار وربطها بالأسماء والصفات نجني بعض ثمار المعرفة.

وقد سمَّى الله أسماءه بالحسنى، ومعنى (الحُسنى): أي بالِغَة الحُسْن بلا حدٍّ أو قيد.

قال العلّامة **الألوسي**:

«الحُسنى أنيث الأحسن، أفعل تفضيل، ومعنى ذلك أنها أحسن الأسماء وأجلُّها لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها»[١].

---

(١) روح المعاني ٩/ ١٢٠.

والناس يقولون: (من آثارهم تعرفونهم)، فعندما يوصَف أحدٌ بأنه مُحسِن، فأنت لا تصدِّق هذا إلا إن رأيتَ آثار إحسانه، وكلما تتابعت عليك الآثار وشاهدتها بعينك ازددت يقينًا بصحة هذا الوصف.

ولله المثل الأعلى..

ألا ما أتعس من ضاع عمره وما عرف فيه ربَّه

ولو عرفه لأحبَّه، ولو أحبَّه لما آثر عليه غيره.

واقعٌ مخجل!

أن تجد كثيرًا من الناس يعرفون عن كل شيء شيئًا، فإذا تعلق الأمر بالله ومعرفته فوجئت منهم بِواقِع مخجل!

أن تجد الرجل يتحدث عدة لغات أجنبية بطلاقة، فإذا جاء إلى تلاوة آية من كتاب الله فكأنه أجنبي!

أن تجده عند الحديث في السياسة تجده محلِّلاً سياسيًّا بارعًا، وعند الحديث عن كرة القدم أو سوق العمل أو المشاكل الزوجية.. الفن.. الموضة.. تجد مُلِمًّا بالآراء المختلفة والمدارس المتباينة، ويُبهِرُك بشدة إلمامه بالموضوع وتأثره به.

لكنك لو طلبت منه أن يتكلم عن ربه عدة دقائق، فلربما لا يستطيع إكمال خمس دقائق! ولو تكلم لكان ذلك بقلب بارد وعبارة متكلَّفة، فلا يؤثِّر كلامه في من حوله؛ لأن (ما خرج من القلب وصل إلى القلب، وما خرج من اللسان لم يجاوِز الآذان).

لكن لماذا صرنا إلى هذا الواقع؟!

لأن هذا العبد اهتم وأحب وأقبل وعايش ما أحب، وبقي أن يفعل الشيء ذاته مع ربه.

أن يعرف الله، فيفهم عنه.

أن يرى آثار رحمة الله ولطفه فيحِبَّه، وآثار قهره وقوته فيهابه.

وتأتي أهمية هذا الموضوع في ظل انتشار الجهالة وموجات الإلحاد المنهجة، والتي أصبحت ترعاها وتتبناها منظمات وهيئات ودول في حملات متتابعة تستهدف الأجيال الجديدة والشباب والناشئة، ويساعدها في هذا غربة الدين وأهله.

وهذا الكتاب ما هو سوى خطوةٍ في خضم هذا المضمار، وهو جهد المقِلِّ، وقد سبقني بالفضل فيه الكثيرون، وأجادوا وبرعوا، وكان دوري في هذا الكتاب أن اقتفيت آثارهم، وجمعتها، وعضَّدتُها بوصايا نبوية ومواقف عملية، فكان على النحو التالي:

لم أعرض لجميع الأسماء الحسنى واكتفيت منها بثلاثة وثلاثين اسمًا؛ فضلا عن اسم الله الأعظم، وذلك لعدة أسباب:

- أردت لهذا الكتاب أن يكون حجمه في متناول القارئ العادي، فلا يكون كبر حجمه سببًا في تكاسل الناس عن اقتنائه وقراءته، ولهذا جعلته في جزءين.
- بعض الأسماء تشتمل على معاني متقاربة، الرقيب والشهيد مثلاً، أو الرحمن والرحيم، أو العلي والأعلى والمتعال، ومثيلاتها من الأسماء مما يجعل في عرض اسم واحد الكفاية، ويبلِّغ المقصود.
- أني دائمًا ما أحرص على ربط الأسماء بالأهداف المطلوبة من العبد، والأثر العملي المترتب عليها، وهذه في بعض الأسماء قريبة من بعض.

حرصت على الابتعاد عن الأسماء المختلف عليها بين العلماء مثل: اسم المنتقم أو النافع الضار أو الحنان؛ لأن بعضهم اعتبرها من الأسماء الحسنى، وآخرون لم يعدوها منها.

ابتعدت عن كل ما يقطع اللذة الروحية للقارئ من الخلافات العقَدِية والكلامية بين العلماء، فليس هذا كتابًا علميًّا لطلبة العلم الذين ينشدون استقصاء كل ما كُتِب من أقوال وآراء حول الأسماء الحسنى، فقد كتب علماء أجِلاء في هذا الباب وأجادوا، وسدّوا هذه الثغرة، وإنما كان كتابي عامًّا مبسَّطًا لكل من أراد أن يعرف عن الله وصفاته، وأن يظهر أثر هذه المعرفة على حاله ومقاله.

حرصت على تناول الجانب اللغوي للأسماء الحسنى بصورة مختصرة، فلم أتعمق فيه ومشتقاته إلا بمقدار ما يوصل المعنى اللغوي للقارئ، ولا يقطع استرساله مع هدف الكتاب بمسائل لغوية عويصة تفيد المتعمِّقين والباحثين.

حرصت على إضافة صور معبرة لكل اسم من الأسماء الحسنى؛ إبرازًا للمعنى عن طريق الناحية الجمالية، وتشويقًا للقارئ، وقطعًا لرتابة القراءة، وأعانني على ذلك إخوة لي من حيث التصميم والتنفيذ، وهو ما أراه أثرى التجربة بشكل رائع، فجزاهم الله خير الجزاء.

حرصت على تقسيم الأسماء إلى مجموعتين ذواتَيْ هدفين متباينين:

أسماء الجلال: وهي التي تبث المهابة في القلب، ومسلكها الترهيب.

وأسماء الجمال: وهي التي تبُثُّ الرجاء وحسن الظن بالله، وهي فصل من فصول مدرسة الترغيب.

وذلك سيرًا على التوازن المنشود عند المؤمن، وأن خوف المؤمن ورجاءه لو وُزِنا لاعتدلا.

حرصت على تقسيم ثابت لكل اسم من الأسماء يساعد على تناول الاسم بشكل ميسَّر واضح، كالآتي:

أولاً: معنى الاسم:

من حيث اللغة مع أقوال العلماء فيه.

ثانيًا: فادعوه بها عبادة وعملاً:

وهو الواجب العملي المترتب على إيمان العبد بهذا الاسم؛ وهذا لأن الدعاء قول وعمل، وهذا من معاني إحصاء الأسماء التي تورث دخول الجنة، فإن العمل بها نوعٌ من الإحصاء.

ثالثًا: فادعوه بها دعاء وطلبًا:

وهي أدعية خاصة بكل اسم، ولكل اسم ما يناسبه من الأدعية، ومن هنا كان لكل دعاء مذاق خاص واستعمال مختلف بحسب حال العبد واحتياجه، وحرِصت على أن أستشهِد بالمأثور عن النبي ﷺ إن وُجِد، ففيه أعظم البرَكات، وهو أوْلى الدعوات، فإن لم أجد فمن أدعية السلف الصالح، وإلا جعلته دعاءً من عندي يعين القلب على التوسل إلى الله بهذا الاسم، ويفتح لنا أبواب خيره، ويفيض علينا من أنواره، ولك أن تنسج على نفس المنوال، فتدعو بما يفيض الله عليك من بركات هذا الاسم.

رابعًا: حاسب نفسك تعرف ربَّك:

وهو بمثابة ورد محاسبة ختامي في نهاية كل اسم تقيِّم به نفسك، ومن أي الفرق الثلاثة أنت: السابق بالخيرات أم المقتصد أم الظالم لنفسه.

وثمرات هذا الكتاب وبركاته التي أحصيتها، وأدعو الله لكل قارئ من أعماق قلبي أن يجنيها مع آخر صفحة من صفحات الكتاب:

اثنا عشر خيرًا..

١- العثور على كنز المعرفة

قال ابن القيم:

«وكلُّ من عرف الله أحبَّه، وأخلص العبادة له ولا بد، ولم يُؤثِر عليه شيئًا من المحبوبات، فمن آثَر عليه شيئًا من المحبوبات فقلبه مريض»[١].

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٦٨.

الطريق إلى محبة الله يمر عبر معرفته، ومعرفته لا تكون إلا بمعرفة أسمائه وصفاته.

وما أكثر مرضى اليوم!

وما أقلَّ من عرف ربه؟!

ومعرفة الله نوعان:

❋ معرفة عامة، وهي معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس كلهم: البر والفاجر، والمطيع والعاصي.

❋ ومعرفة خاصة توجب الحياء من الله، ومحبته، وتعلق القلب به، والشوق إلى لقائه والإنابة إليه، والأنس به، والفرار من الخلق إليه.

وهذه المعرفة هي التي نستهدفها ونسعى إليها عبر هذا الكتاب؛ لأنها تتناسب مع مقدار الإيمان، فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازداد إيمانه، وكلما نقصت نقص، وأقرب طريق يوصل لهذه المعرفة.. تدبر أسماء الله وصفاته.

قال **ابن القيم** في أهمية معرفة الله:

«وليست حاجة الأرواح قطُّ إلى شيءٍ أعظمَ منها إلى معرفة باريها وفاطرها، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلَّما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلَّما كان لها أنكر كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد، والله يُنزِل العبد من نفسه حيث يُنزله العبدُ من نفسه.

فالسير إلى الله من طريق الأَسماءِ والصفات شأْنه عَجَب، وفتحه عجَب، صاحبه قد سيقت له السعادة، وهو مستلقٍ على فراشه غير تعب ولا مكدود، ولا مشتَّتٍ عن وطنه، ولا مُشرَّدٍ عن سكنه»[1].

لقد رجَف المنبر برسول الله ﷺ حين تحدَّث عن الملك حتى قال الصحابة: لَيَخِرَّن به!

وإن قلب المؤمن وحياته وتصوراته ونظراته للأمور تحتاج هذه الهزَّة العنيفة لتنقلب رأسًا على عقب أو بالأحرى تعتدل، وذلك حين يعرف الله حق المعرفة، فيزن الأمور بأوزانها ويراها على حقيقتها.

٢- طريق الدخول على الله ونيل محبته

كلُّ اسم من أسماء الله الحسنى ما هو إلا باب من أبواب الدخول على الله، فمنا من يدخل على الله من باب الرحمة، ومنا من باب المغفرة، أو من باب اللطف، والدخول عليه سبيل القرب منه، والقرب أول المحبة.

قال **ابن القيم**:

«ومن وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه، وأدخلته على ربه، وأدنته منه، وقرَّبته من

(١) طريق الهجرتين ٣٩٣، ٣٩٤.

رحمته، وصيَّرته محبوبًا، فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء، كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حتى يحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال، وِتْرٌ يحب أهل الوتر»[1].

٣- الشوق

من عرف الله اشتاق إليه، وإذا كانت المعرفة بحرًا لا ساحل له، فشوق العارف كذلك لا حدَّ له، وهذا الشوق سأله رسول الله ﷺ من ربه، فقال:

«والشوق إلى لقائك».

لكن، ما فائدة الشوق؟!

ولم دعا النبي ﷺ بالشوق إلى لقاء الله؟!

الفائدة:

أنه كلما زاد الشوق إلى المحبوب كانت اللذة بالقرب منه أعظم، والسعي إلى مرضاته أقوى.

ومعلومٌ أن الشوق تابعٌ لمعرفة الله والعلم به، فكلما كان العلم به أتم كانت محبته والشوق إليه أكمل، فمن كان أعرف بأسماء الله وصفاته كان له أحبَّ، وكانت لذته بالقرب منه والوصول إليه ومجالسته وسماع كلامه أتمَّ.

٤- الفرح بالله.. فلا حزن

من عرف الله لم يعرف الحزن إلى قلبه سبيلاً، فلا حزن مع الله أبدًا؛ ولذا قال نبينا ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فدلَّ على أنه لا حزن مع الله، وأن من كان الله معه، فليس معه غير الفرح به.

وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته حظه من الله، أما من عرف الله وحصَّل رضاه، فعلى أي شيء يحزن؟! ومن فاته الله فبأي شيء يفرح؟!

وفرح المؤمن بربه أعظم من فرح أي أحد بما يُفرَح به من حبيب، أو حياة، أو مال، أو سلطان، أو نعمة، فيفرح إذا حزن الناس، وينعم إذا شَقَوْا، ويناله بعض حال أهل الجنة الذين لقّاهم ربهم نضرةً وسرورًا.

وهو ما رآه **ابن القيم** في شيخه.. شيخ الإسلام **ابن تيمية**، فقد رآه في المنام، وقال عن ذلك:

«وكأني ذكرت له شيئًا من أعمال القلب. وأخذت في تعظيمه ومنفعته -لا أذكره الآن- فقال: أما أنا،

(١) الجواب الكافي ١/ ٦٧

فطريقتي: الفرح بالله، والسرور به، أو نحْوُ هذا من العبارة.

وهكذا كانت حاله في الحياة، يبدو ذلك على ظاهره، وينادي به عليه حاله»[1].

وهذا الفرح إنما هو ثمرة معرفة الله عز وجل، وإحصاء أسمائه وصفاته.

٥- إحصاؤها سبب دخول الجنة

روى **البخاري** و**مسلم** عن **أبي هريرة** رضي الله عنه أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«إنَّ لله تسعة وتسعين اسْمًا، مائة إِلَّا واحدًا مَنْ أحصاها دَخَلَ الجنة».

ولنا هنا وقفتان:

الوقفة الأولى: معنى الإحصاء

وأشمل وأصوب ما قيل هنا هو ما ذكره **ابن القيِّم** في بدائع الفوائد، وهو أنَّ الإحصاء مراتب:

«المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾، وهو مرتبتان:

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة.

والثاني: دعاء طلب ومسألة.

فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يُسأل إلا بها»[2].

قال **ابن حجر** في الفتح:

«وقال **الأصيلي**: ليس المراد بالإحصاء عدُّها فقط، لأنه قد يعُدُّها الفاجر، وإنما المراد العمل بها، وقال **أبو نعيم الاصبهاني**: المذكور في الحديث ليس هو التعداد، وإنما هو العمل، والتعقل بمعاني الأسماء والإيمان بها»[3].

ورأى **ابن القيم** أن عبارة الدعاء أوْلى من عبارة التخلق بأسماء الله، فإنها ليست عبارة سديدة، وأما الدعاء فهو لفظ القرآن.

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٧٤.
(٢) مدارج السالكين ٣/ ١٨.
(٣) فتح الباري ١١/ ٢٢٦.

ومن دعاء العبادة الذي أمرنا الله به أن يحب المحبَّ أن يتَّصف بصفات المحبوب، كما أنَّ المحبوب يحبُّ أن يتصف مِحبُّه بصفاته، وإنك لتدعو الله فتقول: «اللهم إِنَّك عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْو فاعف عني»، وتقرأ في الحديث: «إن الله جَميلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ»، وقوله ﷺ: «إن الله طيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا».

الوقفة الثانية: هل أسماؤه تعالى محصورة؟

ليس في الحديث السابق حصرٌ لأسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له غير تسعة وتسعين اسمًا، وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد هو الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ويؤيد هذا قوله ﷺ في حديث **ابن مسعود**:

«أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك».

٦- الخوف من الله

من عرف الله حق المعرفة خافه، ومن لم يعرفه لم يخفْ منه، ومن كان بالله أعرف كان له أخوف، فخشية الله مقرونة بمعرفته، وعلى قدر المعرفة تكون الخشية، ومن هنا حصر الله خشيته في العلماء، فقال:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

وذلك لمعرفتهم بالله، فمن رأى قدرة الله في آياته وخلقه خافه وهابَه، وإن التعرف إلى الله من خلال أسمائه هو صِنو التعرف عليه من خلال أفعاله.. كلاهما مُؤَدٍّ إلى خوف الله ومهابته.

٧- قوة الرجاء

قوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته..

وإن التأمل في صفات الجمال والبر والإحسان يدهِش العقول ويأسر القلوب، فيتغلب العبد على روح اليأس والقنوط التي تسللت إلى القلوب بكثرة ما أحاط بها من الفتن، وقلة المعين، وغربة الصالحين، وتسلط الشياطين، وغلبة الشهوات، وانتشار المنكرات، وتواري القدوات، وظهور الرُّوَيْبضات، فيأتيك الرجاء -المنبثق من معرفة الله وأسمائه وصفاته- كطوق نجاة لروح إيمانك.

٨- عدم سوء الظن بالله

قليلٌ من الناس من يحسن الظن بربه، وأكثر الناس سيء الظن بالله، وإن أهم أسباب حسن الظن بالله معرفته بأسمائه وصفاته.

قال ابن القيم:

«وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفي ما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته»[1].

٩- أعظم أعمال القلوب

أعمال القلوب تفْضُلُ أعمال الجوارح، ولعل ذرة من أعمال القلوب تعدل أمثال الجبال من أعمال الجوارح، وأكثر الناس اليوم همُّه كثرة التعبد الظاهري، لكن الصفوة القليلة منهم تشغلها أعمال القلوب.

همُّ الصالحين اليوم كثرة الختمات، والمتابعة بين العمرة والحج، والركعات، والصدقات، لكن ما أثر انهمار هذه الأعمال (الكثيرة) على أرض القلوب (المريضة)؟!

هل قرَّبت صاحبها من الله؟!

هل زادت من خشيته؟!

هل جعلته أتقى لربه،

وأبعد عن محارمه،

وأقرب لمحابه؟!

قليلٌ من العُبّاد من يصل..

لماذا؟

لأن هناك عباداتٍ قلبية خفية لم ينتبه إليها أكثر الناس.

وعلى رأس هذه العبادات القلبية: تدبر أسماء الله وصفاته.

لمح هذا شيخ الإسلام **ابن تيمية**، فقال لافتًا النظر لعبادات قلبية غالية، لكنها منسية:

«وكثير من الناس لا يستحضر عند التوبة إلا بعض المتصفات بالفاحشة أو مقدماتها، أو بعض الظلم باللسان أو اليد، وقد يكون ما تركه من المأمور -الذي يجب لله عليه في باطنه وظاهره من شعب الإيمان وحقائقه- أعظم ضررًا عليه مما فعله من بعض الفواحش.

فإن ما أمر الله به من حقائق الإيمان التي بها يصير العبد من المؤمنين حقًّا أعظمَ نفعًا من ترك بعض الذنوب الظاهرة، كحب الله ورسوله، فإن هذا أعظم الحسنات الفعلية»[2].

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٢٠٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٢٩.

فمن أجلِّ أعمال القلوب وأعظمها معرفة أسماء الله وصفاته.

قال العز بن عبد السلام:

«معرفة أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا هي أفضل الأعمال شرفًا وثمرًا»[١].

هي كنز ثمين غفل الناس عنه، ففاتتهم ثمرته وغنيمته.

١٠- سكة المحبة

لا تهون التكاليف إلا بالمحبة، ولا تحلو المشاق وتُستلذُّ إلا بالحب.

قال ابن القيم:

«فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبَّه لا محالة»[٢].

بل إن من أعظم أسباب السقوط الإيماني أو الانتكاسة الإيمانية ضعف محبة الله، أو تقديم محبة غير الله على محبة الله، وفي المقابل.. فإن أهم أسباب زيادة هذه المحبة التعرف على أسماء الله وصفاته.

١١- لكل اسم مذاق

وليست الأسماء لونًا واحدًا، بل لكل اسم منها أثر غير الآخر، ومذاق في القلب يميِّزه عن غيره، ويأخذ بيد العبد في درب من دروب العبودية لا يشبه الآخر، فتجد مثلاً:

- أسماء العظمة والكبرياء والجلال.. تورث الخوف.
- أسماء الجمال والبر والإحسان.. تورث الرجاء.
- أسماء العز والحكمة والقدرة.. تورث الخضوع والانكسار.
- أسماء المراقبة والمشاهدة والسمع والبصر.. تورث مراقبة الله في الحركات والسَّكَنات والنيات.
- أسماء الغنى والكرم.. تورث الافتقار والاضطرار.

١٢- صلاح الأخلاق

ليست ثمرة الأسماء في تقوية الصلة بالله دون الخلق، بل أثرها إن لم يظهر في تعامل العبد مع الخلق فما عرف ربه.

- كيف يتكبر على الخلق ويستعظم نفسه من عرَفَ اسم الله المتكبر؟!

(١) شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام ص ١٨.
(٢) مدارج السالكين ٣/ ١٨.

- كيف يكون جبارًا في الأرض من تعرَّف على اسم الجبار؟!
- كيف لا يغفر زلات الخلق الغارق في مغفرة الغفور؟!
- كيف لا يشكر أدنى إحسان مَن تمتَّع بعطاء المحسن سبحانه؟!
- كيف يخضع أو يذل لبشر من آمن بعِزَّة الله وغلبته وقوَّته، فعلم أنَّ عزَّته من عزَّة الله.

وتبقى لي كلمة قبل بدء تنزهك في ثنايا الكتاب:

كلُّ معرفتنا بالله هي محض فضلٍ من الله علينا، فهو الذي أرشدنا إلى كل خير، وعصمنا من كل شر، «فما عُرِف الله إلا بالله، ولا دَلَّ على الله إلا الله، ولا أوصل إلى الله إلا الله، فهو الدالُّ على نفسه بما نصَّبه من الأدلة»[1].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفتح بهذا الكتاب قلوبًا غلفًا عن معرفة ربها، وأعينًا عميًا عن رؤية آلائه، وآذانًا صمًا عن سماع أوامره وآياته.



(١) مدارج السالكين ٣/ ٢٠٢.



تعرَّض لرَحَماته

(الرحمن): اسم مشتق من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمة في اللغة هي الرقة والتَّعَطُّف والشفقة، وتراحم القوم أي رحم بعضهم بعضًا والرحم القرابة، و((رحمن)) أشد مبالغة من ((رحيم)).



شئ


الرحمن
تعرَّض لرَحَماته
معنى الرحمن
خصائص رحمته
• رحمته سبقت غضبه.
• يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه.
• رحمة تتجاوز الأجيال.
• رحمة واسعة لا تخطر ببال ولا يحيط بها خيال.
• رحمة غير مقتصرة على مكان دون آخر.
من صور رحمته
• آثار رحمة الله في الكون.
• الوقاية من السيئات.
• لا يأخذ الكافر والمشرك والعاصي بذنوبهم على الفور.
• أرسل إلينا رسولا.
من موجبات رحمته
• حفظ اللسان.
• التحلل من المظالم.
• سماع القرآن.
• صلاة النافلة.
• قيام الليل وإعانة غيرك عليه.
• عيادة المريض.
• السماحة في المعاملات المالية.
• الدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة.
فادعوه بها عبادة وعملًا
١- حب الله.
٢- الرجاء وحسن الظن بالله.
٣- الحياء من الله.
٤- الرحمة بالخلق.
٥- دعاء الخير كله.
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرِف ربَّك



أولاً: من الرحمن؟!

عادل الله بين اسم الجلالة (الله) واسم الرحمن فقال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ﴾، فالرحمن اسم مختص بالله تعالى، ولا يجوز أن يُسمَّى به غيره.

قال الحسن:

«الرحمن: اسم لا يستطيع الناسُ أن ينتحلوه، تسمى به تبارك وتعالى؛ ولذا لا يجوز أن يُصْرَف للخلق»[1].

وقال **ابن كثير** موضِّحًا سوء عاقبة من زاحم الرحمن على هذا الاسم:

«ولما تجهرم **مسيلمة الكذاب**، وتسمى **برحمن اليمامة** كساه الله جلباب الكذب وشهر به؛ فلا يقال إلا **مسيلمة الكذاب**، فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب»[2].

والرحمن والرحيم من صيغ المبالغة من الرحمة، وبينهما فارق:

أنه رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

ورحمن الدنيا لكثرة من تشملهم رحمته فيها، وهي رحمة عامة، فرحمة الله في الدنيا تشمل المؤمن والعاصي والمسلم والكافر. يرزقهم الله ولا يؤاخذهم بذنوبهم؛ ولذا ورد اسم الرحمن مع الكافرين:

﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾.

لكنه سبحانه رحيمٌ بالمؤمنين فقط: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾، فهذه رحمة خاصة.

«قوله: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: متعلق بـ(رحيم)، وتقديم المعمول يدل على الحصر، فيكون معنى الآية: وكان بالمؤمنين -لا غيرهم- رحيمًا.

ولكن كيف نجمع بين هذه الآية والتي قبلها: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ نقول: الرحمة التي هنا غير الرحمة التي هناك. هذه رحمة خاصة متصلة برحمة الآخرة لا ينالها الكفار، بخلاف الأولى. هذا هو الجمع بينهما، وإلا فكلٌّ مرحوم، لكن فرق بين الرحمة الخاصة والرحمة العامة»[3].

إن عدد من تشملهم رحمة الله في الدنيا أكثر ممن تنالهم رحمته في الآخرة؛ لأنها لا تُنال هناك إلا للمؤمنين.

---

(١) أورده ابن كثير في تفسيره ١/ ٢٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ١٢٦ - ط دار طيبة، وكلمة (تجهرم) من مادتي (جهر) و(حرم) كأنه يراد به تجاهر بجرمه. ذكر ذلك الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير ١/ ٦٠.
(٣) شرح العقيدة الواسطية ١/ ٢٥١.

عرف ربه الرحمن مَن أمَّل في رحمته، ولم ييأس منها مهما أساء وعظم وزره.

لكن رحمة الله في الآخرة أعظم قدرًا.

قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ للهِ مائةَ رحمة، أنزل منها رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهوامِّ، فَبِهَا يتعاطفون، وبها يتراحمُون، وبها تَعْطِفُ الوحْشُ على وَلَدِها، وأَخَّر الله تسعًا وتسْعين رحمة يرحم بها عِباده يوم الْقيامة»[١].



ثانيًا: خصائص رحمته

رحمته سبقت غضبه:

وهذا بنص الحديث الذي شرحه **ابن القيم** شرحًا وافيًا، فقال فيه:

«ورحمته سابقة على غضبه غالبة له، وكل ما كان من صفة الرحمة فهو غالب لما كان من صفة الغضب، فإنه سبحانه لا يكون إلا رحيمًا، ورحمته من لوازم ذاته كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وإحسانه، فيستحيل أن يكون على خلاف ذلك، وليس كذلك غضبه، فإنه ليس من لوازم ذاته، ولا يكون غضبانًا دائمًا، غضبًا لا يُتصوَّر انفكاكه، بل يقول رسله وأعلم الخلق به يوم القيامة: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ورحمته وسعت كل شيء، وغضبه لم يسَعْ كل شيء.

وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، ولم يكتب على نفسه الغضب.

ووسع كل شيء رحمة وعلمًا، ولم يسع كل شيء غضبًا وانتقامًا.

فالرحمة وما كان بها ولوازمها وآثارها غالبة على الغضب»[٢].

يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه:

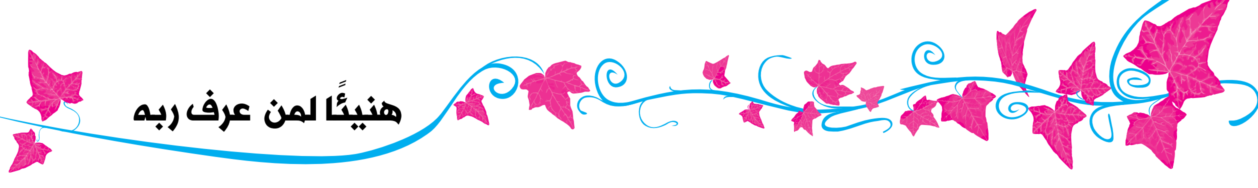
- رجل مبتلى بمَرَض مزمن طالت أيامه وأقعدت آثاره..
- تاجر موسر نزلت به الخسارة فافتقر بعد يسر، وضاق به الأمر بعد سعة، وطال به الأمر..
- امرأة ابتلاها الله بالعقم؛ فلم تنعم كما نعم من حولها بالذرية التي تهوِّن مشاقَّ الحياة..

هل هؤلاء مرحومون؟!

(١) صحيح: رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٢١٧٢.
(٢) الفوائد ١/ ١٢٥.

ما عرف ربه الرحمن مَن دفعه الذنب لليأس من رحمة ربه، والقنوط من مغفرته.





اسمع:

الرحمة الحقيقية هي النجاح في الاختبار، واجتياز فتن الدنيا مع سلامة الدين، كما قيل:

قد يُنعم الله بالبلوى وإن عَظُمت ... ويبتلي الله بعضَ القوم بالنِّعـم

إن الشدة في حقيقتها رحمة خفية نزلت من أجل إسعادك، وإذا كان الشاعر قد امتدح فعل البشر بالبشر، فقال:

فقَسا ليزدجروا ومن يـك حازمًا ... فليقْسُ أحيانًا على من يرحـم!

فكيف بالرب الحكيم الرحيم جلَّ في عُلاه!

قال **ابن القيِّم**:

«وقد جاء في الأثر: إن المبتلى إذا دُعي له: اللهم ارحمه، يقول الله سبحانه: كيف أرحمه من شيء به أرحمه!»[1].

شبهة وردها

قال **أبو حامد الغزالي** وهو يجيب على تساؤل يراود الكثيرين:

«ولعلك تقول:

ما معنى كونه تعالى رحيمًا، وكونه تعالى أرحم الراحمين، والرحيم لا يرى مبتلًى ولا مضرورًا ومعذَّبًا ومريضًا وهو يقدر على إماطة ما بهم إلا ويبادر إلى إماطته، والرب قادر على كفاية كل بلية، ودفع كل فقر، وإماطة كل مرض، وإزالة كل ضرر، والدنيا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا، وهو قادر على إزالة جميعها، وتارك عباده ممتحنين بالرزايا والمحن!

فجوابك:

أن الطفل الصغير، قد ترِقُّ له أمه فتمنعه من الحجامة، والأب العاقل يحمله عليها قهرًا، والجاهل يظن أن الرحيم هي الأم دون الأب، والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته، وأن الأم عدوٌّ في صورة صديق، وأن الألم القليل إذا كان سببًا للذة الكثيرة لم يكن شرًّا، بل كان خيرًا.

والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة، وليس في الوجود شرٌّ إلا وفي ضمنه خير، لو رُفِع ذلك الشرُّ لبطل الخير الذي في ضمنه، وحصل ببطلانه شرٌّ أعظم من الشر الذي يتضمنه، فاليد المتآكلة (المصابة بالسرطان مثلاً) قطعها شرٌّ في الظاهر، وفي ضمنها خيرٌ جزيل، وهو سلامة البدن، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك

(١) إغاثة اللهفان ٢/ ١٧٤، ١٧٥.

البدن، ولكان الشر أعظم، وقطع اليد لأجل سلامة البدن شرٌّ في ضمنه خير»[١].

ولذا فرَّقوا بين الرأفة والرحمة، فإن الرحمة قد تكون مؤلمة في الحال ومعها الكراهية، لكن تعقبُها اللذة وتصبُّ في مصلحة العبد؛ ولذا قال سبحانه في حدِّ الزنا: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور:٢]، ولم يقل: رحمة، فإن جلد العصاة على عصيانهم رحمة لهم وليس رأفة؛ فإن صفة الرأفة إذا أحاطت بالمخلوق لم يلحقه أذى ولا مكروه، وسبب أن الحد رحمة أن إقامته في الدنيا تصرف عن العبد عذاب الآخرة، وهو أشد وأبقى وأخزى، وللاختلاف بين الرحمة والرأفة؛ فقد اجتمعا سويًّا في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

البلاء رحمة!

كم من شدة محَّصَت ذنبًا، ونبَّهت من غفلة، وذكَّرت بنعمة، وكم من محنة أصبحت منحة أعادت إلى الرحمن، وأنقذت من الشيطان، وهذه نظرة المؤمن إلى البلاء وظنُّه بربه على الدوام.

قال عبد القادر الجيلاني:

«المؤمن يثبت عنده أن الله عز وجل ما يبتليه بشيء إلا لمصلحة تعقُب ذلك، إما دنيا أو آخرة، فهو راضٍ بالبلاء وصابر عليه، غير متَّهِم ربَّه عزَّ وجل»[٢].

ولو لم يكن في البلاء إلَّا تكفير الذنوب لكفى به رحمة وفضلاً؛ ولذا سمى النبي ﷺ الطاعون رحمة! فقال النبي ﷺ:

«الطاعون كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء، وإن الله جعله رحمة للمؤمنين، فليس من أحدٍ يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد»[٣].

واسمعوا هذه القصة:

التحق صاحبنا بكلية الهندسة في جامعة الإسكندرية، وفي نهاية كل أسبوع كان يسافر عائدًا لأهله في مدينة المنصورة، وفي مرة ذهب ليركب سيارة الأجرة؛ لاستقلالها عائدًا لأهله، وبعد ان استقلَّ السيارة، وبدأ الركاب يتوافدون، بدأت مشادَّة بين الرُّكاب حول مقاعد الجلوس..

كان الجميع يريد المقاعد المتميزة في السيارة، وكان الطالب الجديد مسالمًا بطبعه، فلم يدخل في صراعات، فقبِل أن يجلس في أسوأ مكان فى السيارة، فلقد جلس خلف الكنبة المتوسطة بين اثنين من الرُكّاب شديدي السمنة، وقد رفض الجميع أن يجلسوا في هذا المكان خاصة أن الرُكّاب أصروا -فوق ذلك- على وضع

(١) المقصد الأسنى ص ٦٢.
(٢) الفتح الرباني ص ٤٣ - عبد القادر الجيلاني- منشورات الجمل.
(٣) صحيح: رواه أحمد والبخاري عن عائشة كما في صحيح الجامع رقم: ٣٩٤٩.

ما عرف ربه الرحمن مَن غابت عنه رؤية رحمة الله في الضراء، فأساء ظنه بربه.





أمتعتهم فوق رجل صاحبنا.

وكان صاحبنا طويل القامة؛ ولذا فإن الجلوس في مثل هذا المقعد كان يُعَدُّ عذابًا؛ لأنه لن يستطيع أن يمد ساقيه، فلا بد أن يظل جالسًا ثانيًا ركبتيه لثلاث أو أربع ساعات، بلا مساحة كافية لساقيه الطويلتين!

فرح كلٌّ بمقعده الذى حجزه قهرًا، وتحرَّكت السيارة علي طريق السفر، ونام البعض ليستيقظوا على حادث مُروِّع، فلقد أودت الحادثة بأرواح من في السيارة، ولقي معظمهم مصرعهم في الحال، وشاء الله برحمته أن ينجو، ويكون جلوسه كاظمًا غيظه، مؤثرًا السلامة، سببًا في حفظ الله له؛ حيث كانت سِمْنة من على اليمين واليسار كالمخدات الهوائية الحديثة التي تمتص الصدمات في الحوادث! وعسى أن يكون كره شيئًا وهو خيرٌ له، وقد كان!

وصدق الشاعر:

وقد يأسف المرء من فَوْت ما … لعـلَّ السلامة فـي فَوْتِــه!

المسيء المغرور

وهنا صنف من المغرورين المسيئين يقول: إن ربنا غفور رحيم..

وعلى أمثال هؤلاء ردَّ **ابن الجوزي**، فقال: «العاصي يقول: ربي رحيم! وينسى أنه شديد العقاب! ولو علم أن رحمته ليست رقة -إذ لو كانت كذلك- لما ذبح عصفورًا ولا آلم طفلاً -وعقابه غير مأمون- فإنه شرع قطع اليد الشريفة بسرقة خمسة قراريط!»(١).

والمؤمن ليس أعور البصيرة، فلا ينظر بعين واحدة إلى جانب الرحمة دون العذاب؛ ولذا لَّما حجَّ **عمر بن عبد العزيز** مع **سليمان بن عبد الملك** وأصابهم برق ورعد كادت تنخلع له قلوبهم، فقال **سليمان**: هل رأيت مثل هذه الليلة، أو سمعت بها؟! قال:

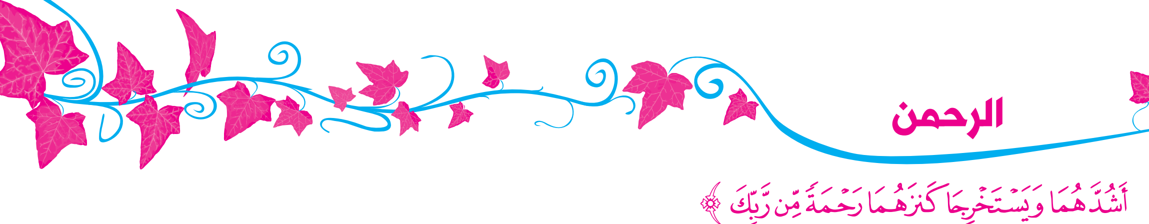
«يا أمير المؤمنين.. هذا صوت رحمة الله، فكيف لو سمعت صوت عذابه!»(٢).

﴿ رحمة تتجاوز الأجيال:

ومن رحمته أن رحمته لا تقتصر على المؤمنين؛ بل تشمل ذريتهم من بعدهم تكريمًا لهم، كما قال تعالى في نبأ **الخضر** والجدار:

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ

(١) صيد الخاطر ١/ ٣٦٣.
(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ١٤٧.



﴿أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾

قال جعفر بن محمد:

«كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء!»[1].

سعة رحمته لا تخطر ببال، ولا يحيط بها خيال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»[2].

والحقيقة أن العلم المقصود في الحديث هو علم حقيقة وبصيرة لا مجرَّد علم نظر وخبر، وإلا فإن الكل يعلم علمًا نظريًّا ما أعدَّ الله للمؤمنين والكافرين، لكن علم القلوب أهمُّ، وهو زاد العمل والدافع إلى تحصيل الفضائل والمنن.

رحمة غير مقتصرة على مكان دون آخر:

﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾.

الكهف الضيق الذي نظن بتفكيرنا المادي القاصر أنه سيضيق على أصحابه مكانًا بمساحته الضيقة، وزمانًا بأن لا أحداث تعرِض لهم فيه، لن يضيق عليهم إنعامًا من الله، فرحمة الله تجعل الضيِّق رحبًا واسعًا، فلا يحسون بضيق المكان، ولا يشعرون بملل الزمان، ولا يسيطر عليهم قلق توقع الخطر وانتظاره، وكلُّ هذا بسبب رحمة الله التي نالتهم، وهكذا فإن الرحمة إذا نالتك حوَّلَت أعظم الأماكن الموحشة والضيقة إلى مكان مؤنس جميل.



ثالثًا: من صور رحمته

آثار رحمة الله في الكون:

* الشمس تحافظ على بُعد ثابت من الأرض، وهذا البعد الثابت يضمن لنا قدرًا ثابتًا من الحرارة.. لا يزيد فتقتلنا، ولا ينقص فتقتلنا البرودة.

(١) زاد المسير ٣/ ١٠٤.
(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم وابن حبان كما في السلسلة الصحيحة رقم: ١٦٣٤.

ما عرف ربه الرحمن، مَن لم يرَ رحمته فيما سخَّر الرحمن لخدمته ورعايته.





* والهواء يحيط بنا ويحوي الأوكسجين اللازم لعملية التنفس وأكسدة المواد الغذائية؛ كي تنطلق الطاقة التي تكفل للجسم القيام بوظائفه.

* والماء الذي يمثل معظم مساحة الكرة الأرضية بما له من وظائف غير محصورة في جسم الإنسان، فضلاً عن استخدامه في الطهارة التي تقي الإنسان شر الأمراض والآفات، وهو الذي ينبت من الأرض الجدباء طعامًا نأكله، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى:

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾ [الروم ٥٠].

* والماء كذلك له من الخصائص ما يمكِّنه من حمل السفن العملاقة التي تحمل الناس بأمتعتهم مئات بل آلافًا من الأميال إلي أماكن لم يكونوا بالغيها إلا بشق الأنفس، أو غير بالغيها أبدًا.

* والهواء له من الخصائص ما يمكِّنه من حمل الطيور الطبيعية والصناعية وهي الطائرات النفاثة الضخمة!

ومن رحمته الوقاية من السيئات:

قال تعالى: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥ﴾..

ووقاية السيئات أعظم علامات رحمة الله، ومعنى الوقاية منها عدم الوقوع فيها ابتداءً، فإن وقع العبد فيها فتكون الرحمة بتيسير توبته منها وقبولها، وبالتالي عدم معاقبته بها في الدنيا أو الآخرة.

وقال ربنا في ختام الآية: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾:

إشارة إلى رحمة الرب التي ترتَّبت على وقاية العبد من السيئات، وكلمة ﴿وَذَٰلِكَ﴾ توحي بالبُعد، إشارة إلى بُعْدِ وعلوِّ درجة هؤلاء الذين وقاهم الله سيئاتهم، ففازوا عاجلاً وآجلاً.

ومن رحمته أن لا يأخذ الكافر والمشرك والعاصي بذنوبهم على الفور:

بل يمد لهم ويمهلهم لعلهم يرجعون، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾.

ومن رحمته أن أرسل إلينا رسولا:

وأنزل علينا كتابه، فعلَّمنا من جهالة، وهدانا من ضلالة، وبصَّرنا من عمى، وعرَّفنا أسماء الله وصفاته وجميل فِعالَه، وعلَّمنا ما لم نكن نعلم، وهذه هي الرحمة الكبرى التي اختص الله بها من أحب من عباده.

عرف ربه الرحمن، مَن تعرَّض لرحمة الله بعمله وسعيه، لا بأحلامه وأمانيه.



رابعًا: موجبات رحمته

فقد سأل النبي ﷺ ربه فقال: «اللهم إني أسألك موجبات رحمتك،...».

يعني الأفعال والأقوال والصفات التي تحصل بسببها رحمة الله، وجاء بلفظ (موجِبات)؛ لأن الله أوجب على نفسه الرحمة لمن تعرَّض لأسبابها، وذلك بوعده الذي لا يتخلَّف، وهذا كرم إلهي وفضل رباني، وإلا فإن الله لا يجب عليه شيء..

وهذه أحاديث تعرض لبعض موجبات الرحمة على سبيل المثال لا الحصر:

* حفظ اللسان: «رحم الله عبدًا، قال خيرًا فغنم، أو سكت عن سوء فسلم»(١).

* التحلل من المظالم: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا، كَانَتْ لِأَخِيه عندَه مَظْلَمَةٌ في نَفْسٍ أو مالٍ فأتاه، فاستَحَلَّ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يُؤخذ مِنْ حسناته، فإن لم يكُنْ له حسناتٌ أُخِذَ مِنْ سيئات صاحبه، فتوضَع في سيئاته»(٢).

* سماع القرآن: والقرآن من أهم موجبات رحمته: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

* صلاة النافلة: «رحم الله امرءًا صلى قبل العصر أربعًا»(٣).

* قيام الليل وإعانة غيرك عليه: «رحِم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلَّت، فإن أبَتْ نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلَّت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»(٤).

* عيادة المريض: لحديث **جابر بن عبد الله** رضي الله عنه: «من عاد مريضًا خاض في الرحمة، حتى إذا قعد استقرَّ فيها»(٥).

* السماحة في المعاملات المالية: «رحِم الله عبدًا: سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى، سمحًا إذا اقتضى»(٦).

«إذا باع» بأن يرضى بقليل الربح، و«إذا اشترى»: بأن لا يجادل البائع كثيرًا، و«إذا قضى»: أي أدّى ما عليه

---

(١) حسن: رواه ابن المبارك عن خالد بن أبي عمران مرسلًا، وهو السلسلة الصحيحة رقم: ٨٥٥.
(٢) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رقم: ٧٣١٨.
(٣) حسن: رواه أبو داود والترمذي وابن حبان عن ابن عمر؛ كما في المشكاة رقم: ١١٧٠، وصحيح أبي داود رقم: ١١٥٤.
(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة؛ كما في صحيح الترغيب رقم: ٦٢١، وصحيح أبي داود رقم: ١١٨١.
(٥) صحيح الأدب المفرد رقم: ٥٢٢.
(٦) صحيح: رواه البخاري وابن ماجة عن جابر؛ كما في صحيح الجامع رقم: ٣٤٩٥.

ما عرف ربه الرحمن، مَن تعلَّق بالرحمة دون عمل، وطمع أن تناله دون دفع الثمن.



طيبة به نفسه، ويقضي أفضل ما يجد، ويُعجِّل القضاء، «سمحًا إذا اقتضى» أي طلب قضاء حقه برفقٍ ولين.

* الدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة: «رَحِمَ اللهُ مَنْ سَمِعَ مِنِّي حَدِيثًا، فَبَلَّغَه كما سَمِعه، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى له من سامع»[1].

خامسًا: فادعوه بها عملاً وعبادة

وهي آثار عملية تشمل عبادات القلوب وعبادات الجوارح كما يلي:

١- الحب

فقد جُبِلت النفوس على حب من أحسن إليها، وكيف لا يحب الإنسان من أفاض عليه رحمته وعطفه ومنته وفضله، ومن هو أرحم به من أمه!

وستثمر هذه المحبة، ولابد ثمرات عظيمة تظهر في سلوك الجوارح.. إن المحب لمن يحِب مطيع.

جاء في الصحيح أنه قدِم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي، إذ وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته[2]، فقال رسول الله ﷺ:

«أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟»

قالوا: لا والله.. وهي تقدر على أن لا تطرح، فقال رسول الله ﷺ:

«للهُ أرحم بعباده من هذه بولدها»[3].

فرحمة الله بنا أعظم من رحمة هذه المرأة المشفقة على ولدها، وبالتالي تورث هذه الرحمة محبة الله، ومحبة الله تورث امتثال أمره وعدم مخالفة نهيه.

وإلى ثاني العبادات القلبية:

٢- الرجاء، وحسن الظن بالله

قال العز بن عبد السلام:

«من عرف سعة رحمة الله كان حاله الرجاء»[4].

(١) صحيح: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان عن ابن مسعود رقم: ٦٨.
(٢) عرف من سياقه أنها كانت فقدت صبيها وتضررت باجتماع اللبن في ثديها، فكانت إذا وجدت صبيًّا أرضعته؛ ليخف عنها، فلما وجدت صبيها بعينه أخذته فالتزمته. فتح الباري ١٧/ ١٣١.
(٣) رواه مسلم رقم: ٢٧٥٤ والبخاري رقم: ٥٦٥٣.
(٤) شجرة المعارف والأحوال ص ٨٣.

عرف ربه الرحمن، مَن لم يغتر بسعة رحمة الله، فكان رجاؤه صادقًا بالعمل الصالح والسعي الجاد.

دخل **حماد بن سلمة على الثوري**، فقال **سفيان**: أترى أن الله يغفر لمثلي، فقال حماد: والله لو خُيِّرتُ بين محاسبة الله إياي، وبين محاسبة أبوي لاخترت محاسبة الله؛ وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي.

وحمَّاد بن سلمة هذا كان محدِّثًا ثقة عابدًا، قال عنه **أحمد بن حنبل**: إذا رأيتَ الرجل يغمِز **حمَّاد بن سلمة** فاتهمه على الإسلام.

وقال عنه **ابن المبارك**: دخلتُ البصرة، فما رأيتُ أحدًا أشبه بمسالك الأُوَلِ (أي الصحابة) من **حماد بن سلمة**.

ومع تعلُّقه الشديد برحمة ربه، إلا أنه أتبعها بالعمل والاجتهاد في العبادة، حتى قيل عنه: لو قيل لحماد بن سلمة: إِنك تموت غدًا، ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا.

٣- الحياء من الله

إن التأمل في إحسان الله ورحمته يورث العبد حياءً منه سبحانه وتعالى، فيستحي العبد المؤمن من خالقه أن يعصيه، ثم إن وقع في الذنب جهلاً منه استحيا من الله بعد وقوعه في الذنب؛ ولذا كان الأنبياء يعتذرون عن الشفاعة للناس بذنوبهم خوفًا وخجلاً، وهذا أمرٌ قلَّ من ينتبه له.

إن الإحسان بعد الإحسان مكافأة، والإساءة بعد الإساءة مجازاة، وأما الإحسان بعد الإساءة فكرٌم ما بعده كرمٌ وإنعام، وكم أسأنا والله يكرمنا!، وعصينا والله يؤوينا! وشردنا والله يهدينا!

كان **الأسود بن زيد** يجتهد في العبادة، ويصوم حتى يصفرَّ ويخضَرَّ، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: «لا أجزع! ومن أحق بذلك مني؟! والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل؛ لأهمني الحياء منه بما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، ولا يزال مستحيًا منه»[1].

٤- الرحمة بالخلق

أبصر **الأقرع بن حابس** النبي ﷺ يقبِّل **الحسن**، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ واحدًا منهم، فقال رسول الله ﷺ:

«إنه من لا يَرحَم لا يُرحَم».

ولما قدم ناسٌ من الأعراب على رسول الله ﷺ قالوا: أَتُقَبِّلون صبيانكم؟، فقالوا: نعم، فقالوا: لكن، والله ما نُقَبِّلهم، فقال رسول الله ﷺ:

«لَا أَمْلِكُ إِنْ كان الله عزَّ وجَلَّ نَزَعَ منك الرَّحمة»[2].

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٤.
(٢) صحيح: رواه أحمد عن عائشة في المسند رقم: ٢٤٤٠٨.

ما عرف ربه الرحمن، مَن اغتر برحمة الله فأساء، ثم استعار له كذِبًا لفظ الرجاء.



وقد قال ﷺ:

«لا تنزع الرحمة إلا من شقي»[1].

وفي الترمذي:

«الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[2].

قال **الطيبي**:

«أُتِي بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق، فيرحم البر والفاجر، والناطق والبهم، والوحوش، والطير»[3].

ومن هنا وضع **ابن القيم** قاعدة في القرب والبعد من الله، جاء فيها ما نصُّه:

«وأقرب الخلق إليه: أعظمهم رأفة ورحمة، كما أن أبعدهم منه من اتصف بضد صفاته»[4].

وقد أبان هذا الشيخ **السعدي**، وأوصانا به، فقال:

«فرحمة العبد للخلق من أكبر الأسباب التي تنال بها رحمة الله، التي من آثارها خيرات الدنيا، وخيرات الآخرة، وفقدها من أكبر القواطع والموانع لرحمة الله، والعبد في غاية الضرورة والافتقار إلى رحمة الله، لا يستغني عنها طرفة عين، وكل ما هو فيه من النعم واندفاع النقم، من رحمة الله.

فمتى أراد أن يستبقيها ويستزيد منها، فليعمل جميع الأسباب التي تنال بها رحمته، وتجتمع كلها في قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]

وهم المحسنون في عبادة الله، المحسنون إلى عباد الله. والإحسان إلى الخلق أثر من آثار رحمة العبد بهم»[5].

وهذه الرحمة بالخلق من الأسباب التي رفعت **أبا بكر** رضي الله عنه إلى مكانته من رسول الله ﷺ بهذا الكمال البشري في الرحمة، حتى قال فيه ﷺ:

«أرحم أمتي بأمتي أبو بكر»[6].

---

(١) حسن: رواه أحمد وأبوداود والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة؛ كما في صحيح الجامع رقم: ٧٤٦٧.
(٢) صحيح: رواه أحمد وأبوداود والترمذي والحاكم كما في السلسلة الصحيحة ٢/ ٦٣٠.
(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٦/ ٤٣ – المباركفوري – دار الكتب العلمية – بيروت.
(٤) الروح ١/ ٢٥١.
(٥) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ١/ ٨٨ – عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي – مكتبة الرشد.
(٦) صحيح: رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أنس؛ كما في صحيح الجامع رقم: ٨٩٥.

عرف ربه الرحمن، مَن رحم العصاة من أمته، ولم يتكبر عليهم بعبادته وفضله.

الضرر والمشقة عدُوّا الرحمة

في الحديث:

«من ضارَّ ضارَّ الله به، ومن شاقَّ شاقَّ الله عليه»[1].

من ألحق ضررًا بأحد في ماله أو نفسه أو عرضه متعمدًا، أو شقَّ عليه، فإن الله يجازيه بجنس عمله، فيضره ويشق عليه، فالجزاء من جنس العمل، والله عدل لا يظلم مثقال الذرة، وما أصاب العبد من مصيبة، فلربما كان بمصيبةٍ منه آذى بها أخاه..

- جار يضر جاره ويشق عليه، فيُنزِل الله به الضرر ويشق عليه.
- موظف يعطِّل مصالح الناس فلا يؤديها إلا متباطئًا أو برشوة، فيعطِّل الله مصالحه.
- مدير يهين موظفًا، ويشق على عامل في بيئة العمل، فيهينه الله بين الناس.
- زوج يضيِّق على زوجته ويؤذيها، فيضيِّق الله عليه ويؤذيه.

الرحمة بالعصاة:

ومن الرحمة أن ترحم العصاة ولا تزدريهم أو تتكبر عليهم، فضلاً عن الحكم عليهم بعدم القبول أو عدم المغفرة.. واسمع القصة لتعتبر، وأصغِ بقلبك لتقتدي:

لقي **أبو هريرة** رضي الله عنه **ضمضم بن جوس اليمامي**، فقال له:

يا **يمامي**، لا تقولنَّ لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يُدخِلك الله الجنة أبدًا.

فقال له: يا **أبا هريرة**، إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب!

فقال **أبو هريرة**:

فلا تقلها، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

«كان في بني إسرائيل رجلان، كان أحدهما مجتهدًا في العبادة، وكان الآخر مسرفًا على نفسه، فكانا متآخيين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: يا هذا أقصِر. فيقول: خلِّني وربي، أَبُعِثت عليَّ رقيبًا؟!

قال: إلى أن رآه يومًا على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك أقصِر.

قال: خلِّني وربِّي، ابعثت عليَّ رقيبًا؟!

---

(١) حسن: رواه أحمد والأربعة عن أبي صرمة؛ كما في صحيح الجامع رقم: ٦٣٧٢.

ما عرف ربه الرحمن، مَن تكبَّر على العصاة، وقنَّطهم من طريق النجاة بالزجر والترهيب.



فقال: والله لا يغفر اللهُ لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا.

فبعث الله إليهما مَلَكًا، فقبض أرواحهما واجتمعا عنده، فقال للمذنب: اذهب، فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أكنتَ بي عالمًا؟ أكنت على ما في يديَّ خازنًا؟ اذهبوا به إلى النار.

قال **أبو هريرة**:

فوالذي نفس **أبي القاسم** بيده.. لَتَكَلَّم بكلمةٍ أوبَقت دنياه وآخرته»[1].

ويدفعك إلى هذا قول **ابن تيمية** في أهل البدع:

«ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدَر -والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم- رحِمتَهم ورفقتَ بهم، وأُتوا ذكاءً وما أتوا زكاءً، وأعطوا فهومًا وما أعطوا علومًا، وأعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾»[2].

٥- دعاء الخير كله

عن **عبد الله بن أبي أوفى**، قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لا أستطيع أن آخُذَ من القرآن شيئًا؛ فعلِّمني ما يُجْزِئُنِي منه؟ قال:

«قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

قال: يا رسول الله، هذا لله عز وجل، فما لي؟ قال:

قل: اللهم ارحمني، وارزقني، وعافني، واهدني، فلما قام قال هكذا بيده..

فقال رسول الله ﷺ:

«أما هذا فقد ملأ يده من الخير»[3].

و(هكذا بيده) أي أشار الرجل بيده، وفي رواية: (وقبَضهما)، فكأنه عدَّ كلمات النبي ﷺ بأنامله؛ إشارة إلى أنه سيحفظ ما أمره به نبيه كما يحفظ الشيء النفيس بِقَبْض يده عليه، وكأن الرجل قد قطع بهذا عهدًا على نفسه: سأحفظ ما قلتَ يا رسول الله، فلا أضيِّعُه ما حييت.

وهذا الحديث من آثار رحمة رسول الله ﷺ، فإن الرجل كان فظًّا في طلبه، يريد أن ينال نفعًا مباشرًا

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده حديث رقم: ٨٢٩٢، وأخرجه أبو داود وابن حبان والبيهقي في الشعب.
(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ١١٩.
(٣) صحيح أبي داود رقم: ٧٨٥.

عرف ربه الرحمن من دعا بالرحمة لنفسه ولأمته.

لنفسه، وما علم أن التسبيح ذكر وثناء، وهو في حقيقته أفضل عطاء، فما نهَرَه رسول الله ﷺ، وإنما أرشده إلى دعاءٍ جامعٍ يملأ يديه من الخير، وكان الرجل أعرابيًّا بسيطًا، ليس في وسعه أن يتعلم القرآن لعجز في طبعه أو سوء حفْظه، فعلَّمه رسول الله ﷺ التسبيح والتحميد والتهليل ليُجزئ عنه، فلما سأله بديلاً عنه أرشده إلى الدعاء بالرحمة.

وعالي الهمة لا يكتفي بدعائه لنفسه، بل يطلب الدعاء من الصالحين، ولو كانوا مغمورين غير مشهورين، فلا يدري مَن أصحاب القبول، ولنتعلَّم من **معروف الكرخي**، فقد مرَّ يومًا وهو صائم بسقّاء، يقول: رحِم الله من شرِب، فشرب **معروف** رجاء الرحمة[1].

ومن كانت له هذه الهمة لا يضيِّع فرصة رحمة إلا اغتنمها، فمن لم يفوِّت اليسير والقليل لن يفلت منه الغالي والثمين.

سادسا: فادعوه بها مسألة وطلبا

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلَّه، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين[2].

يا رحمن..

ارحمني بترك المعاصي أبدًا ما أحييتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني.

يا رحمن..

ارحمني رحمةً تغنيني بها عن رحمة الرَّاحمين، وارْضَ عنّي رضًا لا تسخط عليَّ بعده أبد الآبدين.

يا رحمن..

ارحم في القبر وحشتي، وعند الموت مصرعي، وارحم مقامي بين يديك يا أرحم الراحمين.

يا رحمن..

ارحمنا فإنَّا مُجْرِمون، وبالآثام والخطايا مقِرّون، ومُعْتَرِفون.

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٤٣.
(٢) حسن: رواه النسائي والحاكم عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٢٤٥٧.

ما عرف ربه الرحمن من شقَّ على خلق الله وآذاهم أو ظلمهم.



يا رحمن..

إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك، فإن رحمتك أهل أن تبلغني، ورحمتك وسِعَت كل شيء، وأنا شيء.

يا رحمن..

ارحم عبادًا غرَّهم طول إمهالك، وأطمعهم دوام إفضالك، ومدوا أيديهم إلى كرم نوالك، فلا غنى لهم عن دعائك وسؤالك، وجُدْ علينا وعليهم برحمتك الواسعة.

سابعا: حاسِبْ نفسك تعرِف ربّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائما	أحيانًا	نادرًا
١	هل تسبق رحمتك غضبك على غيرك عند القدرة؟			
٢	هل تنظر إلى العاصي نظرة شفقة لا نظرة فوقية؟ هل تشعر أنك أفضل منه؟			
٣	هل تحسن الظن بالله؟ وتقرن ذلك بإحسان العمل؟			
٤	هل صليت قبل العصر أربعًا؟			
٥	هل تستحضر نية التماس الرحمة عند سماع القرآن؟			
٦	هل تيسر على الناس في الشراء والبيع والقضاء؟			

عرف ربه الرحمن من رحِم الضعيف والمسكين واليتيم والغريب.

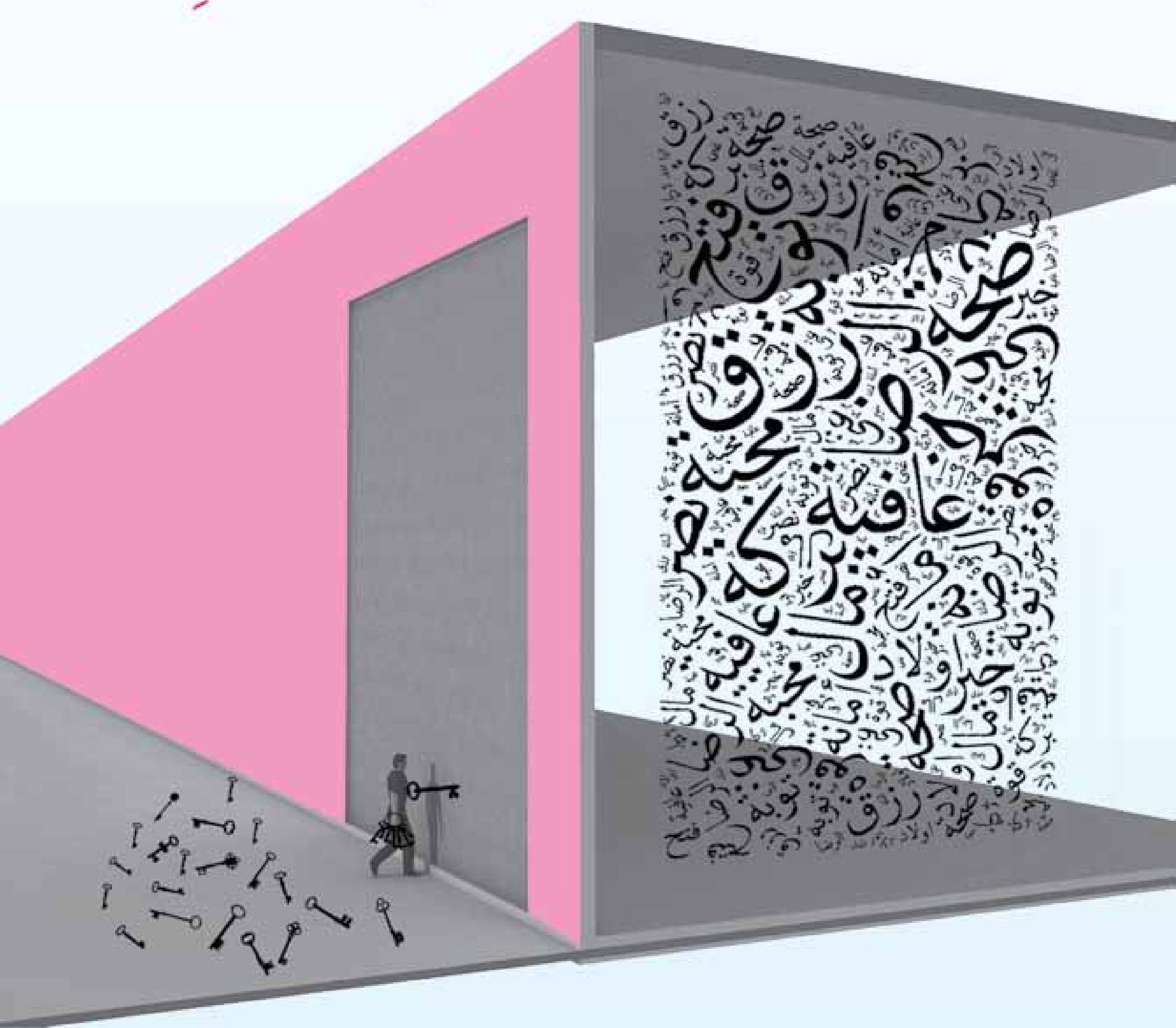


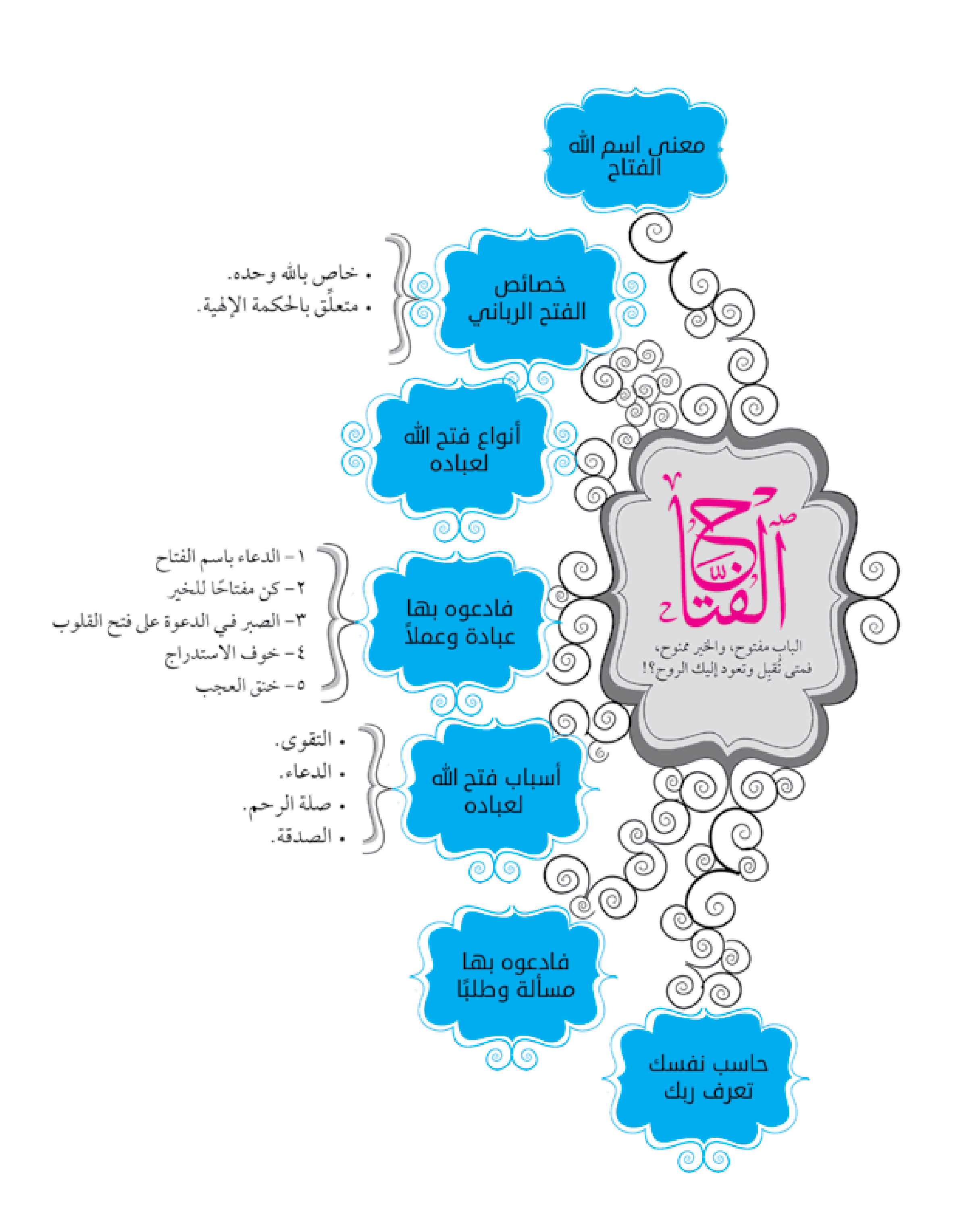
استفتِحه لما انغلق

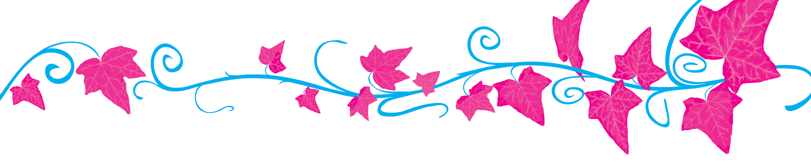
يفتح ما استُغْلِقَ من الأمور الحِسِّية والمعنوية، فيفتح ما تغلَّق على عباده من الأَسباب، ويشمل ذلك كل الأبواب، والفتاح إما مبالغة تكثير أو مبالغة نوع.

سيفتحُ الله باباً كنت تحسبهُ

من شدة اليأس لم يُخلق بمفتاحِ




الفتاح
الباب مفتوح، والخير ممنوح، فمتى تُقبِل وتعود إليك الروح؟!
معنى اسم الله الفتاح
خصائص الفتح الرباني
• خاص بالله وحده.
• متعلِّق بالحكمة الإلهية.
أنواع فتح الله لعباده
فادعوه بها عبادة وعملاً
١- الدعاء باسم الفتاح
٢- كن مفتاحًا للخير
٣- الصبر في الدعوة على فتح القلوب
٤- خوف الاستدراج
٥- خنق العجب
أسباب فتح الله لعباده
• التقوى.
• الدعاء.
• صلة الرحم.
• الصدقة.
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرف ربك





أولاً: معنى اسم الله الفتاح

معنى اسم الله **الفتاح**: صيغة مبالغة من الفتح، أي كثير الفتح على عباده.

والفتح: حَلُّ ما استُغْلِقَ من الأمور الحِسِّية والأمور المعنوية، والله سبحانه هو **الفتاح**؛ لذلك يفتح ما تغلَّق على عباده من أسبابهم، فيفتح كل الأبواب، أو يفتح ما استعصى عليهم من الأبواب، والفتاح إمَّا مبالغة تكثير، أو مبالغة نوع.

فهو يفتح الأبواب المغلقة الكثيرة كمًّا، وكذلك يفتح مغاليق أصعب الشدائد نوعًا.

والإغلاق عكس الفتح، وهو مصطلح شرعي، ففي الحديث:

«لا طلاق في إغلاق»..

وهي حالة الغضب الشديدة التي تذهب بعقل المرء، وتُفقِده صوابه، فلا ينفتح عقله للحقائق.

قد يكون الإغلاق في الحياة الزوجية، فتنتهي بالطلاق.

وقد يكون الإغلاق اقتصاديًّا، فتكون الحاجة شديدة، والفقر مدقعًا، ووسائل الحياة منعدمة.

وقد يكون الإغلاق اجتماعيًّا، فيكون الهجر، وقطع الأرحام.

وقد يكون نفسيًّا فتعُمُّ الكراهة، والبغضاء، والإقصاء.

وقد يكون إيمانيًّا، فتكون القلوب غلفًا أمام أنوار الهداية.

وهي حالات (إغلاق) تستدعي كلها فتح **الفتاح**.

ومن صور الإغلاق الإيماني:

ما حكاه **ابن تيمية**، فقال:

«إنَّه ليقف خاطري فِي المسألة والشَّيْء، أو الحالة التي تُشكِل عليَّ، فأستغفر الله تعالى ألف مرَّة، أوأكثر، أو أقل؛ حتَّى ينشرح الصَّدْر، وينحلَّ إِشكال ما أُشْكِل.

قال: وأكون إذ ذاك فِي السُّوق، أو المسجِد، أو الدَّرْب، أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذِّكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي»[1].

فالاستغفار والتوبة مفتاح ما انغلق.

---

(١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١/ ٢١، ٢٢ - ط دار الكاتب العربي.

عرف ربَّه الفتاح مَن استفتحه لما انغلق عليه في رزقه الروحي والمادي.



قال **ابن القيِّم**:

«وشَهِدتُ شيخ الإسلام -قدَّس الله روحه- إذا أعيته المسائل، واستصعبت عليه، فرَّ منها إلى التوبة والاستغفار، والاستغاثة بالله واللجأ إليه، واستنزال الصواب من عنده، والاستفتاح من خزائن رحمته، فقلَّما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مدًّا، وتزدلف الفتوحات الإلهية إليه بأيتهن يبدأ، ولا ريب أن من وُفِّق لهذا الافتقار علمًا وحالاً، وسار قلبه في ميادينه بحقيقةٍ وقصدٍ، فقد أُعطِيَ حظه من التوفيق، ومن حُرِمَه فقد مُنِعَ الطريق والرفيق، فمتى أُعينَ مع هذا الافتقار ببذل الجهد في درك الحق فقد سلك به الصراط المستقيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[1].

وسبب ذلك أن العلم والفقه في الدين من الأمور التي يفتح الله بها على من يشاء من عباده؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾.



ثانيًا: خصائص الفتح الرباني

خاصٌّ بالله وحده

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾

أي مَفَاتيح خزائنه، وإلا فإن مالك الخزائن المغلقة وحدها لا يصل إلى شيء.

﴿وَإِن﴾: نافية بمعنى ما.

﴿مِّن﴾: للتبعيض، أي أيُّ جزءٍ منه.

﴿شَيْءٍ﴾: وهي نكرة أي شيء ماديًّا، أو معنويًّا، دنيويًّا، أو أخرويًّا.

والخزائنُ جمع الخِزانة، وهي ما يُحفظ فيه نفائسُ الأموال والتحف والمجوهرات، وخاصة ما كان للملوك والسلاطينِ من خزائن الأموال، وقد شبَّه الله أرزاقه التي:

لا تُحصى نوعًا ولا كمًّا.

والكائنة تحت سلطانه وقدرته.

مع كونها مستورةً عن أعين الخلق.

(١) إعلام الموقعين ٤/ ١٣٢.

ما عرف ربه الفتاح مَن لم يلجأ إليه في فتح أبواب الرزق المغلقة.





وليس لهم ذرة منها إلا ما يجود الله به عليهم.

مع كمال افتقارِهم إليها، ورغبتِهم فيها.

شبَّهها بنفائس الأموالِ المخزونةِ في خزائن الملوك والأثرياء، وهي جاهزة لتُرسَل إلى من يتفضَّل عليه (الملك)، ويُنعِم عليه بكلمة واحدة منه (كن)، لتصله على الفور بلا تأخر.

∞ متعلّق بالحكمة الإلهية

﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾

﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ أي ما نُوجِد، وما نكوّن شيئًا من تلك الأشياء، ونخرجه من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار.

﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي بمقدار معينٍ تقتضيه الحِكمة، ولا تعجز عنه القدرة.

ولذا قال تعالى:

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾

إذا أمسك ليس في الأرض كلها قوة تستطيع أن تفتح خزائنه، وإذا فتح فليس في الأرض كلها قوة تستطيع أن تغلق، قوى الأرض مجتمعةً ليس في إمكانها أن تفتح ما أغلقه الله، ولا أن تغلق ما يفتحه الله؛ ولذا كان من جميل ما قيل:

يا فاتحًا لي كلَّ باب مُرْتَج ... إني لعفو منك عني مُرْتَج

فامنُنْ عليَّ بما يُفيدُ سعادتي ... فسعادتي طَوْعًا متى تَأْمُرْ تَجي

و(مرتَجِ) في صدر البيت: مغلق، وقد أُرتِج الباب: إذا أُغلِقَ إغلاقًا وثيقًا، وفي آخر البيت: مُرْتجٍ من الرَّجاء.

واسمع كيف أن فتح الله إذا نال عبدًا رأيت العجَب العجاب!

روى **الحافظ الحميدي** صاحب **ابن حزم الظاهري**، وتلميذه في كتابه (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس) أن الوزير **أبا عمر أحمد بن سعيد بن حزم** كان بين يدي **المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر** في بعض مجالسه للعامة، فرُفِعت إليه رقعة استعطاف لأم رجل مسجون، كان **ابن أبي عامر** حنق عليه لجُرمٍ استعظمه منه، فلما قرأها اشتد غضبه، وقال: ذكرتني والله به.

وأخذ القلم يوقِّعُ، وأراد أن يكتب: يُصلَب، فكتب: يُطلق!

ورمي الكتاب إلى الوزير، فأخذ الوزيرُ القلمَ، وتناول رقعة، وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب

عرف ربَّه الفتاح من طلب فتح باب عبادة تعسّرت عليه كالصيام والقيام والصدقة.

الشُّرَط، فقال له **ابن أبي عامر**: ما هذا الذي تكتب؟ قال: بإطلاق فلان، قال: فحَرَد (غضِب) وقال: من أمر بهذا؟ فناوله التوقيع، فلما رآه قال: وهِمْتُ، والله ليُصلبن، ثم خطَّ على ما كتب، وأراد أن يكتب: يُصلب، فكتب: يُطلَق!

فأخذ الوزير الرقعة، فلما رأى التوقيع تمادى على ما بدأ به من الأمر بإطلاقه، ونظر إليه **المنصور** متماديًا على الكتاب، فقال: ما تكتب؟

قال: بإطلاق الرجل، فغضب غضبًا أشد من الأول، وقال: من أمر بهذا؟ فناوله الرقعة، فرأى خطه، فخطَّ على ما كتب، وأراد أن يكتب: يُصلَب، فكتب: يُطلق!

فأخذ الوزيرُ الكتابَ، فنظر ما وقَّع به، ثم تمادى فيما كان بدأ به، فقال له: ماذا تكتب؟ فقال: بإطلاق الرجل، وهذا الخط ثالثًا بذلك، فلما رآه **المنصور أبو عامر** عجب، وقال: نعم. يُطلَق على رغمي، فمن أراد الله إطلاقه، لا أقدر أنا على منعه[1].



ثالثًا: أنواع فتح الله لعباده

الأول: الفتح: الحكم بين المتقاضيين

والعرب كانت تسمي القاضي: الفاتح.. أي من يفتح مواضع الحق، ويحكم بين العباد فيما هم فيه مختلفون.

الثاني: والفتح: النصر

فهو يفتح على من يشاء، ويُذِلُّ من يشاء، وقد نسب الله تعالى الفتوح إلى نفسه؛ ليُنبِّه عباده على طلب النصر والفتح منه لا من غيره، فقال جلَّ ثناؤه: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة:٥٢]، فليس علينا إلا أن نجتهد ونأخذ بالأسباب، أما النصر فهو من عند الله وحده.

الثالث: الفتح: تيسير كل عسير

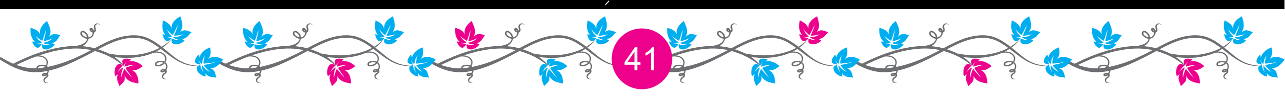
وتفريج كل كرب، وحلِّ عقدة كل شدة.

الرابع: الفتاح يفتح بصائر المتقين

فيرون الحق حقًّا والباطل باطلاً، فلا تلتبس عليهم الأمور وقت الفتن وزمن الاختلاف الكثير.

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ١/ ١٢٦، ١٢٧ - أبو عبد الله بن أبي نصر - ط الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة.

ما عرف ربه الفتاح مَن لم يطلب منه فتح ما أُغلِق دونه من أبواب طاعات صعُبَت عليه.



الخامس: الفتاح يفتح باب التوفيق لعباده

كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾، وإذا لم يفتح الله باب توفيقه للعبد، فأول ما يجني عليه اجتهاده.

السادس: بيده مفتاتيح خزائن كل خير

فمن يفتح لك باب الشفاء؟

وباب الرزق؟

وباب الزواج؟

وباب الإنجاب؟

وباب العمل؟

وباب العمل الصالح؟

وباب الدعوة إليه؟

من أطلق لسانك؟

والعوامُّ يقولون: يا فتاح يا عليم، يا رزاق يا كريم.

وذلك على سبيل الضجر والتبرم من الأحوال، وليس على سبيل الرضا بالله والتوكل عليه، وهذا من جهلهم بأسماء الله وصفاته، وعدوانهم.

السابع: فتح الله بالصالحات

العطاء الرباني منهمرٌ صباح مساء، ويد الله ملأى، لكن الحصول عليه بحسب اتساع وعاء قلبك، وفتحك لأبواب روحك.

فمن الناس من يفتح الفتاح له في القرآن، وحفظه، وتجويده، وتعليمه.

ومنهم من يفتح الفتاح له في الصلاة، فتكون أشد حلاوة عنده من العسل، فيحافظ على قيام الليل، ولا يتركه.

ومنهم من يفتح الفتاح له في الصيام حتى إنه ليصوم يومًا، ويفطر يومًا، وهو سهلٌ عليه.

ومنهم من يفتح الفتاح له في صلة الأرحام، فلا يزال يزورهم، ويُحسِن إليهم، ويَبرُّهم، ويأتيهم ويأتونه.

ومنهم من يفتح الفتاح له في مساعدة المحتاجين، وإغاثة الملهوفين، وتفريج كربات المكروبين، وتسديد ديون الغارمين، وكفالة اليتامى والمساكين والمعوزين، وحمل الأرامل والفقراء، ورعايتهم، ومواساتهم.

عرف ربَّه الفتاح مَن رأى إمهاله للظالمين، واستدراجه للمجرمين، فلم يركن إليهم.

ومنهم من يفتح الفتاح له في باب الاحتساب، فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، ويصبر على الأذى، ولا يزال يلاحق المنكرات، ويتتبَّعُها، ويحذِّر منها.

ومنهم من يفتح الفتاح له في باب الشفاعة والإصلاح بين الناس، فيفك أسيرًا، ويحقن دمًا، ويمنع باطلاً، ويحجز ظلمًا، ويقيم حقًّا، وبمثله تُردُّ الزوجة إلى زوجها، والزوج إلى زوجته.

ومنهم من يفتح الفتاح له في باب العلم وتعليمه، فيكون عنده من الحفظ والفهم والإتقان، والقدرة على التأليف والتدريس والتصنيف والتعليم ما يفتح له.

ومنهم من يفتح الفتاح له في الدعاء.

مَرَّ **أبو جعفر محمدُ بنُ علي** على **محمدِ بن المنكدر** وهو مَغْمُومٌ، فسأل عن سبب غمه، فقيل له: الديْنَ قد فَدَحَه. فقال **أبو جعفر**: أفُتِحَ له في الدعاء؟ قيل: نعم، قال:

لقد بورك لعبد في حاجة أكثر منها من دعاء ربه كائنة ما كانت[١].

الثامن: الفتح الموسمي

إن فتح الله لك باب خير، فرأيت في صدرك انشراحًا له، وفي قلبك إقبالاً عليه، ورأيت تيسير أمورك فيه، فازدد منه، وانتهز الفرصة.

قال **خالد بن معدان**:

«إذا فُتِح لأحدكم باب خير فليُسرع إليه، فإنه لا يدري متى يُغلق عنه»[٢].

ليس في كلِّ ساعة وأوان ... تَتَهيَّأ صنائعُ الإحسان

فإذا أمْكَنَتْ فبادِرْ إليها ... حذَرًا من تعذُّر الإمكان

التاسع: الفتح السلبي

وهو الاستدراج، فيفتح الله على بعض أهل المعاصي من الرزق ما يغترون به، ويكون سبب هلاكهم، وهذا من مكر الله بهم.

كما قال سبحانه:

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

(١) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا رقم: ٢٠.
(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢١١.

ما عرف ربه الفتاح مَن عميت بصيرته عن إمهال الله للظالمين، فركن إليهم، ووالاهم.





فتأمل معي مراحل الاستدراج الخمس:

أولاً: ﴿نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾:

أعرضوا، وعصوا، وأبوا، وتمردوا، وعاندوا.

ثانيًا: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾:

وهي صورة بليغة لإقبال الدنيا عليهم من كل أقطارها بجميع نعمها، وبكل قوتها وإغرائها؛ حتى ظنوا معها أن الله راض عنهم، فلماذا يعطيهم إن كان ساخطًا عليهم؟! فكان هذا من أشد تلبيس إبليس.

ثالثًا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾:

وهي مرحلة الفرح، فلما أتتهم ألوان العطايا من أبواب كثيرة فرحوا فرحًا أنساهم شكر النعمة، ومحاسبة النفس، فحان وقت المرحلة الرابعة المباغِتة.

رابعًا: ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾:

وفجأة انتقم الله منهم بلا مقدِّمات، والقوم في غفلة، وهو تدبير رباني بالخفاء، فكان وقعه أشد وأعظم ألمًا، فصاروا إلى المرحلة الخامسة.

خامسًا: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾:

ويسمونها ﴿إِذَا﴾ الفجائية، والإبلاس له ثلاثة معان في اللغة: الحزن والحسرة واليأس، فهؤلاء المستدرجون في غاية الحزن، متحسِّرون غاية الحسرة، ويائسون من الفوز بأي خير، ومن هنا سُمِّي إبليس؛ لأنه يُحزِن الذين ءامنوا، ويبث اليأس من رحمة الله في قلوبهم؛ لتصير أعمالهم عليهم حسرات، وفي الجملة الاسميةِ دلالة على استقرار تلك الحالة الفظيعة مع القوم.



رابعًا: فادعوه بها عبادة وعملًا

١- الدعاء باسم الفتاح

ادع ربَّك الفتاح أن يفتح عليك إذا انغلقت في وجهك الأسباب والأمور.

اللهم افتح لي أبواب فضلك.

افتح لي أبواب رزقك.

افتح لي أبواب فهمك.

عرف ربَّه الفتاح مَن دعاه أن يكون مفتاح خير، وسبب تفريج الكروب، وقضاء الحوائج.

افتح لي أبواب توفيقك.

٢- كن مفتاحًا للخير:

يقول النبي ﷺ:

«عند الله خزائن الخير والشر، مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وويلٌ لمن جعله الله مفتاحًا للشر، مغلاقًا للخير»[١].

فلا يكتفي المؤمن الطموح الذي يفهم اسم الله الفتاح بالصلاح، ويأبى إلا أن يعمل بالإصلاح، وكذلك الفاجر طموحٌ، يأبى أن يقنع بالفساد حتى ينشغل بالإفساد، فالأول تؤزُّه الملائكة، والثاني تؤزُّه الشياطين، فلكلٍّ منهما صيد: الملائكة تهدي المؤمنين، والشياطين تُضِلُّ الغافلين.

٣- الصبر في الدعوة على فتح القلوب

اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق.

قال **السُّدِّيُّ وَالْكَلْبِيُّ**:

«كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين، وأفضل الدينين، ففيه نزلت: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾»[٢].

أي: إنْ تستنصِروا فقد جاءَكُم النَّصر، وقد دعا النبي ﷺ:

«اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض».

فاستجاب الله له، ونصر جنده يوم بدر.

٤- خوف الاستدراج:

وقد سبق شرحه في الفتح السلبي، وفي هذا الخوف يقول **الحسن البصري**:

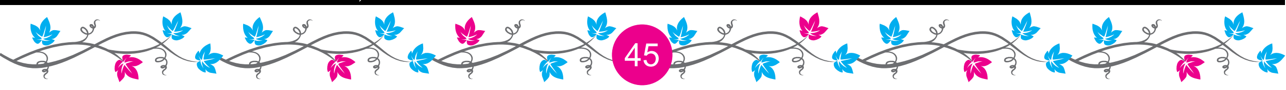
«من وَسَّع الله عليه، فلم ير أنه يُمكَر به، فلا رأي له، ثم قرأ الآية:

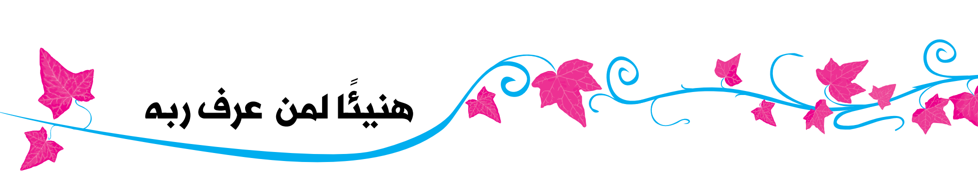
﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾

ثم قال: مُكِر بالقوم وربِّ الكعبة، أُعْطوا حاجتهم، ثم أُخِذوا»[٣].

(١) حسن: رواه الطبراني والضياء عن سهل بن سعد؛ كما في صحيح الجامع رقم: ٤١٠٨.
(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٤/ ٣٤٠ - أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي- ط دار إحياء التراث العربي.
(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢/ ٢٧١ - الواحدي - دار الكتب العلمية.

ما عرف ربه الفتاح مَن كان مفتاح شر، أو مغلاق خير، فتزداد به الكرُبات حدَّة، والمصائب شدة.





٥- خنق العجب

لأن الفتاح وحده من يفتح أبواب الخير لعباده، فانسب إليه كل خير؛ ولذلك رأيناهم يُسمُّون كتبهم فتح الباري، فتح المنعم، فتح المغيث، فتح الوهاب، فتح المعين، فتح القدير، فتح العزيز، فتح المجيد، فتح رب البرية، الفتح الرباني، وهذه كلها أسماء كتب من كتب المسلمين، ومنهم والد الإمام **حسن البنا** رحمه الله الذي ألَّف كتاب الفتح الرباني في شرح مسند الإمام **أحمد بن حنبل الشيباني**.



خامسًا: أسباب فتح الله للعبد

المفتاح الأول: التقوى

التقوى من أعظم أسباب فتح الرب للعبد، في الرزق، والبركة، والعلم، والطمأنينة، والدليل على ذلك قول الله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وما بقي بعد هذه الآية كلام!

فبالتقوى يأتيك الرزق، ويفتح الفتاح عليك من أبوابه، من تجارات، وبركة في بيعٍ، وشراء، وصفقات.

وصدق الشاعر:

عليــك بتقوى الله إن كنت جاهلاً ... يأتيك بالأرزاق من حيث لا تدري

وما أحلى قول **أبي الحسين الزنجاني** وهو يغريك باستعمال مفتاح التقوى ويبشِّرك بأرباحه:

«من كان رأس ماله التقوى كلَّت الألسن عن وصف ربحه»(١).

المفتاح الثاني: الدعاء

فكم من الأبواب المغلقة انفتحت بدعوة خاشعة؛ ولذا سنَّ لنا النبي ﷺ في بداية كل يوم أن ندعو ونقول:

«إذا أصبح أحدكم فليقل: أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم، فتحه، ونصره، ونوره، وبركته، وهداه، وأعوذ بك من شرِّ ما فيه، وشرِّ ما قبله، وشر ما بعده، ثم إذا أمسى

(١) الزهد للبيهقي ص ٣٣٥.

عرف ربَّه الفتاح مَن جعل هَمَّه فتح قلوب الناس، فدعا اللّه أن يفتح به القلوب المغلقة.

فليقل مثل ذلك»[1].

المفتاح الثالث: صلة الرحم

قال النبي ﷺ: «من أحبَّ أن يُبسَط له في رزقه، وأن يُنسَأ له في أثَرِه، فليصِل رَحِمه»[2].

فصلة الرحم مفتاح لخزانتين: الرزق الواسع، والذكر الجميل الرائع.

المفتاح الرابع: الصدقة

ومن المفاتيح: الصدقة، فمن يسَّر على معسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن فرَّج كربة مكروب فرَّج الله كربته في الدنيا والآخرة، ومن جميل الأحاديث ما قاله النبي ﷺ **لعائشة**:

«أنفقي ولا تُحصي، فيُحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك».

قال السندي:

«لا تمنعي ما في يدك؛ فيشدِّد الله عليك أبواب الرزق، وفيه أن السخاء يفتح أبواب الرزق والبخل بخلافه»[3].

سادسًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

«اللهم إني أسألك خير هذا اليوم، فتحه، ونصره، ونوره، وبركته، وهداه، وأعوذ بك من شرِّ ما فيه، وشرِّ ما قبله، وشر ما بعده».

نسألك باسمك الفتاح..

أن تفتح لنا أبواب رحمتك وفضلك.

نسألك باسمك الفتاح..

أن تجعلني مفتاح خير، مغلاق شر، وأن لا تجعلني مغلاق خير، مفتاح شر.

نسألك باسمك الفتاح..

أن تفتح لنا أبواب الرزق الحلال، وتجعله عونًا لنا على طاعتك.

(١) حسن: رواه أبوداود عن أبي مالك الأشعري؛ كما في صحيح الجامع رقم: ٣٥٢.
(٢) صحيح: رواه الشيخان عن أنس وأحمد والبخاري عن أبي هريرة؛ كما في صحيح الجامع رقم: ٥٩٥٦.
(٣) حاشية السندي على سنن النسائي ٥/ ٧٤، ٧٥.

نسألك باسمك الفتاح..

أن تفتح لنا بالتقوى كل ضيق، وتجعل لنا بها المخرج من كلِّ شدة.



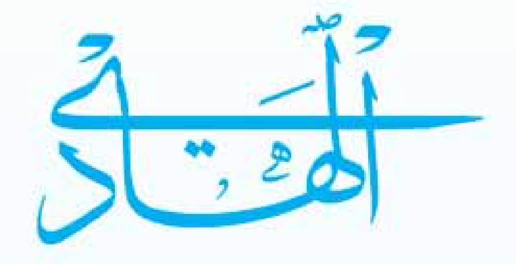
سابعًا: حاسِبْ نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تدعو الله بالفتح عندما تواجه الإغلاق الإيماني أو الدنيوي؟			
٢	هل تثق في قدرة (الفتاح) في أن يفتح لك ما أُغلِق عليك؟			
٣	هل تحرص على أن تكون مفتاح خير لغيرك، وتحدِّث نفسك بالانتقال من دائرة الصلاح إلى دائرة الإصلاح؟			
٤	هل تصبر على من تدعوه حتى يفتح الله قلبه لك؟			
٥	هل تذكر نعمة الله عليك في ما فَتَح عليك من نعم، ولا تنسبها لنفسك وفضلك؟			
٦	هل تدعو الله بأن يفتح عليك أوَّل كل يوم (اللهم إني أسألك خير هذا اليوم.. فتحَه، ونصرَه، ونورَه، وبركَتَه، وهُداه)؟			
٧	هل تستعمل بانتظام أيًّا من هذه المفاتيح الأربعة: الصدقة- التقوى- الدعاء- صلة الأرحام؟			



فاستهدوني أهدِكم

الدَّالُّ والمبيِّن لسبيل النَّجاة؛ لئلَّا يَزيغ العبد ويضلَّ فيَهلِك، وبهدايته اهتدى الخلق لما يُصلح حياتهم، واهتدى أهل ولايته في الدنيا إلى طاعته، وفي الآخرة إلى رحاب جنته.



أهدكم

فاستهدوني

هديته

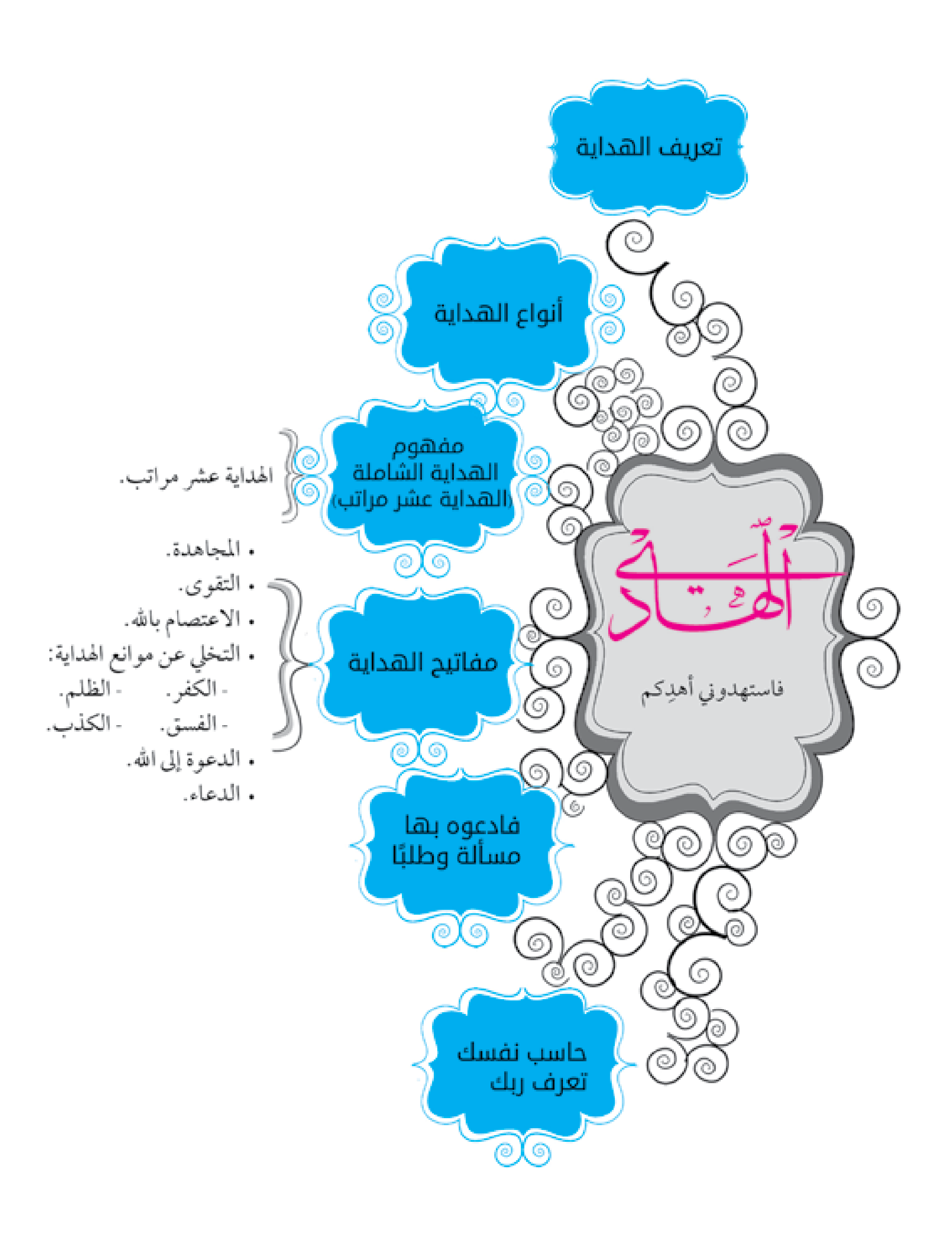
من

إلا

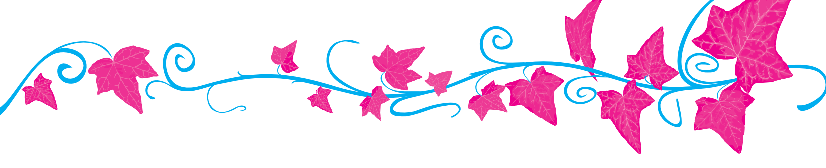
ضال

كلكم

يا عبادي !



الهادي
فاستهدوني أهدِكم
تعريف الهداية
أنواع الهداية
مفهوم
الهداية الشاملة
(الهداية عشر مراتب)
الهداية عشر مراتب.
مفاتيح الهداية
• المجاهدة.
• التقوى.
• الاعتصام بالله.
• التخلي عن موانع الهداية:
- الكفر. - الظلم.
- الفسق. - الكذب.
• الدعوة إلى الله.
• الدعاء.
فادعوه بها
مسألة وطلبًا
حاسب نفسك
تعرف ربك



الهداية أكبر نعمة أنعم بها **الهادي** على عباده، وكل نعمة دونها زائلة؛ لذلك كان الراسخون في العلم أكثر الناس حرصًا على هذه النِّعمة، وهم يدعون بعدم زوالها: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

وقد جاء اسم **الهادي** في موضعين في القرآن:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

وقول الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾



أولاً: تعريف الهداية

قال **الراغب**:

«الهداية: دِلالةٌ بلُطْفٍ»(١).

فإن قيل كيف جعلت الهداية دلالة بلطف وقد قال الله تعالى:

﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات ٢٣] قيل: إن استعمال اللفظ هنا على سبيل التَّهكُّم، وهو مبالغة في المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة ٣٤].

قال **الزجاجي**:

«الهادي: يهدي عباده إليه، ويدلهم عليه، وعلى سبيل الخير والأعمال المقرِّبة منه عز وجل.

يقال: هديت الرجل الطريق هداية، وهديت الرجل في الدين هُدى، والهادي: الدليل.

ويقال: هديته الطريق، وهديته للطريق، وهديته إلى الطريق بثلاث لغات»(٢).



ثانيًا: أنواع الهداية

قال **ابن القيم** في كتابه بدائع الفوائد إن الهداية أربعة أنواع، وكلها يشملها اسم الله **الهادي**:

«الهداية أربعة أنواع:

أحدهــا: الهداية العامة المشتـركة بيـن الخلق، المذكورة فـي قوله تعالى ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته،

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٦٠ - الراغب الأصفهاني.
(٢) اشتقاق أسماء الله ١/ ١٨٧ - أبو القاسم الزجاجي - مؤسسة الرسالة.

عرف ربه الهادي من أدّى زكاة الهداية، فهدى غيرَه بعد أن اهتدى.

وأعطى كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه لما خلقه له من الأعمال.

الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجْدَي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك.

وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التــام، فإنها سببٌ وشرط لا موجِب؛ ولهذا ينتفي الهدى معها، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

الثالث: هداية التوفيق والإلهام، وهي المذكورة في قوله تعالى:

﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣].

الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهداية إلى الجنة أو النار، إذا سيق أهلهما إليهما»[١].

الهداية هدايتان

قال الله تعالى عن وصف رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى٥٢].

وقال في موضع آخر:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص٥٦].

في الآية الأولى أثبت الله لرسوله ﷺ الهداية، وفي الآية الثانية نفى عنه ذلك، فكيف نوفق بين الآيتين؟!

بالرجوع إلى كتب التفسير تبيَّن لنا أن الهداية هدايتان:

أ - هداية الدلالة والإرشاد:

وهذه هي المثبتة في حق النبي ﷺ فهو يهدي: أي يدل ويرشد، ويبين الصراط المستقيم، والطرق الموصلة إليه، وكذلك القرآن الكريم، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء ٩].

ب - هداية التوفيق والسداد:

وهذه هي المنفية عن النبي ﷺ وعن غيره، فهي خاصة بالله عز وجل، فهو وحده الذي يوفق، ويسدد من يستحق الهداية والصلاح.

من هداه نَصرَه

قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١] أي: أن الله تعالى سيهديك إلى الطريق الذي

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٣٦، ٣٧ بتصرف - ابن قيم الجوزية - دار الكتاب العربي.

ما عرف ربه الهادي مَن توقف في الهداية عند درجة ثابتة، وسرعان ما نزل عنها وتقهقر.



بمقتضاه تنتصر على هؤلاء جميعًا.

لما نزل قوله تعالى: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] قال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: أيُّ جمع هذا؟ فتعجب، كيف سنهزم هؤلاء ونحن عاجزون حتى عن حماية أنفسنا؟ ولا نبيت إلا في السلاح، ولا نصبح إلا في السلاح!، فلما وقعتْ بدر وهُزِم المشركون، وحُصدت أرواح صناديدهم، قال: صدق الله: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

فكيف حدث هذا؟ حدث من هداية الله لرسوله ﷺ لأسباب النصر، والله تبارك وتعالى ينصر بالشيء وضده، ومن لم يهده الله لأسباب النصر لم ينتصر، وما النصر إلا من عند الله.

ثالثًا: مفهوم الهداية الشاملة

للهداية عشر مراتب، وليست واحدة، وكلها تدخل في دعائك: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، وكما تتفاوت درجات الجنة، فكذلك تتفاوت درجات الهداية، وقد جعلها ابن القيم عشر مراتب، وأنا أسوقها هنا مع مثال توضيحي وهو الصلاة، وجعلتُ كلامي شارحًا لكلام الإمام بين قوسين لمزيد الإيضاح، ويمكن إسقاط هذه المراتب على أي عبادة أخرى، وليس الصلاة فحسب.

قال رحمه الله:

«ثم يشهد من ﴿ٱهۡدِنَا﴾ عشر مراتب، إذا اجتمعت حصلت له الهداية.

المرتبة الأولى: هداية العلم والبيان، فيجعله عالمًا بالحق، مدركًا له [يعلم فضل الصلاة، وأنها فريضة].

الثانية: أن يُقدِّره عليه [يقدر ببدنه على القيام بواجب ربه].

الثالثة: أن يجعله مُريدًا له [يرزقه الله الرغبة في أداء الصلاة، وإرادتها، فإن قلبه قد يكرهها ولا يطيقها، لولا عون الله].

الرابعة: أن يجعله فاعلاً له [أن يقيم الصلاة فعلاً].

الخامسة: أن يثبِّته على ذلك، ويستمر به عليه[1]. [فكثير من الناس يصلي، ثم ينقطع ولا يواظب، وهي آفة كثيرين].

(١) قال **ابن القيم**: «والخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت، فأثبت الناس قلبًا: أثبتهم قولًا».. فمن كان معجبًا بهدايته، فليعرف أنه لا يضمن الثبات عليها حتى الممات، وليقرأ كيف كان الإمام المحدِّث الرباني بشر بن منصور الزاهد يصلي فيطوِّل، ورجل وراءه ينظر ففطن له، فلما انصرف قال: لا يعجبك ما رأيت مني، فإن إبليس قد عبد الله دهرًا مع الملائكة!

عرف ربه الهادي مَن جاهَد نفسه للفوز بهداه، وتحصيل رضا مولاه.

السادسة: أن يصرف عنه الموانع والعوارض المضادة له [فقد يكون مشغولاً بأعماله، أو أمواله، أو تكون مشغولة بعيالها عن صلاتها، وحق ربها].

السابعة: أن يهديه في الطريق نفسها هداية خاصة، أخص من الأولى، فإن الأولى هداية إلى الطريق إجمالاً، وهذه هداية فيها، وفي منازلها تفصيلٌ [فيكون هذا المهتدي طموحًا في هدايته، فيرجو من الله أن يهديه إلى الخشوع في الصلاة، وأن يهديه إلى قيام الليل، وإلى المحافظة على السنن الرواتب، وصلاة الضحى، والوتر].

الثامنة: أن يُشهِدَه المقصود في الطريق، ويُنَبِّهه عليه، فيكون مطالعًا له في سيره، ملتفتًا إليه، غير محتجب بالوسيلة عنه [أن يرى في الصلاة صلة بالخالق، وغرضها: بلوغ رضاه، فليس الغرض القيام بمظاهر الصلاة فحسب، بل بلوغ مقاصدها، ورُبَّ مُصَلٍّ وصلاته تدعو عليه، وكم من داعٍ دعاؤه مردودٌ عليه].

التاسعة: أن يُشهِده فقره وضرورته إلى هذه الهداية فوق كل ضرورة [فلولا الله ما اهتدى، ولا ركع ركعة، ولا سجد، وهذه الهداية أهم إليه من طعامه وشرابه، فبدونها حسرةٌ وكَبَد في عذاب الأبد].

العاشرة: أن يشهده الطريقيْن المنحرفَيْن عن طريقها، وهما طريق أهل الغضب، الذين عدلوا عن اتباع الحق قصدًا وعنادًا، وطريق أهل الضلال الذين عدلوا عنها جهلاً وضلالاً، ثم يشهد جمع الصراط المستقيم في طريق واحد عليه جميع أنبياء الله ورسله، وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين [وأعظم ما يعرِّفه هذه الهداية أن يعرف مثال من انحرف عنها من المغضوب عليهم والضالين، ومثال الذين أنعم الله عليهم بها، فيعلم أن ثمرة صلاته المرجوَّة هي النجاة من غضب الله عليه والضلال، وأن يرزقه نعمة الهداية التي رزقها الأنبياء والصالحين].

فهذا هو الجمع الذي عليه رسل الله وأتباعهم، فمن حصل له هذا الجمع، فقد هُدِي الصراط المستقيم»[1].



رابعًا: مفاتيح الهداية

إن الهداية هدايتان. قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].. هداهم أولاً فاهتدوا، فزادهم هدًى ثانيًا.

كما أن توبة الله كذلك نوعان: توبة إذنٍ وتوفيق، وتوبة قبولٍ وإمداد، فتاب الله عليهم أولاً أي أذِن لهم في التوبة، وحبَّبهم فيها، ثم قبِلها منهم، وأعانهم عليها.

ولعل هذا من أسرار اسمي الأول والآخر.

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٧٢ – ابن قيم الجوزية – دار الكتاب العربي.

ما عرَف ربه الهادي مَن لم يجاهد هواه لبلوغ هداه، واستسلم لشيطانه، وأرضاه.



فما هي المفاتيح التي تفتح خزائن الهداية للعبد، فينعم بها؟!

والجواب:

مفاتيح الهداية كثيرة، وكلُّ من ضلَّ الطريق واشتكى من الغواية؛ فعليه اليوم أن يتعرف على هذه المفاتيح ويستعملها، بدلا من أن يشكو حظه العاثر أو يتعلَّل بأقدار الله في حرمانه من الهدى، ومن هذه المفاتيح:

١- المجاهدة:

فما الدليل عليه؟!

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾.

قال **أبو حامد الغزالي**:

«فالمجاهدة مفتاح الهداية، لا مفتاح لها سواها»[(١)].

والمجاهدة هي الصبر على الطاعات مهما كانت العقبات، وغابت المحفِّزات والمعينات، والبعد عن المحرَّمات مهما كثرت الإغراءات والشهوات.

إن الهداية ولّادة، ومن جاهد نفسه في حفظ أوامر الله وحدوده؛ حفظه الله تعالى في بدنه وماله وأهله، والأهم من كل ذلك: حِفظه في دينه، وسلَّمه من الزيغ والضلال، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾.

وأعلى المجاهدة: جهاد العدو؛ ولذلك فأعظم الناس هداية هم المجاهدون والمرابطون على الثغور، وهذا ما استنبطه شيخ الإسلام **سفيان بن عيينة**، فقاله **لعبد الله بن المبارك**:

«إذا رأيت الناس قد اختلفوا، فعليكَ بالمجاهدين وأهلِ الثغور، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾»[(٢)].

٢- التقوى:

وقد صرَّح القرآن بأن التقوى مفتاح عظيم من مفاتيح الهداية، ففي صدر المصحف وفي سورة البقرة وصف الله كتابه بأنه: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

فلا تتعجب بعد اليوم من غياب الهداية عن من غابت عنه التقوى، وأشفِق على الفاسقين الذين صنعوا أقفالاً شديدة الإحكام على قلوبهم بفِسْقِهم، وطول بُعدِهم عن الله وغيابهم.

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٣٩ - أبو حامد الغزالي - دار المعرفة.
(٢) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٦٥ - القرطبي - دار الكتب المصرية.

عرف ربه الهادي مَن دعا ربه أن يجيره من الظلم، فلا يظلِم ولا يُظلَم.

٣- الاعتصام بالله

قال الله تعالى:

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

لكن.. هل الفضل في اعتصامك بالله راجعٌ إليك؟!

كلا والله، ولذا قال الإمام **القُشيري**:

«من لم يهدِه الله فمتى يعتصم بالله؟ فالهداية منه فى البداية توجب اعتصامك فى النهاية، لا (أن) الاعتصام منك يوجب الهداية»(١).

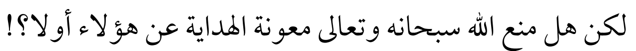
وحقيقة الاعتصام: صدق اللجوء إلى الله، ودوام الفرار إليه، واستصحاب الاستغاثة به.. وإلا فالوقوع في بئر الضلال والغواية، ومن لم يجعل الله نورًا فما له من نور، ومن يهد الله فهو المهتد، فكيف يفوز بالهداية من لم يعتصم بخالق الهداية وواهبها؟!

ولهذا قال **ابن كثير**:

«فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العُمدة فى الهداية، والعُدَّة فى مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد وطريق السداد وحصول المراد»(٢).

٤- التخلي عن موانع الهداية

الكفر والظلم والفسق والكذب من أهم موانع الهداية، وهي أقفال يُغلِق بها الشيطان بوابة القلب، فيحرمه من الأنوار، ويرميه في ظلمات الغواية.



لكن هل منع الله سبحانه وتعالى معونة الهداية عن هؤلاء أولا؟!

أم أنهم ارتكبوا من موجِبات الضلال ما جعلهم لا يستحقون هداية الله؟!

إن أشد العقوبات الإلهية على الإطلاق: حرمان الهداية، وليس حرمان الرزق المادي والمتاع الدنيوي، ومن أخطر أنواع الحرمان: تزيين الحق باطلاً، والباطل حقا، ويكون هذا عقوبةً من الربِّ على معصية العبد، أو كما قال **ابن القيم**:

«فتزيينه سبحانه للعبد عمله السيء عقوبةً منه له على إعراضه عن توحيده وعبوديته، وإيثار سيء العمل على حسنه، فإنه لا بد أن يعرِّفه سبحانه السيء من الحسن، فإذا آثر القبيح واختاره، وأحبه، ورضيه لنفسه

---

(١) لطائف الإشارات ١/ ٢٦٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٨٦ - ط دار طيبة للنشر والتوزيع.

ما عرف ربه الهادي مَن ظلم غيره فضلَّ طريق الهداية.





زيَّنه سبحانه له وأعماه عن رؤية قبحه بعد أن رآه قبيحًا، وكل ظالم وفاجر وفاسق لا بد أن يُريَه الله تعالى ظلمه وفجوره وفسقه قبيحًا، فإذا تمادى عليه ارتفعت رؤية قبحه من قلبه، فربما رآه حسنًا عقوبة له، فإنه إنما يُكشَف له عن قبحه بالنور الذي في قلبه، وهو حجة الله عليه، فإذا تمادى في غيِّه وظلمه ذهب ذلك النور، فلم يَرَ قبحه في ظلمات الجهل والفسوق والظلم»(١).

الكفر:

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾

وللآية تأويلان:

الأول: لا يعينهم على بلوغ غرضهم.

الثاني: لا يهديهم إلى الجنة.

الظلم:

وهو من أكبر موانع الهداية، وفي القرآن ست آيات ختمها الله بقوله:

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وأربع آيات ختمها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

فعشر آيات في كتاب الله تقرِّر عقوبة (حرمان الهداية) للظالم على ظلمه، فالله لا يهدي الظالمين للتوبة والرجوع إلى الإيمان، بل يذرهم في طغيانهم يعمهون؛ حتى يأخذهم بعذاب أليم؛ ولذا قلَّما تجد ظالمًا قد تاب، أو ردَّ المظالم لأهلها وأناب، وهذا والله من شؤم الظلم على صاحبه، وأشد عقوباته عليه.

القصاص طريق السلامة

قال ابن الجوزي:

«وكان يُقرأ عنده **(الوزير ابن هبيرة)** الحديث في كل يوم بعد العصر، فحضر فقيه مالكي، فذكَرتُ مسألة، فخالف فيها ذلك الفقيه، فاتفق الوزير وجميع العلماء على شيء، وذلك الفقيه يخالِف، فبدر من الوزير أن قال له: أحمارٌ أنت؟! أما ترى الكلَّ يخالفونك، وأنت مُصِرٌّ!

فلما كان في اليوم الثاني، قال الوزير للجماعة: جرى مني بالأمس ما لا يليق بالأدب، حتى قلت له تلك

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ١/ ١٠٣، ١٠٤ – ابن قيم الجوزية – ط دار المعرفة.

عرف ربه الهادي مَن خاف حرمان الهداية، فلم يكذب، ولم يظلم، ولم يفسق.

الكلمة، فليقل لي كما قلت له، فما أنا إلا كأحدكم، فضجَّ المجلس بالبكاء، وأخذ ذلك الفقيه يعتذر، ويقول: أنا أوْلى بالاعتذار، والوزير يقول: القصاص.. القصاص.

فقال **يوسف الدمشقي**: يا مولانا، إذا أبى القصاص، فالفداء.

فقال الوزير: له حكمه.

فقال الرجل: نعمك عليَّ كثيرة، فأي حكم بقي لي؟!

قال: لا بد.

قال: عليَّ بقيةُ دَيْنُ مائة دينار.

فقال: يُعطَى مائة دينار لإبراء ذمته، ومائةً لإبراء ذمتي، فأُحضِرَت في الحال، فلما أخذها قال الوزير: عفا الله عنك وعني، وغفر لك ولي»[(١)].

الفسق:

حين تجِد ضالًّا لا يهتدي رغم سطوع شمس الحقيقة بين يديه، وتتابع البراهين والدلائل عليه، فاعلم أن الفسق قد ملأ ما بين جنبيه ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

قال **قتادة** في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ في التفسير:

«فسَقوا، فأضلَّهُم الله على فِسْقِهِم»[(٢)].

إن سعي العبد إذًا.. من أسباب هدايته أو ضلالته، والله لا يظلم الناس شيئًا، وقد أبان ذاك **ابن القيِّم** حين قال:

«الهداية تجرُّ الهداية، والضّلال يجرّ الضَّلال، فأعمال البرِّ تثمر الهدى، وكلما ازددت منها ازداد الهدى، وأعمال الفجور بالضِّدِّ، وذلك أن الله سبحانه يحبُّ أعمال البرِّ فيجازي عليها بالهدى والفلاح، ويبغض أعمال الفجور، ويجازي عليها بالضَّلال والشَّقاء»[(٣)].

والهداية هي أول حلقة في سلسلة إنعام ربانيٍّ يتوالى على العبد كلما استزاد منها، وهو ما دفع **ابن القيم** إلى أن يرصَّ هذه النعم المتوالية بجوار بعضها البعض؛ ليغريك بسلوك طريقها، ويبعث الحماسة للهداية في قلبك، فقال رحمه الله:

«فالهدى والفضل والنِّعمة والرَّحمة متلازماتٌ، لا ينفكُّ بعضها عن بعض، كما أن الضلال والشقاء

(١) المنتظم ١٠/ ٢١٥.
(٢) تفسير ابن كثير ١: ١١٩، والدر المنثور ١: ٤٢، والشوكاني ١: ٤٥.
(٣) الفوائد ١/ ١٢٩ – ط دار الكتب العلمية.





متلازمان، لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر»[١].

الكذب:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

وذكر النبي ﷺ في حديث عذاب القبر الرجل يُعذَّب في قبره عذابًا شديدًا؛ لأنه كان يكذب الكذبة تبلغ الآفاق، فكلما زاد مدى الكذب وانتشاره كلما زاد ضلال الكاذب وبُعده عن ربه، ومن ثمَّ زاد عذابه وهوانه.

٥- الدعوة إلى الله

كلما دعوت غيرك إلى الخير لتهديه؛ كلما كافأك الله بمزيد الهداية.

قال ابن القيم:

«كما أَن هدايته للْغَيْر وتعليمه ونصحه يفتح لَهُ بَاب الهداية، فإن الجزاء من جنس العمل، فكلما هدى غيره وعلَّمه هداه الله وَعلَّمه، فيصير هاديا مهديا كما في دعاء النَّبِي ﷺ الَّذي رواه **التِّرمذي** وغيره: **اللهمَّ زيِّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**»[٢].

قم بدلالة الناس على الخير مقتفيًا في ذلك أثر رسول الله ﷺ الذي أثنى عليه ربه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] فأرشد الناس إلى كل خير، وقد قال الله: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

واسمع كيف هدى **الهادي** قلوب من ضلَّوا وأضلوا على يد عبد من عباده، فأخرج به الحي من الميِّت، وذلك على يد الصحابي الجليل **خالد بن الوليد** رضي الله عنه:

فتح **خالد بن الوليد** رضي الله عنه حصن عين التمر، ووجد فيه كنيسة، وفيها جماعة سباهم، ومنهم أربعون غلامًا يتعلمون الإنجيل ليبشِّروا به، فقسَّمهم على جنده، فمنهم من أخذ غلامه ورباه، ومنهم من باعه على أهل مدينته، فكان من هؤلاء الغلمان:

(سيرين) الذي اشتراه **أنس بن مالك الأنصاري** وأعتقه، وهو والد الفقيه المعروف **محمد بن سيرين**.

الغلام **(نصير)** وهو والد الفاتح الإسلامي، والقائد الشهير **موسى بن نصير**.

(يسار) جدُّ **محمد بن إسحاق** كاتب السيرة![٣].

---

(١) الفوائد ١/ ١٣٤.
(٢) رسالة ابن القيم إلى احد إخوانه ١/ ١٠ - تحقيق عبد الله بن محمد المديفر - مطابع الشرق الأوسط - الرياض.
(٣) فتوح البلدان ١/ ٢٤٤ - البَلَاذُري - ط دار ومكتبة الهلال- بيروت.

عرف ربه الهادي مَن دعا ربه بالهداية لنفسه، وأن يكون سببًا في هداية غيره.



٦- الدعاء

من أهم مفاتيح الهداية، ويكفي في فضله قول ربنا في الحديث القدسي الأشهر: «فاستهدوني أهْدِكم».

وإليك ثمانِ أدعية نبوية تواظب عليها؛ تعينك على استجلاب الهداية، والحفاظ عليها:

الأول:

دعاؤك في كل ركعة من ركعات الصلاة:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾..

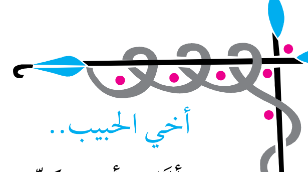
ومعها يقول الله جل جلاله مجيبًا: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

فرض الله على عبده أن يسأله الهداية في أفضل أحواله مراتٍ عديدة في اليوم والليلة، وهو ما يدل على رحمة الله بعباده، ويدل كذلك على شدة احتياج العبد وضرورته إلى هذه المسألة، فإنه محتاج إلى الهداية في كل نَفَس وطَرْفَة عَيْن.

وإنه صراط واحد، وسبيل متفرِّدة، وإنَّ انحراف بضع ملليمترات عنه في أول السير كفيلٌ بأن يجعل اتساع الفارق آخره شاسعًا.

ولذلك فالصراط المستقيم هو الطريق الذي ليس فيه أدنى اعوجاج ولو كان يسيرًا.

ولأنه طريق واحد؛ فقد سلَكَه قبلنا كل الذين أنعم الله عليهم، وقد عرَّفنا الله أصنافهم الأربعة، فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩].



أخي الحبيب..

تأمَّل وأنت تكرِّر هذا الدعاء أنك تطلب بذلك من الله أن تكون رفيق النبيين والصديقين والشهداء والصالحين..أي تطلب مرافقة أعلى الخلق منزلة وأعظمهم مكانة عند الله، ومعنى هذا أنك تدعو الله أن يسلك بك نفس الطريق الذي سلكوه؛ لترافقهم في أعالي درجات الجنة، وأسمى منازل الرضوان، ويا لها من همة عالية يرشدك الله إليها، وتهدي إليك الفاتحة مفاتيحها، وتدرِّبك عليها كلَّ صلاة.

ما عرف ربه الهادي مَن لم يسأل ربه الهداية، فوقع في ظلمات الضلالة والغواية.



الثاني:

دعاؤك بالهداية قبل صلاة التهجد، كما جاء في صلاة الليل حديث **عائشة** ﵂، قالت:

كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل:

«اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون.. اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(١).

قال **ابن القيم** في شرح رائع لهذا الدعاء:

«توسُّل النبي ﷺ إلى ربه بربوبيته لجبريل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختُلِف فيه من الحق بإذنه، فإن حياة القلب بالهداية، وقد وكَّل الله سبحانه هؤلاء الأملاك الثلاثة بالحياة.

فجبريل: موكل بالوحي الذي هو حياة القلوب.

وميكائيل: بالقطر الذي هو حياة الأبدان والحيوان.

وإسرافيل: بالنفخ في الصور، الذي هو سبب حياة العالم، وعود الأرواح إلى أجسادها.

فالتوسل إليه سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة له تأثير في حصول المطلوب»(٢).

الثالث:

في الدعاء النبوي الجامع: «واهدِني لأحسن الأخلاق وأحسن الأعمال؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وقِني سيئ الأخلاق والأعمال؛ لا يقي سيئها إلا أنت»(٣).

الرابع:

في قنوت الوتر كما جاء عن **الحسن بن علي** ﵄: علَّمني رسول الله كلماتٍ أقولهن في قنوت الوتر، فقال:

«اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقِنا شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت»(٤).

---

(١) صحيح: صحيح مسلم رقم: ٢٠٠ في باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.
(٢) زاد المعاد ٤/ ١٨٨.
(٣) صحيح: صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب رقم: ٢٠١ - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.
(٤) صحيح: صحيح النسائي عن الحسن بن علي رقم: ١٧٤٥ - باب الدعاء في الوتر.

عرف ربه الهادي من حفِظ أدعية الهداية المأثورة وحافظ عليها.

وفي قوله: «فيمَن هَدَيت» فوائد:

أحدها: أنَّه سؤال أن يُدخِلَه الله في جملة المهديين ورفقتهم، وحسن أولئك رفيقًا.

الثانية: أنَّ فيه توسلاً إلى الله بإحسانه وإنعامه، أي: يا رب، قد هَديتَ من عبادك خلقًا كثيرًا، فأحسِن إليَّ كما أحسنتَ إليهم، واهدني كما هديتَهم.

الثالثة: أنَّ ما حصل لهؤلاء من الهداية لم يكن منهم ولا بأنفسهم، وإنَّما كان من الهادي وحده.

الخامس:

عن **علي** رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ:

«قل: اللهم اهدِني وسدِّدني، واذكر بالهدى هدايتك الطَّريق، والسَّداد سداد السَّهم»[(١)].

أي تذكَّر حال دعائك بهذين اللفظين أن هادي الطريق لا يزيغ عنه، ومُسدِّد السهم يحرص على تقويمه، ولا يستقيم رميه حتى يقوِّم سهمه، وكذلك الداعي ينبغي أن يحرص على تسديد عمله، وتقويمه، وحفظه من الانحراف، وإلا لم يصب هدفه.

السادس:

«اللهم إني أسألك الهدى والتُّقى والعفاف والغِنى»[(٢)].

وما أعظمه من دعاء جمع فَوَفَّى..

فقد سأل الله (الهداية) الكاملة، و(التقوى) الشاملة، و(العفاف) عن الحرام، وكل ما لا يباح مع الكفِّ عنه، و(الغنى) الذي ينصرف لغنى القلب مع الاستغناء عما في أيدي الناس، إذ أن غنى الأعراض والأموال يحمل بين طياته الفقر من عدة وجوه: منها: الاشتغال بها، وخدمتها، والحاجة إلى رعايتها، وتكثيرها، مما يستعبد كثيرًا من الناس.

السابع:

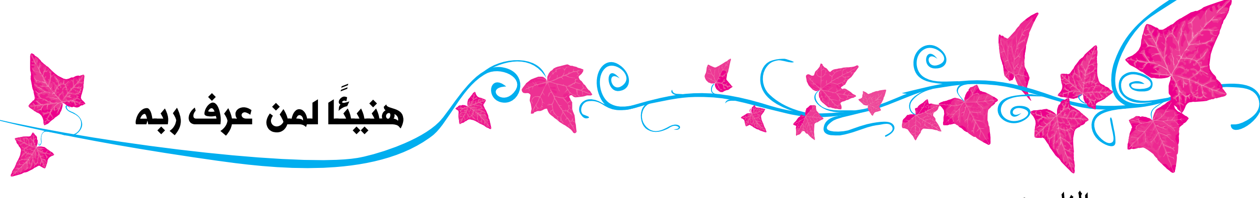
«اللهُمَّ ثَبِّتْني، واجعلني هَادِيًا مَهْدِيًّا»[(٣)].

وهو دعاء مقتبس من دعاء النبي ﷺ **لجرير بن عبد الله** رضي الله عنه، ويفتح باب الهداية من ضيق النفس إلى سعة الغير، ومن الصلاح إلى الإصلاح، ومن الأثرة إلى الإيثار.

---

(١) صحيح: رواه مسلم وأبوداود والنسائي عن علي؛ كما في صحيح الجامع رقم: ٤٤٠١.
(٢) صحيح: رواه مسلم والترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن مسعود؛ كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٧٥.
(٣) مستفاد من دعاء النبي ﷺ لجرير بن عبد الله رضي الله عنه في الرواية المتفق عليها من حديثه رضي الله عنه الذي أخرجه البخاريّ؛ كتاب الجهاد، باب: من لا يثبت على الخيل، برقم: ٣٠٣٦ ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل جرير بن عبد الله، برقم ٢٤٧٥.





الثامن:

كان من دعائه عليه الصلاة والسلام:

«اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»[(١)].

هذا دعاء الرسول ﷺ وهو الهادي المهدي المعصوم من الضلال، فكيف بنا نحن الضعفاء المعرَّضون لفتن الشبهات والشهوات!

والله إن حاجتنا لطلب الهداية من مالكها سبحانه أشد من حاجتنا آلاف المرات إلى الطعام والشراب، ولكن كثيرًا من الناس في سبات وغفلات.

إلهي، أجِرنا من عظيم ذنوبنا	ولا تُخزنا، وانظر إلينا برحمة
وخُذ بنواصينا إليك، وهب لنا	يقينًا.. يَقينًا كلَّ شكٍّ وريبة
إلهي، اهدنا فيمن هديت، وخُذْ بنا	إلى الحق نهجًا في سواء الطريقة
وكن شُغلنا عن كل شُغْلٍ وهَمَّنا	وبغيتنا عن كل هَمٍّ وبُغية
وصَلِّ صلاةً لا تَناهي على الذي	جعلتَ به مسكًا ختام النبوة

خامسًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

«اللهم إني أسألك خير هذا اليوم، فتحه، ونصره، ونوره، وبركته، وهداه، وأعوذ بك من شرِّ ما فيه، وشرِّ ما قبله، وشر ما بعده».

«واهدني لأحسن الأخلاق وأحسن الأعمال؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وقني سيئ الأخلاق والأعمال؛ لا يقي سيئها إلا أنت».

«اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقِنا شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت».

«اللهم اهدِني وسدِّدني».

«اللهم إني أسألك الهدى والتُّقى والعفاف والغِنى».

«اللهم ثَبِّتْني، واجعلني هادِيًا مَهْدِيًّا».

(١) صحيح: رواه مسلم عن ابن عباس، كما في صحيح الجامع رقم: ١٣٠٩.

عرف ربه الهادي من عرف أنواع الهداية العشرة، وعرف موقعه منهم.

أسألك باسمك الهادي..

سيِّرنا على صراطك، ولا تجعلنا نحيد عن مرضاتك.

أسألك باسمك الهادي..

خُذْنا منَّا، وتَولَّ أمرنا عنا، واقطع ما يقطعنا عنك، ولا تفتِنَّا.

أسألك باسمك الهادي..

تَوَلَّنا، ولا تُوَلِّ علينا غيرك فيُهلِكنا.



سادسًا: حاسِبْ نفسك تعرِف ربَّك



	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	كم مرة تدعو بالهداية كل يوم؟			
٢	هل تمتنع عن صوارف الهداية كالفسق والظلم والكذب مخافة الضلال؟			
٣	هل تدعو من ضلَّ الطريق، وتأخذ بِيَدِه؟			
٤	إن كنت مهتديًا، فهل تقصد بدعائك الثبات على الطريق؟			
٥	هل تجاهد نفسك في فعل الطاعات خاصة في الخلوات، وعند قلة الأعوان التماسًا لهداية الله؟			
٦	هل تحافظ على الأدعية الثمانية المأثورة الخاصة بالهداية؟			

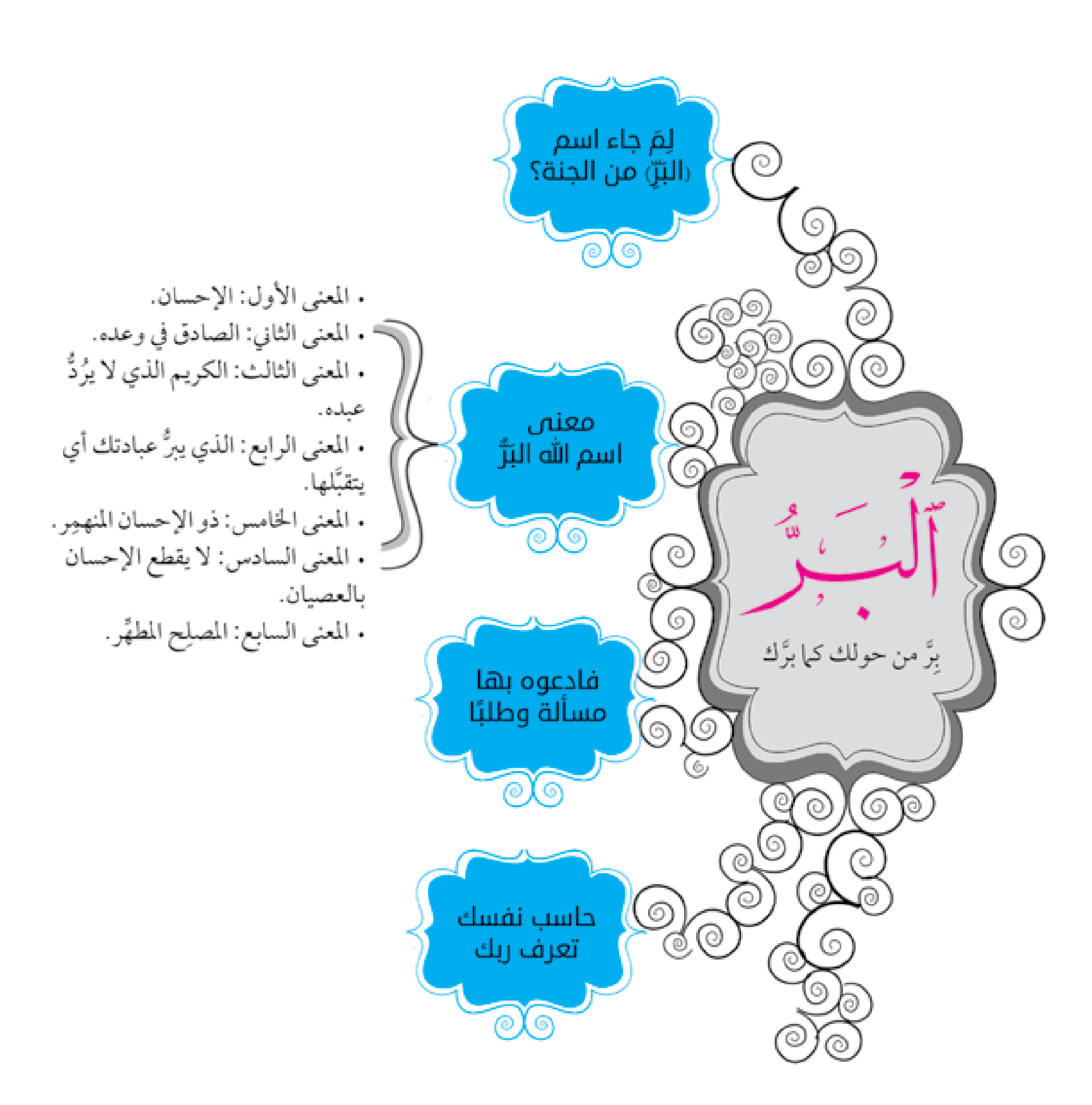
ما عرف ربه الهادي من استبعد على هداية الله أن تُدرِك أحدًا من خلقه.



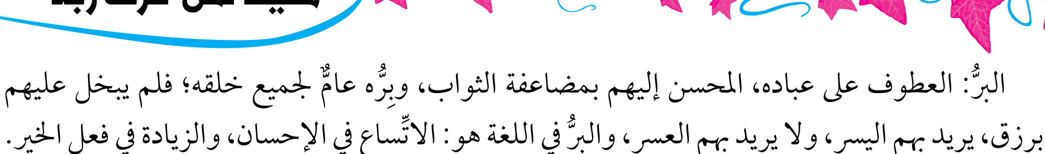
بِرَّ من حولك كما برَّك

صاحب الإحسان بلا حدود، فلا يرد عبده مهما أساء، والبِرُّ: خير الدنيا والآخرة، والله ييسِّر للعبد الخيرين بكرمه ورحمته.


86% 6:16 PM
نميمة 5:26 PM
رياء 5:26 PM
تقصير 5:26 PM
كذب 5:26 PM
ستر 5:28 PM
رزق 5:29 PM
صحة 5:29 PM
مال 5:29 PM
اللهم لا تقطع عنا برك ....



البَرُّ
بِرَّ من حولك كما برَّك
لِمَ جاء اسم
(البَرِّ) من الجنة؟
معنى
اسم الله البَرّ
• المعنى الأول: الإحسان.
• المعنى الثاني: الصادق في وعده.
• المعنى الثالث: الكريم الذي لا يُرُدُّ عبده.
• المعنى الرابع: الذي يبرُّ عبادتك أي يتقبَّلها.
• المعنى الخامس: ذو الإحسان المنهمِر.
• المعنى السادس: لا يقطع الإحسان بالعصيان.
• المعنى السابع: المصلِح المطهِّر.
فادعوه بها
مسألة وطلبًا
حاسب نفسك
تعرف ربك



البرُّ: العطوف على عباده، المحسن إليهم بمضاعفة الثواب، وبِرُّه عامٌّ لجميع خلقه؛ فلم يبخل عليهم برزق، يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، والبِرُّ في اللغة هو: الاتِّساع في الإحسان، والزيادة في فعل الخير.



أولاً: لِمَ جاء اسم (البَرّ) من الجنة؟!

ذكَر أهلُ الجنة ربهم بهذا الاسم بعد أن رأوا نعيم الجنة، وانبهروا بما رأوه، فأثنوا على الله باسمه البر، قائلين:

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

وجواب السؤال:

- لأن كل وعود البر قد تحقق.
- لأن البر استجاب دعاءهم في الدنيا فَوَقاهم عذاب السَّموم، وأدخلهم الجنة.
- لِمَا لقوا من عظيم الثواب في الجنة مما أدهش عقولهم، وكان أعظم بكثير مما بذلوه في الدنيا.
- ولأنهم رأوا إكرام البر لهم رغم تقصيرهم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾

هم الآن في الجنَّة، ويتحدَّثون عن ربِّهم:

﴿نَدْعُوهُ﴾

أي في الدنيا.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾

أي بَرٌّ رحيمٌ بنا في الدنيا والآخرة.

عن مسروقٍ عن **عائشة** أنَّها قرأَتْ هذه الآية:

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

فقالت: اللهم مُنَّ علينا وقِنا عذاب السَّموم إنَّك أنت الْبَرُّ الرَّحيم.

قيل **للأعمش**: في الصلاة؟

قال: نعم»[1].

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ٤٣٥.

عرف ربه البَرَّ مَن أكثر من دعائه، وألحَّ عليه طمعًا في ما لديه من عطائه.

والبَر أبلغ من البار.. نقول مثلاً علّامةٌ وعالِم، والعلاّمة أبلغ، والبَرُّ أبلغ من البارِّ، وإن كانا بمعنى واحد وهو المحسن، فنقول: فلان بارٌّ بوالديه، وأما إذا قلنا: فلان بَرٌّ أي تتالى بِرُّه، وتوالى إحسانه، وكثر عطاؤه، وكثر خيره وطاب.

والصدّيق لا يُسَمّى صِدّيقًا إلا لكثرة الصِّدق، والبَرُّ بِأُمِّه لا يُسَمَّى بَارًّا بزيارةٍ في الشهر أو مكالمة في الأسبوع.

ومعنى الآية: أن البـر لم يبخل علينا بشيء، فليس الحديث عنالخير من الله، بل عن كثرة الخير منه.

قال **الطاهر بن عاشور**:

«وضَمِيرُ الْفَصْل لإفادة الحصر، وهو لِقَصْر صفتي الْبَرُّ والرَّحِيم على الله تعالى، وهو قَصْرٌ ادِّعَائِيٌّ للمبالغة، لِعدم الاعتداد بِبرور غيره ورحمة غيره بالنِّسْبة إلى برور الله ورحمته باعتبار الْقُوَّة، فإنَّ غير الله لا يبلغ بالْمَبَرَّة والرَّحمة مبلغ ما لله، وباعتبار عموم المتعَلِّق، وباعتبار الدَّوام لأن الله بَرٌّ في الدُّنيا والآخرة، وغير الله بَرٌّ في بعض أوقات الدُّنْيَا وَلَا يَمْلِكُ فِي الْآخِرَة شَيْئًا»[1].

ثانيًا: معنى اسم الله البَرُّ

المعنى الأول: صاحب الإحسان بلا حدود

البـر هو (خَالق البِرِّ.. العطوف على عباده المحسن إليهم)[2].

(والبَرُّ ضِدُّ البحر، والْبَـرِّيَــةَّ: الصَّحراء، والجمْع: البَرارِيُّ)[3].

سُمِّيت كذلك لاتساعها، ويقال: أبرَّ الرجل إذا ركب البَرَّ.

وحين نقول: رجل البِر والإحسان، فهو الذي تواتر بِره ومعروفه، واشتُهِر به في البر والبحر.

واسأل نفسك:

كم مرة أنقذك ربك وقد أوشكت على الهلاك؟

كم مرة نصرك حين خذلك غيرك؟

(١) التحرير والتنـــوير، أو تحرير المعنى الســـديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيـد ٢٧/ ٥٨ - الطاهر بن عاشور التونسي- ط الدار التونسية للنشر.
(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ١/ ٨٤ - أبو الفضل السبتي - ط المكتبة العتيقة ودار التراث.
(٣) مختار الصحاح ١/ ٣٢ - الرازي - ط المكتبة العصرية.





هذا بِرُّ المخلوق.. فكيف ببر الخالق!؟

خرج أحد الأمراء يجوب بلدة **حاتم الأصم** يومًا، فاجتاز على باب حاتم، فاستسقى الماء، فلما شرب رمى إليهم شيئًا من المال، ففرح أهل الدار سوى ابنته الصغيرة، فإنها بكت فقيل لها: ما يبكيك؟! فقالت: مخلوق نظر إلينا فاستغنينا، فكيف لو نظر إلينا الخالق؟!

وكثرة دعائنا في كل المواضع هو في حقيقته تعرُّض لبِرِّ الله وعطائه الذي لا سقف له.

لذا كان رسول الله ﷺ لا يفتر لسانه عن الدعاء في المواطن كلها.

وحتى بعد دخول الجنة.. يتزايد بِرُّ الله بعباده، ويتضاعف كلَّ جمعة كما جاء في الحديث، فلا منتهى لنعيم الجنة ولا حدود، ويكفيك أن **البر** وعدك بالمزيد في يوم المزيد!

أآيَسُ من بِــرٍّ وَجودُك واصــلٌ	إلـــى كلِّ مخلــوق وأنت كريــم
وأجزع من ذنب وعفــوك شامل	لكلِّ الورى غوثًا وأنت رحيــم
وأجهد في تدبيــر حالي جهالــةً	وأنت بتدبيـــرِ الأنــام حكيــم
وأشكو إلى نَعماك ذُلّي وحاجتي	وأنت بِحالــي يا عزيــز عليــم

المعنى الثاني: الصادق في وعده

في لسان العرب: «البَرُّ: الصادق»[1].

وقد تكرَّرت عبارة ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ في القرآن عشر مرات، فهو سبحانه لا يُخلف وعدًا من وعوده، حاشاه.

وفرْقٌ بين وعد الله ووعد الناس؛ لأنك قد تعد إنسانًا بخير، ثم تحول الأسباب بينك وبين إنفاذ وعدك، كأن تنسى أو تغيِّر رأيك، أو تضعف إمكاناتك، أو يزول الدافع الذي دفعك لهذا الوعد.

فأنت لا تملك إذًا عناصر الوفاء كلها، وأما وعد الحق سبحانه وتعالى فوعدٌ محقق؛ حيث لا توجد قوة تستطيع أن تحول بين الله ومراده، ولا شريك له سبحانه يراجعه في إنفاذ وعده، وسبحانه لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فما دام الوعد وعدَ الله، فثِقْ أنه متحقِّق واقع.

ووعود الله إمَّا دنيوية بالرزق والعطاء والنصر، أو أخروية بالثواب والعقاب، ولا فارق عند الله بين وعد أخروي ودنيوي، فالمشكاة واحدة، والقدرة خارقة، ومحالٌ أن يُخلِف **البر** وعده، ومن صدَّقه في وعود الآخرة بالجنة والنار، فكيف يشكُّ في وعود الدنيا بنصر أوليائه ومحق أعدائه؟!

(١) لسان العرب لابن منظور ٤/ ٥٢ - دار صادر.

عرف ربه مَن رأى بِرّ ربه به في الدنيا قبل الآخرة.

وهذا التصديق هو نبع اليقين، وإليك نماذج من هذه الوعود الإلهية كما وردت في الأحاديث النبوية:

- تريد أن تقنعني أنك مصدِّقٌ أن «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرِسَتْ له بها نخلة في الجنة»، ثم أراك تضيِّع الساعات الطوال من غير ذكر!
- تريد أن تقنعني أنك مصدِّقٌ أن «ما نَقَصَ مالُ عبدٍ مِنْ صَدَقة»، ثم تبخل بمالك عن غيرك، ولا تؤثره على نفسك.
- تريد أن تقنعني أنك مصدِّقٌ أنَّ «من ترك شيئًا لله، عوَّضهُ اللهُ خيرًا منه»، ثم لا أراك تترك ما تهوى؛ رجاء ما هو أعلى وأغلى!
- تريد أن تقنعني أنك مصدِّقٌ أن الله يتنزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل؛ ليستجيب لك، ويحقق مطالبك، وأنت لا تقوم من نوم، ولا تفزَع إلى صلاة!
- تريد أن تقنعني أنك مصدِّقٌ أن كل يوم تصومه يباعدك عن النار سبعين خريفًا، ومع ذلك لا تصوم!
- تريد أن تقنعني أنك مصدِّقٌ أن «من صلى الفجر فهو في ذِمَّة الله»، ثم تنام عنه ولا تصليه، وتتهاون فيه!
- تريد أن تقنعني أنك مصدِّقٌ أنك إن وضعت يدك على موضع ألَـمِك، وقلت: بسم الله ثلاثًا، ثم قلت سبع مرات: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذِر»، فإنك ستُشفى، ثم بعد ذلك أسمعك تقول لي: سأجرِّب!

ويحك!

البـر لا يُجرَّب معه، بل لا يُعامل إلا بيقين.

وهكذا يجب عليك أن تحفِّز نفسك، وتستنهِضها مع كل وعد من وعود ربنا البـر.

المعنى الثالث: الكريم الذي لا يَرُدُّ عبده

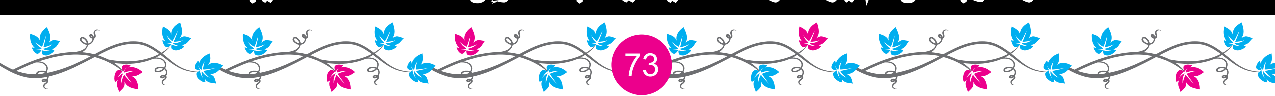
وهو الذي يَبَرُّ عبده بإجابة دعائه؛ ولذا ذكر أهل الجنة هذا العمل الجليل بينما يتنزهون في أرجاء الجنة:

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٨]

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

كُنَّا عند رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «إنَّ مَثَلَ المؤمن كَمَثَلِ شجرةٍ، لا يَسْقُطُ لها أُنْمُلَة.. أَتدرون ما

ما عرف ربه مَن لم يرَ ستر الله عليه في عبادته وإن كانت ناقصة معيبة.





هي؟»

قالوا: لا.

قال:

«هي النَّخلة لا تَسقُطُ لها أُنْمُلَةٌ، ولا يَسْقُطُ لِمُؤْمن دعوة»[١].

يجيبك.. يلبي ما تريد.. بل حتى عدم الإجابة أو تأخيرها هو خيرٌ لك دون أن تشعر، فقد يكره العبدُ الفقرَ والضر والمرض، وهو خيرٌ له في الآخرة وأحمد عاقبة، وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهي شرٌّ له عند الله، وأسوأ عاقبة دنيا وآخرة.

ومن أحب محبوبًا لم ير منه إلا كل محبوب، فكيف لو كان هذا المحبوب هو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين؟! فلعله جعل لك الفوائد في الشدائد، والمنح في المحن.

البـر الذي يعطيك ويجيب دعوتك وإن أذنبت، فهو يعاملنا بالإحسان لا بالميزان، وبالفضل لا العدل.

قال ابن حجر:

«الإجابةَ تتنوَّع، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن يتأخَّر لحكمةٍ، وتارة قد تقع الإجابةُ ولكن بغير عين المطلوب؛ حيث لا يكون في المطلوب مصلحةٌ ناجزةٌ، وفي الواقع مصلحةٌ ناجزةٌ أو أصلحُ منها»[٢].

وقال ﵀:

«إنَّ كلَّ داعٍ يُستجاب له، لكن تتنوَّع الإجابةُ، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعِوَض»[٣].

ومن أحسن ما قيل في ذلك أنَّ الدعاءَ سببٌ لازمٌ لنيل المطلوب، ونيل المطلوب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطُه وانتفت موانعُه تحقَّق المطلوب وإلا فلا، فإنَّ الدعاءَ في نفسه نافعٌ مفيدٌ، لكنه يستدعي قوَّةَ هِمَّة الداعي وصحةَ عزيمته، وحسن قصدِه، وبُعدَه عن الأسباب التي تمنع من القبول.

قال ابن القيم:

«فإنَّه -أي الدعاء- من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلَّف عنه أثرُه.

إمَّا لضعفٍ في نفسه بأن يكون دعاءً لا يُحبُّه اللهُ؛ لِمَا فيه من العدوان.

وإمَّا لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيَّتِه عليه وقت الدعاءِ، فيكون بمنزلةِ القَوسِ الرَّخوِ جدًّا،

---

(١) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث رقم: ١٠٦٧ - ابن أبي أسامة - مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة.
(٢) فتح الباري ١١/ ٣٤٥.
(٣) فتح الباري ١١/ ٩٥، ٩٦.

عرف ربه البَرَّ مَن رأى تتابع ستره على عصيانه، فاستحى من الله حق الحياء.

فإنَّ السهمَ يخرج منه خروجًا ضعيفًا.

وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام، والظلمِ، ورَيْنِ الذنوب على القلوب، واستيلاءِ الغفلةِ، والشهوةِ، واللهو، وغلبتِها عليها»[١].

سبعةٌ لا تُرَدُّ دعوتُهم

وهؤلاء سبعة أصناف لا تُردُّ لهم دعوة بالخصوص:

«ثلاثة لا يردُّ الله دعاءهم: الذاكر الله كثيرًا، ودعوة المظلوم، والإمام المقسِط»[٢].

«ثلاث دعوات لا تُردُّ: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»[٣].

«دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يُرَدُّ»[٤].

المعنى الرابع: الذي يبرُّ عبادتك.. أي يتقبلُّها

وبَرَّ الله حجَّك أي تقبَّله، وحجٌّ مبرور أي مقبول، وأصله من البِرِّ، وهو اسم لجماع الخير، ومعنى أن يَبرَّك: أن يغمرك بِبرِّه جزاء عبادتك.

واسمع هذا الحديث الرائع:

«إنَّ اللهَ لا يظلِمُ مؤمنًا حسَنَة، يُعطى بها في الدُّنيا، ويُجزى بها في الآخرةِ»[٥].

والظلم محال في حق الله، فلا يبخس العبد شيئًا من جزائه، بل يثيب عبده على طاعته فوق ما يستحق، ولو عامله عليها كما يتعامل أهل الدنيا لما قبل منها شيئًا، ولردَّها عليه.

المعنى الخامس: ذو الإحسان المنهمر

في الصَّحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«يدُ الله ملأَى لا تَغيضُها نَفَقَةٌ، سحَّاءُ اللَّيْلَ والنَّهَار، أفرأيتم ما أنفق منذ خلق السَّماوات والأرض؟ فإنَّه لم يَغِضْ ما في يده»[٦].

---

(١) الجواب الكافي ١/ ٩.
(٢) حسن: رواه البيهقي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٣٠٦٤ والصحيحة رقم: ١٢١١.
(٣) حسن: رواه مسلم رقم: ٢٨٠٨ - كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا.
(٤) صحيح: رواه البزار عن عمران بن حصين كما في السلسلة الصحيحة رقم: ١٣٣٩.
(٥) صحيح: رواه البخاري عن أبي هريرة رقم: ٤٦٨٤.
(٦) صحيح: رواه الشيخان عن أبي هريرة كما في مشكاة المصابيح رقم: ٩٢.

ما عرف ربه البرَّ مَن اغتر بستر الله له فتتابعت ذنوبه، وأوشكت أستار الله عليه أن تُهتَك فينفضح.



والسحُّ: الصبُّ، أي: دائم العطاء كانهمار الأمطار، والمعنى أن عطاء الله يجمع بين الكثرة والتتابع طوال الليل والنهار، فكيف تعرضك له؟! وما نصيبك من عطائه؟!

عطاءات الله مخزونة في خزائنه، ومفتاح هذه الخزائن: الدعاء، وما أجمل هذا الحديث الذي يحطِّم سقف طمعك في عطاء ربك؛ ليجعل منه طمعًا بلا سقف:

«إذا تمنى أحدكم فليُكثِر، فإنما يسأل ربه»[1].

ولذا أمرك إذا سألته أن تسأله الفردوس، فلتعظم منك الرغبة، وليَحْسن الظن، ولتوَسِّع المسألة، واسأل الله الكثير والقليل، بل حتى شسع النعل، فإنه إن لم ييسره لك لم يتيسر كما في الحديث، فأطِل الدعاء، ولا تختصِر أو تقتصِر، فإنَّ خزائنَ الجود لا يُنقِصُها شيءٌ، ولا يُفنيها عطاء مهما كثر أو عظم.

وما أجمل قول **إبراهيم بن عبد الله بن سعد الغرناطي**:

أتيناك بالفقر لا بالغنى ... وأنت الَّذي لم تزل محسنا

وعودّتَنا كل فضلٍ عسى ... تديم الَّذي مِنْك عوَّدتَنا

٤٥ دعوة في حديث واحد!

وإليك هذا الدعاء الذي علَّمنا إياه النبي ﷺ لنُكثِر به من دعاء ربنا **البر**، والذي حوى ما يزيد عن (خمس وأربعين) دعوة جامعة في حديث واحد:

«اللهم إني أسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبِّتني، وثقِّل موازيني، وحقِّق إيماني، وارفع درجاتي، وتقبَّل صلاتي، واغفر خطيئتي، وأسألك الدرجات العلا من الجنة.

اللهم إني أسألك فواتح الخير، وخواتمه، وجوامعه، وأوَّله، وآخره، وظاهره، وباطنه، والدرجات العلا من الجنة.. آمين.

اللهم إني أسألك خير ما آتي، وخير ما أفعل، وخير ما أعمل، وخير ما بطن، وخير ما ظهر، والدرجات العلا من الجنة.. آمين.

اللهم إني أسألك أن ترفَع ذكري، وتضَع وِزْري، وتُصلِح أمري، وتُطهِّر قلبي، وتُحصِّن فرجي، وتنوِّر لي قلبي، وتغفر لي ذنبي، وأسألك الدرجات العلا من الجنة.. آمين.

(١) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٣٧.

عرف ربه البر من أكثر من دعائه رجاء غفرانه وعطائه.

اللهم إني أسألك أن تُبارِك لي في نفسي، وفي سمعي، وفي بصري، وفي روحي، وفي خَلْقي، وخُلُقي، وأهلي، وفي محياي، وفي مماتي، وفي عملي، وتقبَّل حسَناتي، وأسألك الدرجات العُلا من الجنة، آمين»[1].

وقل لي بِربِّك:

هل هناك رغبة أو أمنية لم يشملها هذا الدعاء؟

فكيف لا تتعلَّمه لتدعو به ربك البر؟

المعنى السادس: الذي لا يقطع الإحسان بالعصيان

فإن البر يكرم أهل المعصية، فكيف بأهل الطاعة؟!

إن الله لا يعاملنا معاملة المِثل، ولو فعل لأهلكنا، ولكنه يعاملنا بفضله وكرمه.

يقول **ابن الجوزي**:

«كان بعض الْأَغْنِيَاء كثير الشُّكْر، فطال عليه الأمد، فبطر وعصى، فما زالت نعْمَته ولا تغَيَّرت حالته، فقال: يا رب.. تبَدّلت طاعتي، وما تَغَيَّرت نعمتي!

فهتف به هاتف: يا هذا، لأيام الْوِصَال عندنا حُرْمَة حفظناها وضيعتها»[2]

وما أجمل قول **عبد القويِّ بن يَخْلِف بن أبي بكر البُرقيِّ**:

لك الْحَمْدُ ربِّي على كُلِّ حَال ... فأنتَ جوادٌ كثيرُ النَّوال

وأَنْتَ الَّذي لَمْ تَزَلْ مُحْسنًا ... لكُلِّ مُسيءٍ قبيح الفعال

وأنت الَّذي لم تزل سامعًا ... دعاءَ عبيدك بالابتهال

وأنتَ الغنيُّ القويُّ الوفيُّ ... ومُنْزِلُ ماء السَّحاب الثِّقال

سَتَرْتَ الذُّنوبَ وأحصيتَها ... وَجُدْتَ بعَفوك يا ذا الجلال

على المذنبين فما يرتجون ... سوى فَضْلِكَ اللهُ عند السُّؤالِ

ومن كمال برِّ الله بالعاصي: ستره.

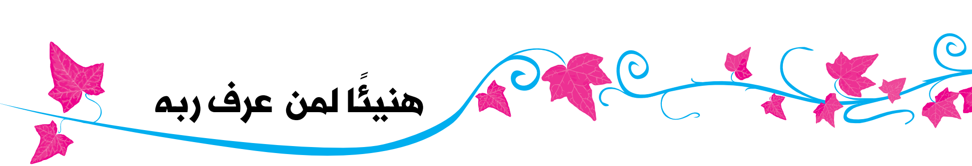
قال **ابن القيم** في حكمة وقوع الذنب:

«من حكمة الذنب: أن يعرف بِرَّه سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية، مع كمال رؤيته له، ولو شاء لفَضَحَه بين خلقه فَحَذروه، وهذا من كمال بِرِّه»[3].

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في كتاب الدعوات الكبير حديث رقم: ٢٥٦ - ط غراس للنشر والتوزيع - الكويت.
(٢) المدهش ١/ ٢٣٣، ٢٣٤ - ط دار الكتب العلمية.
(٣) مدارج السالكين ١/ ٢٢٣ - ط دار الكتب العربي.

ما عرف ربه البر من استصغر رحمته واستقلَّ فضله وكرامته.



المعنى السابع: المصلِح المطهِّر

الأبرار هم الأطهار، وهو كل من ليس في قلبه شبهة ولا شهوة، فلا يدخل الجنة إلا الأبرار بعد أن يطهِّر الله قلوبهم وصحائفهم بالابتلاءات، والكفارات، فإن لم يَكْفِ ذلك كله في تطهيرهم؛ دخل العبد النار ليُطهَّر من الآثام.

عن **عبد الله بن أبي أوفى** رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو:

«اللهم لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم طهِّرني بالبرد والثلج والماء البارد، اللهم طهِّرني من الذنوب، ونقِّني كما يُنَقَّى الثوب الأبيض من الدَّنَس»(١).

إذا ابتلاك الله بشهوة.. بمعصية.. بنقطة ضعف، فمن الذي يملك أن ينقذك منها، ويطهِّر قلبك منها، ويستنقذك من براثنها!؟.. إنه **البر**.

ولذا أوصى **ابن القيم** من ابتلاه الله بداء العشق؛ بعد أن وصف له أدوية العشق وأطال فيها:

«فإن عجَزَت عنه هذه الأدوية كلها؛ لم يبق له إلا صدق اللجأ إليلا من يجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه، مستعينا به، متضرِّعا متذلِّلا، مستكينا، فمتى وُفِّق لذلك فقد قرع باب التوفيق»(٢).

ثالثًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

«اللهم مُنَّ علينا، وقِنا عذاب السموم، إنك أنت البَرُّ الرحيم».

«اللهم إني أدعُوك الله، وأدعُوك الرحمن، وأدعُوك البَر الرحِيم، وأدعُوك بأسمائِك الحُسنى كُلها ما عَلمت منها وما لم أعلم.. أن تغفرَ لي وترحمنِي».

نسألك باسمك البَرُّ..

إن كنت مددت يدي إليك راغبًا، فطال ما كفيتَني ساهيًا.

نسألك باسمك البَرُّ..

نعمك تتابعت عليَّ عند الغفلة، فكيف آيس منك عند ذكري لك مع الوجل والرجفة!

(١) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد رقم: ٦٨٤.
(٢) زاد المعاد ٤/ ٢٧٥.

عرف ربه البر من سأله تطهير قلبه ومغفرة ذنبه.

نسألك باسمك البَرُّ..

اللهم صبَّ علينا الخير صبا، ولا تجعل عيشنا كدًّا كدًّا.

رابعًا: حاسِبْ نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائما	أحيانًا	نادرًا
١	هل تدعو باسم الله البر، كما كانت **عائشة** رضي الله عنها تدعو؟			
٢	هل تتخلق بصفة البَرُّ فتصدق في وعدك ولا تخلفه؟			
٣	من ذا الذي يقرض (البر) قرضًا حسنا ثقة بعطائه؟			
٤	هل ترى إحسان الله في منعه، وفضله في بلائه؟			
٥	هل تحرص على التطهُّر من ذنوبك يوميًا؛ لتكون من الأبرار؟			
٦	هل تطلَّعتَ وسعيت إلى أن تكون أحد السبعة مستجابي الدعاء؟			

ما عرف ربه البر من لم يكثر من سؤاله، ويطمع في عظيم خيره وجزيل نوالِه.



الحمد نشيدنا الدائم حتى بعد دخول الجنة



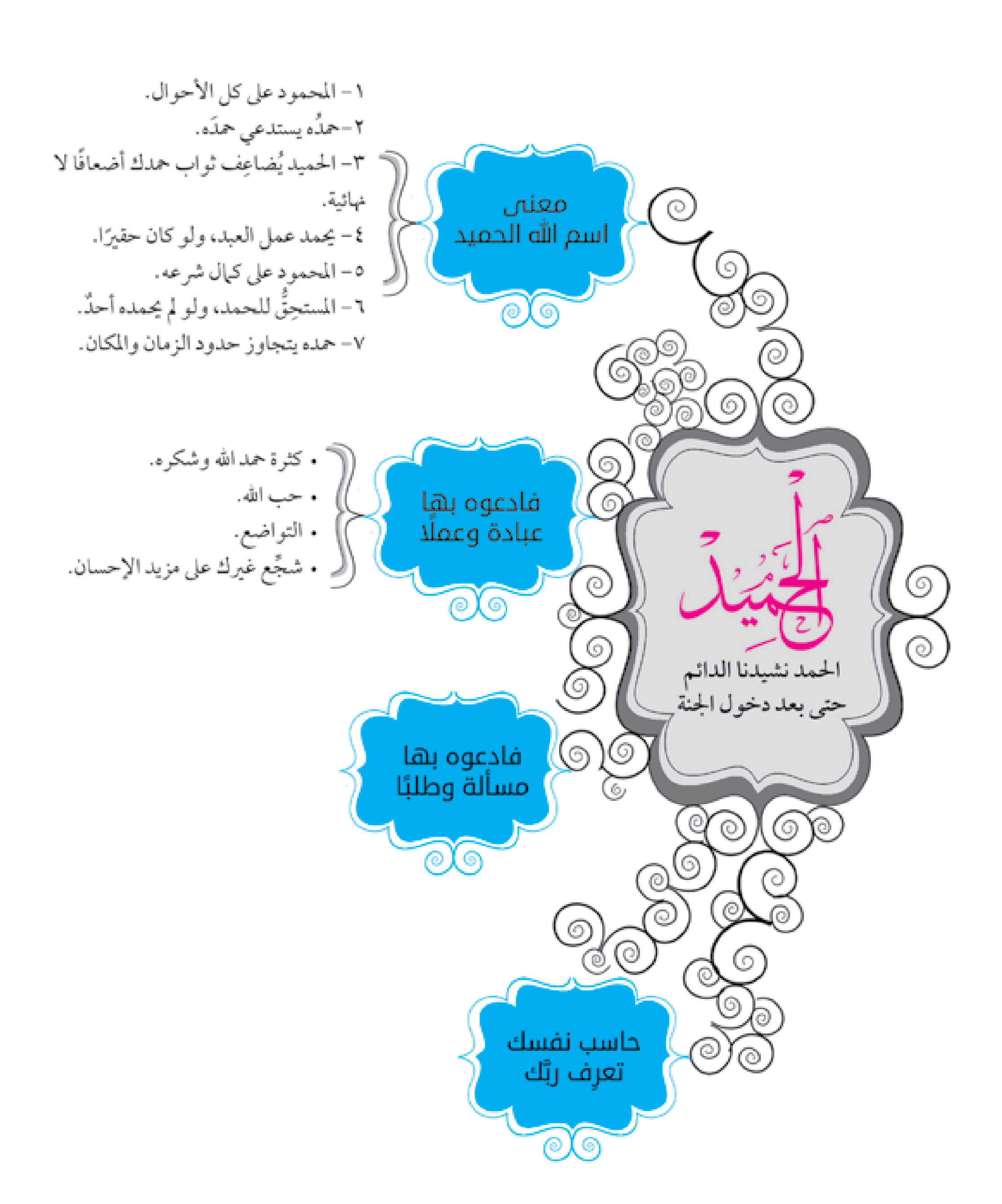
المحمود على كل حال في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛
لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ.

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ **الْحَمِيدُ** ﴿٢٦﴾ لقمان

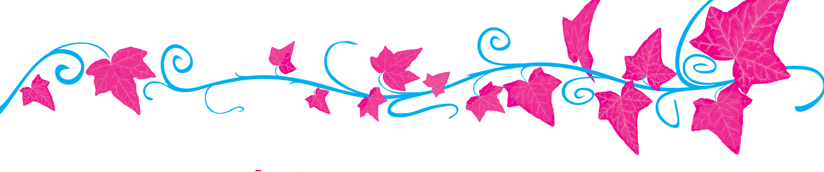
صحة عافية بركة عفو

خيرات غنى مال أولاد ستر رزق

الحمد لله الحمد لله الحمد لله اللهم لك الحمد



الحميد
الحمد نشيدنا الدائم
حتى بعد دخول الجنة
معنى
اسم الله الحميد
١- المحمود على كل الأحوال.
٢- حمدُه يستدعي حمدَه.
٣- الحميد يُضاعِف ثواب حمدك أضعافًا لا نهائية.
٤- يحمد عمل العبد، ولو كان حقيرًا.
٥- المحمود على كمال شرعه.
٦- المستحِقُّ للحمد، ولو لم يحمده أحدٌ.
٧- حمده يتجاوز حدود الزمان والمكان.
فادعوه بها
عبادة وعملًا
• كثرة حمد الله وشكره.
• حب الله.
• التواضع.
• شجِّع غيرك على مزيد الإحسان.
فادعوه بها
مسألة وطلبًا
حاسب نفسك
تعرِف ربَّك





أولاً: معنى الحميد

الحميد اسم من أسماء الجمال، وقد ورد في القرآن الكريم في ١٦ آية، والفارق بين المدح والحمد أن الحمد أعمُّ وأصدق في الثناء على المحمود من المدح؛ (لأن الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبرًا يتضمن الإنشاء بخلاف المدح، فقد يمدح من لا يُحَبّ)[١].

والحميد معناه في حق الله سبحانه وتعالى على ثمانية أوجه:

الأول: المحمود على كل الأحوال

قال **الزجاج**:

«والله تعالى هو المحمود بكل لسان، وعلى كل حال، كما يقال في الدعاء: الحمد لله الذي لا يحمد على الأحوال كلها سواه»[٢].

وقال **الخطابي**:

«والحميد هو المحمود الذي استحق الحمد بأفعاله، وهو فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يُحمَد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو محمودٌ على كل حال»[٣].

ولذا كان رسول الله ﷺ حامدًا على كل حال كما في الحديث:

«كان إذا أتاه الأمر يسُرُّه قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: الحمد لله على كل حال»[٤].

قال **الحليمي**:

«هذا على حسن الظن بالله تعالى، وأنه لم يأت بالمكروه إلا لخيرٍ علمه لعبده فيه، وأراده به»[٥].

فالمؤمن يحمد الله في الحالين، وفي كلا الوجهين: اليسر والعسر، فعطاء الله يستوجب الحمد، ومنعه يستوجب الحمد.

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٩٣.
(٢) تفسير الأسماء ص ٥٥.
(٣) شأن الدعاء ص ٧٨.
(٤) صحيح: رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة والحاكم عن عائشة في صحيح الجامع رقم: ٤٦٤٠.
(٥) شأن الدعاء ص ٧٨.

عرف ربه الحميد مَن رأى الحكمة في المضرة، ورأى العطاء في المنع، فلم يرَ شرًّا مطلقًا من الحميد.

في حديث **سعد بن أبي وقاص** رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«عجبتُ من قضاء الله عزَّ وجلَّ للمؤمن، إن أصابه خيرٌ حمد ربَّه وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد ربَّه وصبر، المؤمن يؤجر في كلِّ شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فِيِّ امرأته»[1].

لكن كيف يصل العبد إلى هذه الدرجة العالية الرفيعة؟!

كيف يحمد ربه الحميد إذا ما وقع به البأس الشديد؟

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**، وهو يأخذ بيديك في مدارج الرضا:

«والحمد على الضراء يوجبه مشهدان:

أحدهما: علم العبد بأن الله سبحانه مستوجبٌ ذلك، مستحقٌّ له بنفسه، فإنّه أحسنَ كلَّ شيء خلقه، وأتقن كلَّ شيء، وهو العليم الحكيم، الخبير الرحيم.

والثاني: علمُه بأنّ اختيارَ الله لعبدِه المؤمن خيرٌ من اختياره لنفسه»[2].

فكن على يقين من أن قضاء الله هو الخير لك دائما، ففي الحديث:

«عجبتُ للمؤمن!! إن الله تعالى لم يقْضِ له قضاءً إلا كان خيرا له»[3].

الثاني: الحميد: حمدُه يستدعي حمدَه

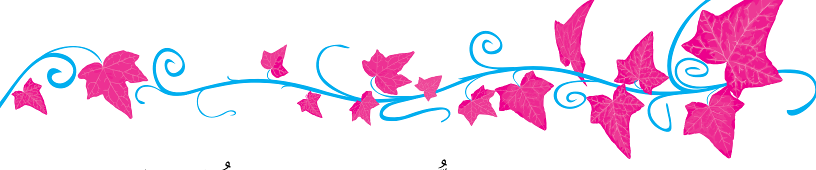
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ما أنعم الله تعالى على عبد نعمة، فقال: الحمد لله. إلا كان الذي أُعْطِيَ أفضل مما أخذ»[4].

لأن قول الحمد لله نعمة من الله، فلولا توفيقُ الله وإعانتُه لما قام بحمده أحدٌ، والمحمود عليه كذلك نعمة من الله، وهي ما تسمى بالمتوالية الحمدية اللا نهائية، فحمده مِنْهُ له، ولذا روى **ابن أبي الدنيا** في كتاب الشكر عن **بكر بن عبد الله**:

«ما قال عبدٌ قط: الحمد لله، إلا وجبت عليه نعمة بقوله: الحمد لله، فما جزاء تلك النعمة؟ جزاؤها أن يقول الحمد لله، فجاءت أخرى، ولا تنفد نعم الله عز وجل»[5].

(١) فيض القدير ٥/ ٨٨.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٤٣، ٤٤ – ابن تيمية الحراني – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
(٣) صحيح: رواه أحمد عن أنس كما في الصحيحة ١٤٨.
(٤) صحيح: رواه ابن ماجة عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٥٥٦٣.
(٥) الشكر لابن أبي الدنيا ص ١٧.



لكن بعض النعم أجلُّ من بعض، فنعمة الشُّكْر مثلاً أعظم من نعمة المال والولد والجاه.

قال **ابن رجب**:

«المرادُ بالنِّعمِ: النِّعمُ الدنيويةُ، كالعافية والرزق والصحة ودفع المكروه، ونحوِ ذلك، والحمدُ هو من النعم الدينية، وكلاهما نعمةٌ من الله، لكن نعمة الله على عبده بهدايته؛ لشكر نعمه بالحمد عليها أفضل من نعمه الدنيوية على عبده، فإنَّ النِّعم الدنيوية إن لم يقترن بها الشكرُ كانت بليَّة، كما قال **أبو حازم**: كلُّ نعمة لا تقرِّب من الله، فهي بلية»[1].

والحمد من العبد هو من فضل الله عليه، فإنك تجد الكثيرين من الغافلين يتضجَّرون من واقعهم ويجزعون، ولا يحمدون الله، وإن ذُكِّروا به، فلا يُوَفَّق للحمد إلا من وفَّقه الله.

الثالث: الحميد يُضاعِف ثواب حمدك أضعافًا لا نهائية

انظر هذه التحميدات البسيطة التي يحمدك **الحميد** عليها حمدًا كثيرًا تشجيعًا لك على مزيد الحمد اللساني المؤدي إلى حمد الجوارح والقلب:

عن **أنس بن مالك** ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«من قال إذا أوى إلى فراشه:

الحمد لله الذي كفاني وآواني.

الحمد لله الذي أطعمني وسقاني.

الحمد لله الذي مَنَّ عليَّ وأفضلَ، اللهم إنِّي أسألك بعزَّتك أنْ تُنَجِّيَني من النَّار؛ فقد حَمِدَ الله بجميع محامدِ الخلقِ كلِّهم»[2].

وفي حديث **أبي أمامة** رضي الله عنه عن الحمد المضاعف البالغ ما لا يبلغه أي حمد...

«ألا أدلك على ما هو أكثر من ذكرك الله الليل مع النهار؟

تقول: الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السموات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله على ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، وتسبِّح الله مثلهن، تَعلَّمهن، وعَلِّمهن عَقِبك من بعدك»[3].

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ٨٢.
(٢) صحيح: أخرجه الحاكم وابن السني في عمل اليوم والليلة والبيهقي في الشعب؛ كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٤٤٤.
(٣) صحيح: رواه الطبراني عن أبي أمامة كما في صحيح الترغيب ٢/ ٢٥٢.

وحديث ثالث:

«قال رجلٌ: الحمدُ لله كثيرًا، فأعظَمَها الملَكُ أن يكتُبَها، وراجع فيها ربه عز وجل، فقيل له: اكْتبها كما قالَ عبدِي: كثيرًا»[1].

الرابع: يحمد عمل العبد ولو كان حقيرًا

وهذه أعمالٌ غير الحمد من أعمال الخير يضاعف الحميد ثوابها، ويمنحك عليها فوق ما تستحق:

«بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخَّرَه، فشَكَرَ الله له، فغَفَر له»[2].

وفي حالة تناول الطعام وهي عادة متكررة يوميًّا، وفي حالة لبس الجديد، شرع الحميد لك الحمد، وأجزل مكافأتك.

«من أكل طعامًا، ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه، ومن لبِس ثوبًا، فقال: الحمد لله الذي كساني هذا، ورزقْنيه من غيرِ حولٍ مني ولا قوة؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر»[3].

الخامس: المحمود على كمال شرعه

يقول الإمام ابن كثير:

«وهو الحميد أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه، وقَدَرِه»[4].

فما من أمر أمرنا الله به إلا وفيه كمال الخير في دنيانا قبل أن يكون في ديننا، وما من نهيٍ نهانا عنه إلا رحمةً بنا من آثاره المدمِّرة، واسمعوا خمس نواهي لو أصبناها لنالنا الشر العظيم والبلاء المبين، ومن كرم الحميد أن أرشدنا إليها لنحذرها، وهدانا إليها نبينا وطبيب قلوبنا لنجتنبها، ولما غفلنا عنها أصابنا أذاها ووَباها:

«يا معشر المهاجرين،

خمسٌ، إذا ابتليتُم بهِنَّ.. وأعوذ بالله أن تدركوهن:

لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم.

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٤٥٢.
(٢) صحيح: رواه مالك وأحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة؛ كما في صحيح الجامع ٢٨٧٤.
(٣) حسن: رواه أحمد والحاكم عن معاذ بن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٦٠٨٦.
(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٦٩٩.



ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطَروا.

ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم.

وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيَّروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[١].

السادس: المستحِق للحمد، ولو لم يحمده أحدٌ

ويبين ابن القيم:

«وأما الحميد فلم يأت إلا بمعنى المحمود، وهو أبلغ من المحمود، فإن فعيلاً إذا عُدِلَ به عن مفعول- دلَّ على أن تلك الصفة قد صارت مثل السجيَّة والغريزة والخُلُق اللازم، كما إذا قلت: فلانٌ ظريفٌ وشريفٌ وكريمٌ.

ولهذا كان حبيبٌ أبلغ من محبوب؛ لأن الحبيب الذي حصلت فيه الصفات والأفعال التي يحب لأجلها، فهو حبيبٌ في نفسه، وإن قُدِرَ أن غيره لا يحبه؛ لعدم شعوره به، أو لمانعٍ مَنَعَه من حبه، وأما المحبوب فهو الذي تعلق به حبُّ المُحبِّ؛ فصار محبوبًا بحبِّ الغير له، وأما الحبيب فهو حبيبٌ بذاته وصفاته، تعلَّق به حبُّ الغير أو لم يتعلَّق»[٢].

ويقول الشيخ السعدي:

«الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل»[٣].

السابع: حمده يتجاوز حدود الزمان والمكان

ولأنه الجميل على الإطلاق، وجمال غيره مستعارٌ منه؛ ولأنه الكامل على الإطلاق، وكمال غيره البشري مستعار منه؛ ولأنه الحكيم على الإطلاق، وكل حكمة هي منه، فهو وحده المستحق للحمد الذي يتجاوز حدود المكان والزمان، وظرف هذا الحمد المكاني هو السماوات والأرض، كما قال الله ﷻ:

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

وأما ظرفه الزماني فهو الدنيا والآخرة، كما بيَّنه الله ﷻ: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾، فيحْمَده أولياؤه في الدنيا، ويحمدونه في الجنة، يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾.

---

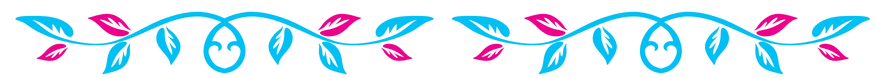
(١) صحيح: رواه البيهقي والحاكم عن ابن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ٧٩٧٨.
(٢) جلاء الأفهام ١/ ٣١٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/ ٩٤٦ - السعدي - مؤسسة الرسالة.

عرف ربه الحميد مَن تواضع إذا سمع الناس يحمدونه، ويثنون عليه.

وذلك ابتهاجًا بفضله، والتذاذًا بحمده، ويكفيك أن الحمد هو نشيد أهل الجنة، في صحيح مسلم ومسند **أحمد** عن أهل الجنة:

«يُلهَمون التسبيح والتحميد كما تُلهَمون أنتم النَّفَس».

كلما قويت المعرفة بالله والإيمان به؛ صار الذكر يجري على لسان الذاكر بغير تكلف؛ ولذا يُلهَم أهل الجنة التسبيح والتحميد كما يُلهَمون النَّفَس لأنهم تجلَّى لهم كل شيء، ورأوا الله ونظروا إلى وجهه الكريم، فصار الحمد عملاً من أعمال أهل الجنة في الآخرة، وسمة مميزة لهم في الدنيا، فمن أكثر الحمد هنا في كل الأحوال أنعم الله عليه بالحمد في الجنة على أشرف الاحوال.



الثامن: الذي لا يُضاف الشر إليه بحال من الأحوال

في الحديث:

«والشرُّ ليس إليك».

فأسماؤه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه، مع أنه سبحانه الخالق لكل شيء، فهو الذي خلق الخير والشر، ولذا جاء في تأويل هذا الحديث أربعة أقوال:

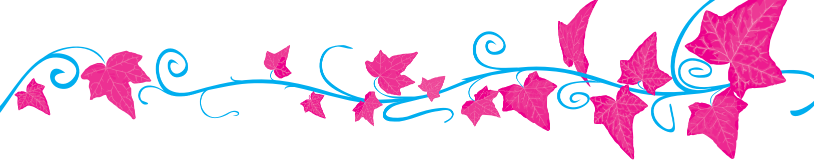
الأول: معناه: والشرُّ لا يُتَقَرَّب به إليك.

والثاني: لا يصعد إليك، إنما يصعد الكَلِم الطيِّب.

والثالث: لا يضاف إليك أدبًا، فلا يقال: يا خالق الشَّرِّ، وإن كان خالقه، كما لا يقال: يا خالق الخنازير، وإن كان خالقها.

والرابع: ليس شرًّا بالنسبة إلى حكمتك، فإنك لا تخلق شيئًا عبثًا، فإن خلقته فلحكمة بالغة، وإنما هو شرٌّ ظاهرٌ بالنسبة إلى المخلوقين.

ما عرف ربه الحميد مَن تعاظمت نفسه إذا حمده الناس، وتكبَّر إذا سمع ثناءهم.





ثانيًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

١- كثرة حمد الله وشكره

وهي أنواع ثلاثة:

١- أذكار الأحوال المتضمنة للحمد.

٢- أذكار اليوم والليلة التي تتضمن حمده سبحانه، والثناء عليه بالثناء الحسن.

٣- المحامد العامة غير المقيدة بوقت.

وإليك نماذج من المحامد العامة:

روى **مسلم** في صحيحه من حديث **سمرة بن جندب** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَحبُّ الكلام إلى الله أربع، لا يضرك بأيِّهنَّ بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[١].

قال الإمام **النووي** في شرح صحيح **مسلم**:

«هذا [الحديث وما أشبهه] محمول على كلام الآدمي، وإلا فالقرآن أفضل، وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق، فأما المأثور في وقتٍ أو حالٍ أو نحو ذلك، فالاشتغال به أفضل»[٢].

ورواه **الطيالسي** في مسنده بلفظ:

«أربع هنَّ من أطيب الكلام، وهنَّ من القرآن، لا يضرك بأيِّهنَّ بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[٣].

وروى **مسلم** في صحيحه من حديث **أبي هريرة** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس»[٤].

عن **أم هانئ بنت أبي طالب**، قالت: مرَّ بي رسول الله ﷺ فقلتُ:

«إنِّي قد كبرتُ وضعُفت -أو كما قالت- فمُرني بعمل أعمله وأنا جالسة، قال:

(١) صحيح: رواه مسلم عن سمرة بن جندب كما في صحيح مسلم رقم: ٢١٣٧ كتاب الآداب - باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه.
(٢) مرقاة المفاتيح ٧/ ٤٤٦.
(٣) صحيح: رواه أحمد والطيالسي عن سمرة كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٤٦.
(٤) صحيح: رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٠٣٧.

«سبِّحي اللهَ مائة تسبيحة، فإنَّها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة، تعدل لكِ مائة فرس مُسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكَبِّري اللهَ مائة تكبيرة فإنَّها تعدل لك مائة بدَنة مُقلّدة متقبّلَة، وهلِّلي مائة تهليلة -قال **ابن خلف** (الراوي عن **عاصم**) أحسبه قال-: تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يُرفَع يومئذ لأحدٍ عملٌ إلا أن يأتي بمثل ما أتيتِ به»(١).

«إن الله تعالى اصطفى من الكلام أربعًا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال: سبحان الله كُتِبَتْ له عشرون حسنة، وحُطَّت عنه عشرون سيئة، ومن قال: الله أكبر مثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله مثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قِبَلِ نفسه كُتِبَتْ له ثلاثون حسنة، وحُطَّ عنه ثلاثون خطيئة»(٢).

«أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله»(٣).

إن الحمد ثناءٌ على المحمود مع حبِّه؛ ولهذا سُئل **ابن عيينة** عن هذا الحديث فقيل له: كأن الحمد لله دعاء؟ فقال: أما سمعتَ قولَ **أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان**، يرجو **نائلة**:

أأذكر حاجتي، أم قد كفاني	حباؤك إن شيمتَك الحيـاءُ
إذا أثنى عليك المـرءُ يومًا	كفاه من تعرُّضـه الثنـــاءُ
كريم لا يغيره صبـــاحٌ عن	الخلق الجميلِ ولا مســـاءُ

فهذا مخلوقٌ اكتفى من مخلوقٍ بالثناء عليه، فكيف بالخالق سبحانه؟!

ويؤيِّد هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فجعل الحمدَ هنا دعاءً.

٢- حب الله

حبًّا عظيمًا صادقًا لا يشاركه فيه أحد من الخلق، وهذه المحبة بدورها ستثمر عبوديات أخرى رائعة في القلب، كالإخلاص، والحياء، والرضا عن الله، وعبوديات اللسان والجوارح بالقيام بأوامر الله، واجتناب نواهيه.

إن اللسان جسرٌ إلى القلب، فمتى ما مرَّ عليه حمدُ الله امتلأ القلب محبة لربه، ومتى تسخَّط اللسان تسخَّط القلب، وحُرِم من الرضا.

(١) صحيح: رواه أحمد والبيهقي في الشعب، وحسّن إسناده العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ١٣١٦.
(٢) صحيح: رواه أحمد والحاكم عن أبي سعيد وأبي هريرة كما في الترغيب ٢/ ٢٤٦.
(٣) حسن: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة عن جابر كما في المشكاة ٢٣٠٦، والسلسلة الصحيحة رقم: ١٤٩٧.

ما عرف ربه الحميد مَن لم يحمد الإحسان من غيره، فقتل بذرة الخير فيه.



٣- التواضع

يستحي العبد من الله تبارك وتعالى حينما يسمع المخلوقين يلهجون بحمده والثناء عليه؛ بينما يعرف جيِّدًا أن هذا الحمد إنما هو من ستر الله لعيوبه.

ولهذا قال **ابن عطاء**:

«من مدحك، إنما مدح ستر الله عليك».

وقال **سُفْيان بن عُيَيْنة**:

«لولا سِتْرُ الله عزَّ وجلَّ ما جالسنا أحد»[١].

٤- شجِّع غيرك على مزيد الإحسان

وكن حامدًا لغيرك ليحمدك **الحميد**.

والثناء على الخلق ينمِّي فيهم جانب الخير، ويصقل مهاراتهم، ويشجعهم على الاستمرار في الإحسان، فبدلاً من مهاجمة جانب التقصير فيهم تستطيع أن تروي بذرة الخير؛ لتنمو حتى تغطي على جانب الشر، وهو ما يسمونه التربية الإيجابية أو **Positive learning**، وقامت حوله الدراسات والأبحاث التي أثبتت فعاليته وجدواه في تربية الناشئة، بدلاً من أسلوب اللوم والتقريع الذي يُفقِد الإنسان ثقته بنفسه.

ثالثًا: فادعوه بها مسألة وطَلبًا

أسألك باسمك الحميد..

لا أذكر لك إلا الجميل، ولم أرَ منك إلا التفضيل، خيرُك لي شامل، وصنعك لي كامل، وبِرُّك لي غامر، وفضلك دائمٌ متواتر، ونعمك منهمرة، وأفضالك مشتهرة، فلك الحمد الذي لا ينبغي إلا لك.

أسألك باسمك الحميد..

لك الحمد حمدًا كثيرًا دائمًا مثل ما حمدت به نفسك، وأضعاف ما حمدك به الحامدون، وذكرك الذاكرون، وسبَّحك المسبِّحون.

أسألك باسمك الحميد..

ألهِمْنا حمدك وشكرك كما ألهمتنا الأنفاس..

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي رقم: ٤٢٠٣.

عرف ربه الحميد من حمده على حُسن ذكره وسيرته بين الناس.

أسألك باسمك الحميد..

ارزقنا حمدك في كل الأحوال، في الضراء والسراء، في المنع والعطاء.

أسألك باسمك الحميد..

كما مننت عليَّ بنعمك وآلائك، فأسألك أن تمُنَّ عليَّ بتوفيقي لحمدك كما ينبغي لك.

رابعًا: حاسِبْ نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائما	أحيانًا	نادرًا
١	هل تحمد الله على الضراء؟			
٢	هل تحافظ على حديث أبي أمامة في الحمد المضاعف؟			
٣	هل تحمد الله على ستره عليك؟			
٤	هل لك ورد يومي من حمد الله بأحب الكلام إليه (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)؟			
٥	هل تحمد الناس، وتشكرهم على الأفعال الحسنة في حقك، أو حق غيرك؟			

ما عرف ربه الحميد من لم يحمده لعظيم عطائه وجميل صفاته.



من لمح خفيَّ لُطْفه رَضِي بجميع فعله

من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دقَّ منها وما لطف، ثم يوصلها إلى العباد بسبيل الرفق دون العنف، وإذا اجتمع الرفق في الفعل، واللطف في الإدراك، تمَّ معنى اللطف.



المُؤْمِنِينَ

وَكَذَٰلِكَ نُنجِي

وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ



فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ


اَللَّطِيفُ
من لمح خفيَّ لُطْفه
رَضِي بجميع فعله
معنى اللطيف
• الأول: العالم بدقائق الأمور.
• الثاني: لطف وجود الله.
• الثالث: يوصل إحسانه في رفق.
• الرابع: خفاء الإحسان.
• الخامس: تيسير الأسباب، ولو بعدت.
فادعوه بها عبادة وعملًا
• الطف بالمسلمين.
• المحــــاسبة والمراقبة.
• عليك بِحب الله.
• الرضا والتوكل.
• الذل والانكسار.
• الدعـــاء باسم الله اللطيف.
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرف ربَّك



أولاً: معنى اللطيف

لنا موعد هنا مع اسم **اللطيف**، وهو اسم من أسماء الجمال، وقد جاء ذكره في القرآن في سبع مواضع، وغالبًا ما يقترن هذا الاسم باسم الله الخبير، وبالتحديد في خمسة مواضع، ومن أبرز الصور التي أبرزت هذا الاسم: سورة يوسف، والتي قال عنها **ابن عطاء**:

«ما سمع سورة يوسف محزون إلا استروح إليها»[1].

المعنى الأول: العالم بدقائق الأمور

ولماذا دقائق الأمور بالذات؟!

لأن الشيء الدقيق الخفي الذي لا يُحس به يُسمَّى في اللغة: لطيفًا

وهو من اللطف العام الذي يسري على البر والفاجر، والمسلم والكافر.

ولهذا قال الله في سورة **لقمان**: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾.

وهذا العلم بالدقائق يشمل الأشياء المادية والمعنوية، كالآتي:

الأشياء المادية: والتي لا يراها الناس بالعين المجرَّدة..

الميكروبات مثلاً..

والحيوانات المنوية التي يصل عددها ٤٠ مليون حيوان منوي في القذفة الواحدة!

وخلايا الدماغ: التي تبلغ ١٠٠ مليار خلية عصبية في المخ الواحد!

وطول الأوعية الدموية فيها يبلغ ٢٠ ألف ميل!

كل هذه، وغيره، مما خفي عنا من دقائق يعلمها اللطيف بتفاصيلها.

الأشياء المعنوية: كالدوافع والأحاسيس والمشاعر..

فكل قرار يتخذه أحدنا لا نرى منه إلا ظاهره، وأما خباياه وخلفياته، والدوافع الخفية التي أدَّت إليه، فهذه لا يعلمها إلا اللطيف.

لكن لماذا يقترن دائمًا اسم **اللطيف** بالخبير؟

(١) تفسير الماوردي ٣/ ٩.

عرف ربه اللطيف مَن رأى لطفة في تيسيره عند المشاق، وتوسيعه عند الضيق.

والجواب: لأن اللطف (العلم بدقائق الأمور) لا يتأتي إلا بالخبرة، وهذه الخبرة لا يصل إليها إلا الله وحده، وكلما زادت الخبرة كلما زاد العلم بما خفي؛ ولذا اقترن بها اللطف. قال **الشوكاني**:

«إن الله لطيف لا تخفى عليه خافية، بل يصِل علمه إلى كلِّ خفي»(١).

المعنى الثاني: لطف وجود الله

الله عز وجل من لطفه لا تُحِس بوجوده، فلا تراه ولا تسمعه، لكنك تستشعر وجوده، ومن لطفه أنه لا يُشعِرك بمراقبة الملائكة التي تسجِّل عليك الحسنات والسيئات، بل ولا تشعر أن عليك ملائكة معقِّبات يحفظونك من بين يديك ومن خلفك، وهم مكلَّفون بحراستك، لكنهم في غاية اللطف، فلا تشعر بوجودهم، ولو جُعلت عليك حراسة خاصة من البشر يلازمونك في كل تحركاتك وانتقالاتك، لشعرت أنك أسير مقيَّد، ولما أطَقتَ هذا، ولا احتَملتَه.

ومن لطفه كذلك أنك لا تسمع أنفاسك المتردِّدة على مدار يومك، ولا ضربات قلبك، ولو سمعتها لما طاب لك عيش، ولا قرَّت لك عين! وهذا والله من خفيِّ اللطف.

المعنى الثالث: يوصل إحسانه في رِفق

قال الامام **الغزالي**:

«إنما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دقَّ منها وما لطف، ثم يسلك فى إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف، وإذا اجتمع الرفق فى الفعل، واللطف فى الإدراك، تم معنى اللطف، ولا يُتصوَّر كمال ذلك فى العلم والفعل إلا لله تعالى.

لذا؛ فلا لطيف إلا هو على الحقيقة»(٢).

وتأمل هذا الكلام الهام:

اللطيف وحده من (يعلم) دقائق المصالح وغوامضها، فيعلم ما ينفعك ليجلبه لك، ويعلم ما يضرُّك فيصرفه عنك، ولاحظ أن أحب الأحبة وأقرب الأقرباء إليك لا يعلمون هذا، فلربما آذَوْك من حيث أرادوا أن ينفعوك، كالدبة التي قتلت صاحبها.

كم قــد رأيت مَســاءة	من حيث تطمع أن تُسَرّا
ولربمــا طلب الفتـــى	لأخيــه منفعــة فَضَـرّا

(١) فتح القدير ٤/ ٢٣٩. يُقال في اللغة: لَطَف بفتح الطاء، ولطُف بضمها. فلطَف الله بك (وهو فعل متعدٍّ) أي أوْصل إليك ما تُحب برِفْق. ولطُف (وهو فعل غير متعدٍّ)، ومنه: لطُف أمر العبد أي صار سهلاً يسيرًا.
(٢) روح البيان ٤/ ٣٢٣.

ما عرف ربه اللطيف مَن غاب عنه لطف ربه في الأحكام الشرعية والأحداث اليومية.

ومع هذا العلم، فهو وحده الذي (يقدر) على إيصال هذه المصالح لك، وإن أهلك لو عرفوا اليوم ما ينفعك، فليس لهم القدرة على إيصاله إليك، فكل الآباء والأمهات يتمنون لأبنائهم الحياة الرغدة والمعيشة المرفَّهة، لكن كم منهم من يستطيعون بلوغ ما به يحلمون؟!

رُوِيَ أن مجوسيًّا نزل على **إبراهيم الخليل** عليه السلام، فلم يُضِفه إبراهيم، قائلاً له: إن أسلمتَ أضفتُك، فأوحى الله تعالى إليه: يا **إبراهيم**، منذ تسعين سنة أُطعِمه على كفره، فسعى **إبراهيم** عليه السلام خلفه، فردَّه، وأخبره في الحال، فتعجب من لطف الله تعالى، فأسلم[1].

وهذا الرفق يحبه الله؛ ولذا كانت القواعد الشرعية المعتبرة دالة على هذا (اللطف)، فمنها قاعدة: (المشقة تجلب التيسير)، وقاعدة: (الضرورات تبيح المحظورات)، وقاعدة: (إذا ضاق الأمر اتسع).

ولهذا اللطف الممتزج بالرفق صور:

أنه أعطى الناس فوق ما يحتاجون، وكلّفهم دون ما يطيقون.

ففرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة تستغرق ساعة من أربع وعشرين ساعة.

وفرض صوم شهر في السنة من أصل اثني عشر شهرًا.

وجعل الزكاة ربع العُشر ما حال عليه الحول وبلغ النصاب.

وقبل التوبة بأيسر ما يكون من نطق لسان وصدق جَنان، ولو كلفك أن تتوب بقتل نفسك كما فعل مع بني إسرائيل لما أدَّيت ولا وفَّيت.

وهذا كله من لطف اللطيف بك.

المعنى الرابع: خفاء الإحسان

قال **أبو سليمان الخطَّابي** عن اسم اللطيف:

«هو البَـرُّ بعباده، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون، ويسبِّب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون»[2]

إنه الإحسان الخفي.. ما علمنا منه، وما لم نعلم..

خذ النحل مثالاً..

لولا النحل لما نضجت ثمرة من الثمار؛ لأن النحل هو القائم بمهمة تلقيح الأزهار، وهذا ما لم نكتشفه إلا حديثًا.

(١) مختصر منهاج القاصدين ١/ ٣٠٢.
(٢) تفسير القرطبي ٩/ ٢٦٧.

عرف ربَّه اللطيف مَن رأى خفيَّ إحسانه في قدره، ولو كان مُرًّا.

وهو ما يدفعنا إلى التساؤل عن حكمة خلق كثير من الكائنات الحقيرة، والتي لا نعلم سبب إيجادها حتى اليوم، ولعلها لو اختفت لأدت إلى اختلالٍ في التوازن البيئي يؤدي إلى وقوع أبلغ الضرر بحياة الإنسان، ولو انقطع عنا الجود لانهدَّ هذا الوجود.

وبسبب طبيعة اللطف غير الظاهرة جاء في تعريف اللطيف عدة تعريفات، ترتبط بنماذجٍ من اللطف الخفي:

يقال: من لطفه بالعبد إخفاء عاقبته في الآخرة؛ لأنه لو علم أنه من أهل الجنة لاتَّكل على ذلك، وأهمَل عمله، ولو علم أنه من أهل النار، ليأس وترك عمله.

قال **ابن بطَّال**:

«في تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة وتدبير لطيف؛ لأنه لو علم وكان ناجيًا أعجب وكسل، وإن كان هالكًا ازداد عتوًّا، فحُجِبَ عنه»[1].

ويقال: من لطفه بالعبد إخفاء أجله عنه؛ لئلا يخاف، ويستوحش من دنو الأجل.

ويقال: من لطفه بالعبد أنه ينسيه ما عمله في الدنيا من الزّلات إذا تاب منها؛ لئلا يتنغَّص عيشه فى الدنيا أو بعد دخول الجنات.

ويقال: من لطفه بالعبد علمه بأنه لطيف، ولولا لطف الله لما عرف العبد بلطفه.

وللُّطف الخفي صور لا تعد ولا تُحصى!

وكم لله من لطــفٍ خفــيٍّ ... يَدِقّ خَفاهُ عن فَهــم الذَّكيِّ
وَكَم يُسْرٍ أَتى مِنْ بعد عُسْرٍ ... فَفَرَّجَ كُرْبَةَ القَلْبِ الشَّجــيِّ
وكم أمــرٍ تُســاءُ به صباحًا ... وَتَأْتِيــكَ المَسَرَّةُ بالعَشــيِّ
إذا ضاقت بك الأحوال يومًا ... فَثِقْ بالواحـدِ الفَــرْدِ العَلِيِّ

فمن لطفه الخفي أن يصرف عن عبده مالاً أو منصبًا رحمةً به؛ لئلا ينال من دينه، فيظل العبد حزينًا على المنع، ولو علم ما حماه الله منه؛ لحمد الله وأثنى عليه؛ ولذا جاء في الحديث:

«إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبُّه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب؛ تخافون عليه»[2].

(١) فتح الباري ١١/ ٣٣٠.
(٢) صحيح: رواه أحمد عن محمود بن لبيد والحاكم عن أبي سعيد كما في صحيح الجامع رقم: ١٨١٤.

ما عرف ربه اللطيف مَن عمي عن خفي إحسانه خاصة في قضائه المُرِّ.





ومن لطفه الخفي أن يقدر على عبده ألوانًا من المصائب وضروب المحن؛ ليسوقه إلى كماله البشري في الدنيا، وكمال النعيم في الجنة.

قال **ابن القيم**:

«فالقضاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ لِمَنْ أُعْطِيَ الشكر والصبر، جالبًا ما جلَب»[١].

ومن لطفه الخفي إذا أنزل بالعبد محنة أن يُوفِّقه فيها لاحتساب الأجر، فتخِفَّ عليه المصيبة، ولا ينسيه نفسه فيجزع؛ لأن (من لمح فجر الأجر؛ هان عليه ظلام التكليف).

قال رسول الله ﷺ:

«ليَودَّن أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم قُرِضت بالمقاريض؛ مما يرون من ثواب أهل البلاء»[٢].

ومن أجل ذلك قال **الفضيل بن عياض**:

«إذا أراد الله أن يُتحِف العبد سلَّط عليه من يظلمه»[٣].

وهذه ليست دعوة لتمني البلاء، بل لاستلهام الصبر من طريق اليقين بالجزاء.

ومن لطفه الخفي أن يصرف عبده عن المعصية مع وجود أسبابها، ويوفِّقَه للطاعة مع غياب أسبابها، ويجعله مستعصمًا بطوق الدعاء في لُجَج الشدائد، وهي الثلاث منح التي وهبها الله **يوسف** عليه السلام عند مراودة امرأة العزيز له، فصرف عنه الفحشاء، مع أن كل أسبابها كانت مهيأة لها، ووفَّقه للعفة مع غياب أسبابها عنه، واستخرج منه الافتقار بالدعاء عند أحلك الأوقات:

﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

ومن لطفه الخفي أن يجعل ما ابتُلِي به العبد من المعاصي سببًا لتوبته ومفتاحًا لهدايته، وسبيلاً لإزالة العجب والكبر من قلبه، مما هو خير له من كثير من الطاعات؛ خاصة لو كان معجبًا متكبِّرًا. قال **ابن القيم**: «فإذا أراد الله بهذا العبد خيرًا ألقاه في ذنب يكسِره به»[٤].

ومن لطفه الخفي أن يُنغِّص على العبد عيشه إذا عصاه، تنبيهًا له وتصويبًا لمساره، فلا يميل مع الذنوب كلَّ الميل، (فيتنغص عيشه وقت التذاذه، وما هي إلا لحظة ثم ندم ملازم، وبكاء متواصل، وأسف على ما كان مع طول الزمان، حتى لو تيقن العفو وقف بإزائه حذر العتاب)[٥].

(١) شفاء العليل ١/ ٣٤.
(٢) حسن: رواه الترمذي عن جابر كما في صحيح الجامع: ٥٤٨٤.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٠٤.
(٤) مدارج السالكين ١/ ٣٠٨.
(٥) صيد الخاطر ص ٩٧.

عرف ربَّه اللطيف مَن لطف بالخلق، وأحسن إليهم، وأوصل إليهم المعروف في خفاء ويُسْر.

المعنى الخامس: تيسير الأسباب.. ولو بعُدت

لكن لطفه مرتبطٌ بمشيئته؛ لذا قال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾.

فإذا أراد حصول شيءٍ يسَّر له أسبابه، وإن كانت في غاية البعد عن الحصول.

قالها **يوسف** عليه السلام بعد أن تذوقها بصورة عمَلِية في كل مواقفه الحياتية:

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾

إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئًا أحكم تدبير الأسباب الموصلة إليه، فجاء بها على غير ما يقدِّر العباد، ثم أراهم من عواقبها ما لم يتوقعوه.

إذا أراد إنفاذ أمرٍ يسَّر له أسبابه

وأنفذَه عن طريق أشد معارضيه!

أحد الأبرياء أُفرِج عنه بعد عام ونصف قضاها بالسجن ظلمًا وعدوانًا، والتهم الجاهزة الملفقة تصل بالحكم المنتظر إلى الإعدام.

وفي أحد جلسات المحكمة التي اعتاد القاضي فيها أن يجدِّد الحكم بالحبس، طرأ طارئ أدى إلى تحويل المتهمين إلى قاضٍ نزيه، ومعروفٌ أن السلطات تحرص على تجنب نظره للقضايا الملفَّقة.

وخلال دقائق كان قد أصدر قراره بإخلاء السبيل، وكما هو متوقَّع، فقد استأنفت النيابة على قرار الإفراج.

ورغم الفرح بإخلاء السبيل، إلا أن المفرَج عنهم تلقوا الخبر كسقطة سيحرصون على تداركها وعدم تكرارها.. خاصة بعدما نما علمهم أن من أحيل إليه الاستئناف أحد أشد القضاة ظلمًا وأكثرهم بغيًا، لكن أبى الله إلا أن يذهلنا بِلُطفه وفضله..

قال أحد هؤلاء الأبرياء:

«حين علِمنا باسم القاضي الذي سينظر قرار الاستئناف.. رجونا العساكر أن يريحونا من عبء الترحيل إلى المحكمة، وما نلقاه من مشقة ذلك.. كون القرار متوقعًا.. إلا أن طلبنا قوبِل بالرفض.

وصلنا المحكمة، وحين دخلنا على القاضي نظر إلينا شذرًا، وباستعلاء وتحفُّز، وهيَّأ نفسه لاتخاذ ما يسوؤنا من قرارات..

وفي سرعة البرق قرَّر رفض الاستئناف بعد أن ظنه استئنافًا منا على قرار تمديد حبسنا، ولم يدرك أن برفضه وقَّع على استئناف النيابة، وبالتالي أكَّد قرار خلاء سبيلنا!».

ما عرف ربه اللطيف مَن لم يلطف بالضعفاء، وقسا عليهم، فما أوصل إليهم بِرَّه.



وقفات لا تنتهي مع اللطف الإلهي!

قال **يوسف** عليه السلام:

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾

واللطف: رفقٌ وإحسان خفي عن الخلق..

فلولا تآمر إخوة **يوسف** عليه لما ألقي في الجُبِّ..

ولولا إلقاؤه في الجُبِّ ما أخذته السيارة..

ولولا أخذ السيارة له، وزهدهم فيه؛ لما باعوه لعزيز مصر..

ولولا بيعه لعزيز مصر؛ لما راوَدَته امرأة العزير عن نفسه..

ولولا هذه المراودة ما دخل السجن..

ولولا دخوله السجن ما التقى بصاحبيه..

ولولا تأويله لهما ما رأياه في المنام؛ ما وصَلَ أمرُه للملك..

ولولا وصول أمره للملك؛ ما خرج من السجن ولا ولي خزائن الأرض..

وهكذا رفع الله **يوسف** من طريق الذلة..

وأغناه من طريق الفقر..

وأسعده من طريق الشقاء!

﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرًا كَثِيرًا﴾

وقد كان الأقرب إلى العقول أن يموت مهشَّمًا عند إلقائه في الجب..

أو أن يهلك جوعًا وعطشًا لو تُرِك فيه..

أو تتخذه السيارة خادمًا، فيعيش طوال حياته ذليلاً مهانًا..

ولكنه سبحانه:

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾.

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾.

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾.

فلطفه متعلِّقٌ بمشيئته..

عرف ربَّه اللطيف مَن أحبَّه لِلُطفه، وسابغ معروفه وبِرِّه.

ومشيئته مرتبطة بحكمته..

وحكمته لا تنفك عن رحمته.

وإذا لطف بعبده؛ قيَّض له أسبابًا خارجة عن إرادته، وغير داخلة تحت قدرته، وفيها كمال صلاحه وفلاحه وعزته.

وملمح آخر رائع من لطف اللطيف:

أن البلاء ينزِل بحسب قوة المبتَلى، فالبئر مناسب ليوسف الطفل.

والسجن لا يقوى عليه إلا **يوسف** النبي.

والمُلك لا يَفتِن **يوسف الصِّديق!**

من ألطاف المحن

يقول الشاعر الأستاذ **عبد العزيز جمعة** وكان قد حُبِس ظلمًا، فانطلق يواسي إخوانًا معه مذكِّرًا لهم بطبيعة طريق الأنبياء الذي لاقوا فيه أشد الصعاب، ولكنهم وجدوا مع هذه الصعاب خفيَّ الألطاف:

نبـيُّ الله يعقـوبٌ ... بكى أسفًا على ولـدِ

وكان الله يـرعـاه ... وكان الخير في البُعدِ

فأنقَـذَ من مجاعات ... وأطلَعنا على كيـدِ

وصـار وزيـرًا أمتنا ... ولم يكُ ذاك في خَلَدِ

❋ ❋ ❋ ❋

وإبراهيـم يُسكِنُـه ... بـواد غيـرِ ذي زرعِ

فيـرعاه لـه الله ... تعالى خيـرُ مُستَرعِ

وحين يريد يذبحُـه ... يُجيبُ أباه أنْ أطِـعِ

ويرزق منـه أمتنـا ... فأيـن قلوبنـا لتعي؟

❋ ❋ ❋ ❋

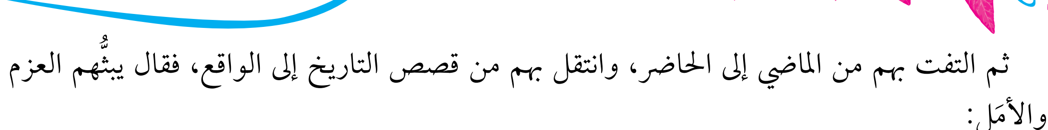
وموسى لم يُطِق صبرًا ... على خضـرٍ وما أمَرا

فصوَّر خرقـه إمرًا ... وصـوَّر قتلـه نُكـرا

وقال لـه ألـم تأخذ ... على بُنياننـا أجـرا؟!

فأطلَعـه على حكَـمٍ ... وكنتُ أودُّ لـو صبَـرا

ما عرف ربه اللطيف مَن لم يحِبَّه رغم ما تواتر عليه من سوابغ برِّه.



ثم التفت بهم من الماضي إلى الحاضر، وانتقل بهم من قصص التاريخ إلى الواقع، فقال يبثُّهم العزم والأمَل:

لئن خُرقت لنا سفُـنٌ	لكي ننجو ألا نصبـر؟!
وإن أُبعدت عن ولـدي	فلم أُرهَـق ولـم يكفر
فأبدَلَنـــي بـــه الله	زكاةً كيف لا أصبـر؟!
لئن مالَت لنـا جُـدُرٌ	سيبنيها لنـا الأكبـر
قضاء الله لـي خيـرٌ	فهل من أعين تبصر؟!
فلا تَعجَل لكي يُقضَى	فـإن الله لا يَعْجَـل!

ثانيًا: فادعوه بها عبادة وعملًا

الأول: الطف بالمسلمين

عامل الناس بما عاملك الله به، فعن **عائشة** رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«يا عائشة، إنَّ الله رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْق، ويُعْطِي على الرِّفْقِ ما لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وما لا يُعْطي على ما سواه»[1].

فلا بد لمن آمن باسم الله **اللطيف** أن يكون لطيفًا، أي رفيقًا هينًا ليِّنًا.

وهذا اللطيف الرفيق يكافئه الله بلطف أعظم وأهم في الآخرة، وهل ألطف من معافاتك من النار؟!

في الحديث:

«ألا أخبركم بمن يحرم على النار ومن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هيِّن سَهل»[2].

ولتنوِ بذلك أن تقتدي بِلُطف النبي ﷺ الذي روى عنه **عبد الله بن الحارث بن جَزْءٍ** رضي الله عنه:

«ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله»[3].

الثاني: المحاسبة والمراقبة

ولو عَلِمَ العبد أن ربَّه متصفٌ بدقة العلم، مع إحاطته بكل صغيرة وكبيرة، وإحاطته وعلمه بالظاهر

(١) صحيح: رواه مسلم عن عائشة رقم: ٢٥٩٣ كتاب البر والصلة الآداب- باب فضل الرفق.
(٢) صحيح: رواه الترمذي كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ١٧٤٤.
(٣) صحيح: رواه الترمذي كما في سننه رقم: ٣٦٤١ وصححه الألباني. **فائدة**: عبد الله بن الحارث صحابي جليل، كان يُسمّى شيخ المصريين، فقد شهد فتح مصر وسَكنها، وكان آخر الصحابة بها موتًا.

عرف ربَّه اللطيف مَن ذلَّ بين يديه؛ ليزداد لطفًا به.

والباطن؛ لحاسب نفسه على أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته؛ لأنه مجازى على أفعاله يوم الدين، ولو كانت مثاقيل الذر..

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾..

فحاسِب نفسك اليوم قبل حساب الغد.

الثالث: عليك بحب الله

إذ لطف بك في كل أحوالك، وحين يتأمل العبد لطف اللطيف به يغرق في بحر محبته، ويزداد تعلقًا به سبحانه وتعالى.

الرابع: الرضا والتوكل

قال **أبو حامد الغزالي**:

«من عرَف خفي لطف الله تعالى؛ رضي بفعله على كل حال»[1].

كل من رضي بفعل الله في ما مضى، سيتوكَّل عليه في المستقبل، بعد أن اطمأن إلى حسن اختياره له.

ومن لم يتوكل على الله فما عرف اسم الله اللطيف، ولا تذوقه!

قال **أبو قدامة**:

«واعلم أن كل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الطبيب الحاذق الشفيق، لم يصِحَّ توكله»[2].

وعجيبٌ منك أن تثق في كلام طبيبٍ يحتمل الصواب والخطأ، وتلتزم بأمره حرصًا على صحتك، ولا تثق في حسن اختيار اللطيف لك، وتتعامل مع أوامره وقضائه معاملة المعترض أو المرتاب.

ومن الغريب أن تثق في علم بشر وخبرته، ولا تثق في العليم الخبير، وهو مع ذلك اللطيف.

من جمع بين الرضا والتوكل كافأه الله بمكافأتي العطف واللطف..

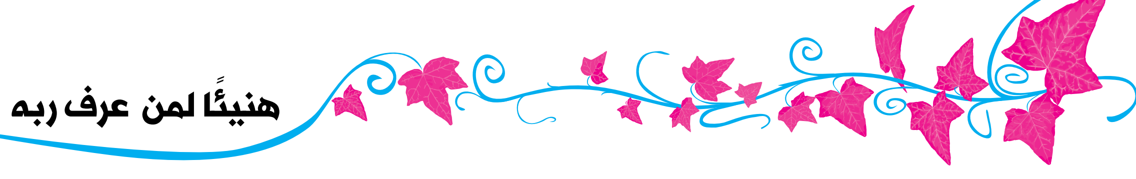
كما قال **ابن القيم في الفوائد**:

«ومتى صحَّ تفويضه ورضاه اكتنفه في المقدور: العطف عليه واللطف به، فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يُهوِّن عليه ما قدَّره»[3].

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٤٩.
(٢) مختصر منهاج القاصدين ١/ ٣٣٦.
(٣) الفوائد لابن القيم ١/ ١٣٧، ١٣٨.

ما عرف ربه اللطيف مَن لم يتضرَّع بين يديه؛ ليغمره بِلُطفِه.





الخامس: الذل والانكسار

قال ابن الجوزي:

«تضاعَفْ ما أمكنك؛ فإن اللطف مع الضعف أكثر»[١].

إذا احتجت إلى لطف الله بك ليعافيك مما أضرَّ بك، فأظهر لله ضعفك وانكسارك، وأبشِر بما يسُرِّك! ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾.

واذكر كيف كان رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء يوم عرفة على هيئة استطعام المسكين، ثم قلِّد.

والقاعدة هنا:

كلما ازدادت له انكسارًا، كلما غمرك لطفًا وبِرًّا وإحسانًا.

السادس: الدعاء باسم الله اللطيف

فادعُ الله:

اللهم الطف بي في تيسير كل عسير يا رب العالمين.

وهنا سؤال:

ما حكم هذا الدعاء: (اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه)؟!

والجواب:

هذا الدعاء ليس من الدعاء المأثور، ومعناه غير صحيح؛ لأنه يعارض **حديث سلمان** رضي الله عنه:

«لا يرد القضاء إلا الدعاء»[٢].

وفيه دليلٌ على أن الله يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وأن الدعاء يرد ما يكرهه العبد من شر القضاء؛ ولذا شُرِع لنا في دعاء الوتر أن ندعو:

«وقِني شرَّ ما قضيت».

وقد بيَّن العلماء أن الدعاء يرد القضاء، فقال شيخ الإسلام **ابن تيمية**:

«الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخفِّفه ويُضْعِفه»[٣].

---

(١) أصول الوصول إلى الله تعالى ١/ ٣٠١ - ط المكتبة التوفيقية.
(٢) حسن: رواه الترمذي والحاكم عن سلمان كما في صحيح الجامع رقم: ٧٦٨٧.
(٣) مجموع الفتاوى ٨/ ١٩٣.

عرف ربه اللطيف من رضِي بقضائه في كل الأحوال.

وقال **السيوطي**:

«وأما كونه سببًا لدفع البلاء -أي الدعاء- فهو أمر لا مِرْية فيه، فقد وردت أحاديث لا تحصى في أذكار مخصوصة، من قالها عُصِم من البلاء، ومن الشيطان، ومن الضُرِّ، ومن السم، ومن لدغة العقرب، ومن أن يصيبه شيء يكرهه»[1].

فليكن دعاؤنا بدلاً من ذلك:

اللهم إنا نسألك ردَّ القضاء بخاشع الدعاء، والتقرب بصالح الأعمال، وخالص الأحوال.

ثالثًا: فادعوه بها مسألة ودعاءً

اللهم إنك لطيف لـما تشاء، وأنت العليم الحكيم، ارفع عني البلاء والشقاء، وأعذني من الشيطان الرجيم.

«اللهم الطف بي في تيسير كل عَسير؛ فإن تيسير كل عَسير عَليك يَسير، وأسألك اليُسْر والمعافاة في الدنيا والآخرة».

يا لطيف..

يا من لطفت بنا من حيث لا نعلمك، وأجريت علينا الرزق من حيث لم نحتسب، أتمم علينا لطفك، وأرنا آثاره وملامحه؛ حتى نزداد لك حبًّا وبِرًّا.

يا لطيف..

ارزقنا الثقة بلطفك؛ حتى نتوكل عليك وحدك يا صاحب الملكوت، ونقطع حبال اليأس والقنوط يا ذا الرحمة والجبروت.

يا لطيف..

الطف بنا عند الوقوع في الذنوب بالتوبة النصوح، وعند القيام بالطاعات بقبولها رغم الآفات منها تلوح.

يا لطيف..

اللهم يا لطيفًا فوق كل لطيف، الطُف بنا في أمورنا كلها كما نُحِبُّ..

(١) الحاوي للفتاوى ١/ ٣٨٧.

ما عرف ربه اللطيف من وثق بلطف البشر أكثر من ثقته بلطف الله.





يا لطيف..

لم تزل ألطف بنا من كل أحد، فالطف بنا في كل ما نزل.

يا لطيف..

عرِّفنا خفِيَّ لطفك؛ لنرضى بجميع فعلك.

يا لطيف..

ارزقنا اللطف بالناس؛ حتى نكون معهم مثل كُلِّ سهلٍ هيِّنٍ ليِّنٍ.

رابعًا: حاسِبْ نفسك تعرِف ربّك

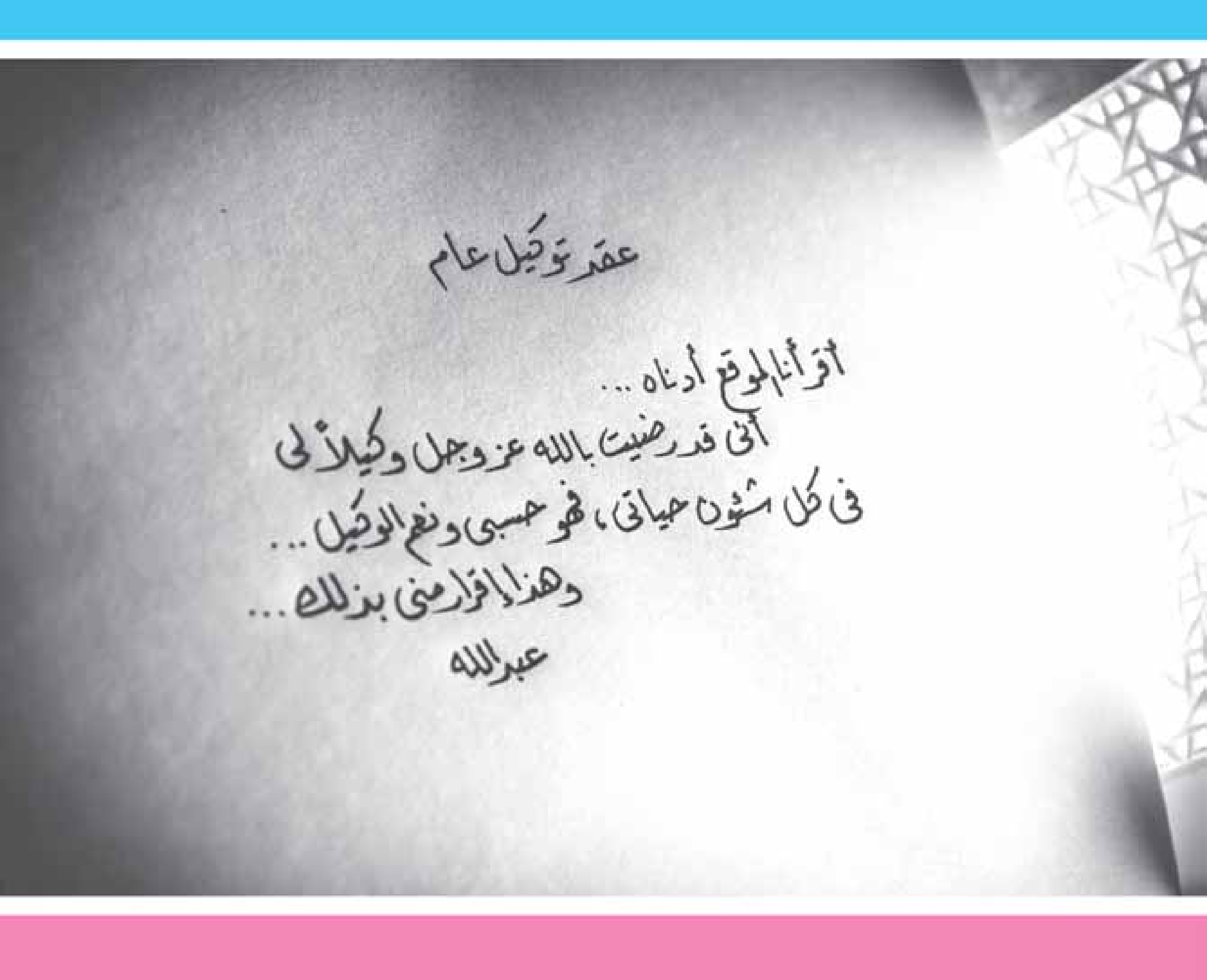
	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل أنت هين لين؟ «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ.. سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى.. سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى.. سَمْحًا إِذَا قضى»			
٢	هل تستصغر عملاً أو قولاً، فلا تحاسب نفسك عليه؟			
٣	هل تثق في لطف الله تعالى بك في البلايا كما في العطايا؟			
٤	هل ترضى بقضاء الله في كل الأحوال ثقةً منك في لطفه؟			
٥	هل تذلُّ بين يديه؛ لتحظى بلطفه وإنعامه عليك؟			

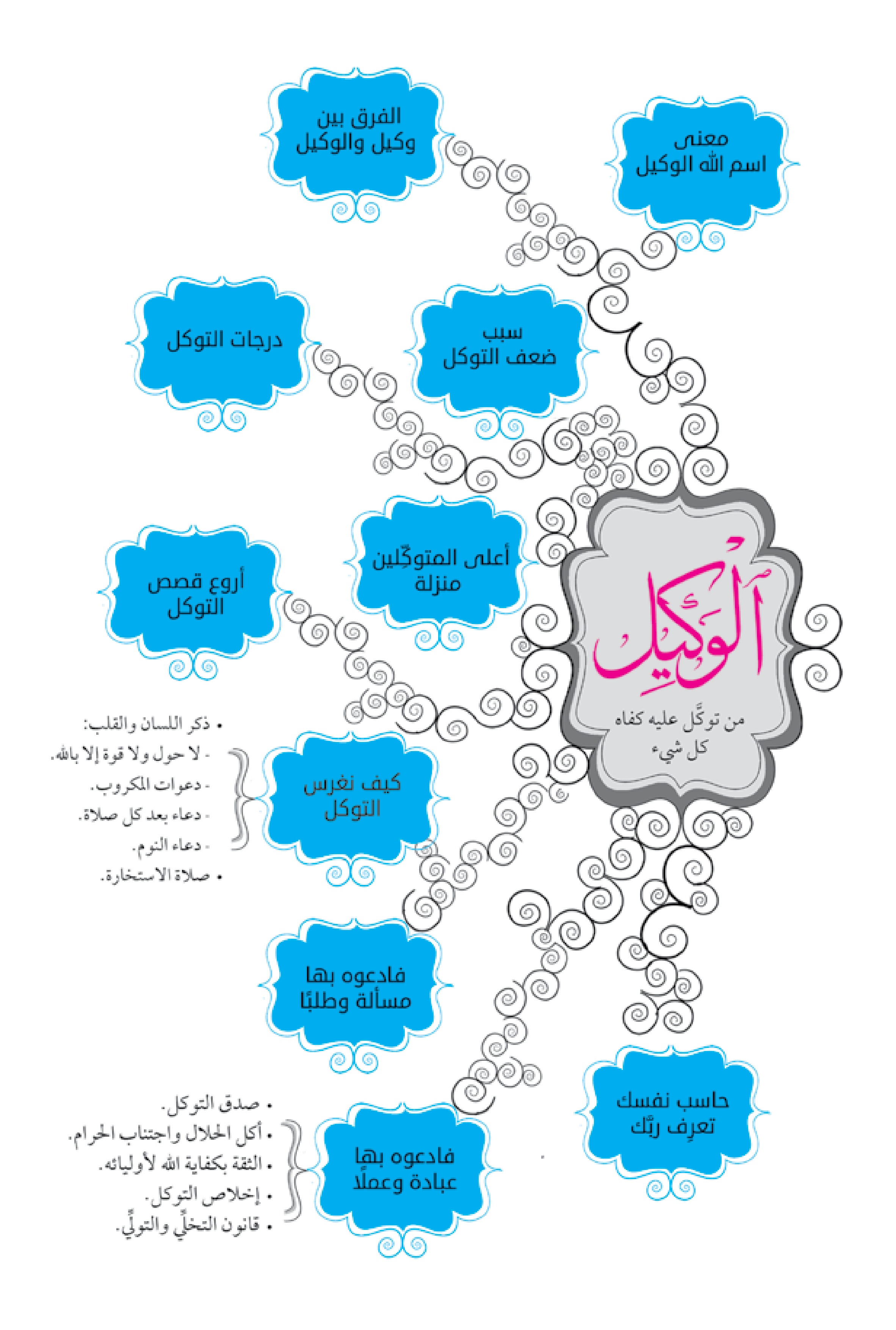
عرف ربه اللطيف من أحسن الظن به في الشدائد والمحن.



من توكَّل عليه كفاه كل شيء

الموكول إليه الأمور كلها، ويشتمل اسمُ الوكيل على ثلاثة معان: الكفيل، الكافي، الحفيظ.


عقد توكيل عام
أقر أنا الموقع أدناه ...
أني قد رضيت بالله عز وجل وكيلاً لي
في كل شئون حياتي، فهو حسبي ونعم الوكيل ...
وهذا إقرار مني بذلك ...
عبدالله


الوكيل
من توكَّل عليه كفاه كل شيء
معنى اسم الله الوكيل
الفرق بين وكيل والوكيل
سبب ضعف التوكل
درجات التوكل
أعلى المتوكِّلين منزلة
أروع قصص التوكل
كيف نغرس التوكل
• ذكر اللسان والقلب:
- لا حول ولا قوة إلا بالله.
- دعوات المكروب.
- دعاء بعد كل صلاة.
- دعاء النوم.
• صلاة الاستخارة.
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرِف ربَّك
فادعوه بها عبادة وعملًا
• صدق التوكل.
• أكل الحلال واجتناب الحرام.
• الثقة بكفاية الله لأوليائه.
• إخلاص التوكل.
• قانون التخلِّي والتولِّي.





أولاً: معنى اسم الله الوكيل

هل ذهبت يومًا إلى الشهر العقاري؟!

هل وكَّلت فيه أحدًا؟

وما نوع التوكيل الذي استلمته؟

هل هو توكيل عام، أم خاص؟ فالتوكيل العام معناه أن توكل الشخص في كل ممتلكاتك وأموالك، والتوكيل الخاص يعني أن توكله في موضوع محدَّد..

أي أنك لا تثق في تصرفه إلا في موضوع معين.

وعندما تذهب لتصدر توكيلاً عامًّا لأحد، فإن الموظف المسؤول سيسألك: هل أنت متأكد؟!

لم يسأل هذا السؤال؟!

لأنه بهذا التوكيل سيتحكم في كل ما تملك، ويصير مسؤولاً عن كل شي.. فتجيب: نعم، أنا أثق به، ومستعد أن أضع توقيعي على ذلك؛ فأنا واثقٌ أنه لن يضيعني، ولابد من أن يجمع من وكَّلته بين المحبة والحكمة والقدرة.

لابد أن يكون محبًّا لك، حريصًا على مصالحك؛ لكي يكون مؤتمنًا على مالك، ولابد مع المحبة من حكمةٍ في التصرف في المال؛ كي لا يبدِّد مالك عن قلة خبرة، فيورِّطك، ويضرك من حيث أراد نفعك.

ولابد له من قوة لتنفيذ تصرُّفه، وإلا فما قيمة الأمانة والحكمة في ظل عجزٍ حاكِمٍ؟!

وهل هناك أحب وأحكم وأقوى من الله؟!

ولله المثل الأعلى، فإذا استقر في قلبك أنه ليس وراء قدرة الله قدرة، ولا وراء علمه علم، ولا مع رحمته رحمة، اتكل قلبك عليه وحده لا محالة، ولم يلتفت إلى غيره بوجه من الوجوه.

قال **الراغب** في المفردات:

«التوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبًا عنك، والوكيل: فعيل بمعنى المفعول»[1].

فالوكيل أي الموكول إليه الأمور.

ونِعْمَ الوكِيل: أي.. ونِعم من وكَّلتَ إليه أمرك.

---

(١) المفردات ص ٥٣١، ٥٣٢.

عرف ربه الوكيل مَن توكل عليه، فلم يتشاءم ثقة بربه وبحسن تصرفه وقدره.

ومن أوجز ما قيل في التوكل:

«اشتغال الجوارح بالأسباب، واشتغال القلب بالله»

توكَّل على الرحمن في كلِّ حاجة أردتَ فـإنَّ الله يقضــي ويقــدر

إذا ما يُرِد ذو العرش أمرًا بعبـدِه يُصِبـــه ومــا للعبــد ما يَتَخيَّـــر

وقد يهلك الإنسان من وجه حذره وينجو بحمد الله من حيث يحذر

ثانيًا: الفرق بين وكيل والوكيل

هو الفارق بين الخلق والخالق، فالخلق يشتركون في بعض دلالات الأسماء الحسنى: كالسمع والبصر والقدرة وغيرها من الصفات، ومنها إطلاق اسم الوكيل على المخلوق، لكن هذا لا يعني بحال من الأحوال تشابه الصفات؛ لمجرد الاشتراك في الاسم، فأين سمع الإنسان من سمع الله الذي وسع سمعه جميع الأصوات!

وأين بصره من بصر الله سبحانه!

وأين علمه وحكمته من علم الله وحكمته!

والوكيل المطلق هو الذي توكل إليه الأمور كلها، وهو قادرٌ على القيام بها جميعها، ووفيٌّ بإتمامها، وذلك لا يكون إلا لله وحده، وذلك بعكس ما يكون من الوكيل البشري الذي توكله في شأن معين.. مالي أو حياتي.. بحسب حاجتك وخبرته.

فارق آخر:

أنك إن اتخذت من المخلوقين وكيلاً ابتزوا مالك وطالبوك بالأجرة، وإذا اتخذت الله وكيلاً، وفَّر عليك مالك، فلا يريد منك جزاءا ولا شكورا، بل وفوق ذلك: يكافئك ويضاعف أجرك في الآخرة.

ومن آثار التوكل عرَّفوه، فقالوا:

التوكل: سكون القلب لفعل الرَّبِّ.

التوكل: استواء القلب في المنع والعطاء.

والتوكل: تفويض الأمر إلى الله؛ للثقة بحسن تدبيره.

ما عرَف ربَّه الوكيل مَن توكل على غيره، أو تشاءم لما مرَّ به من أقدار.





ثالثًا: سبب ضعف التوكل

إن كنت لا تتوكل على الله حق توكله، فسبب ذلك أمران:

إما ضعف معرفتك بالله، أو اتكالك على غيره.

فأما الأول:

فكلما قويت معرفتك بالله قويت استعانتك به، وكمال استعانتك بحسب قوة معرفتك، وعلى هذا تكون ابتلاءاتك في الحياة ليست اختبارًا لقوة صلابتك، بل لصدق توكلك، وكمال استعانتك.

وأنت تلمح ذلك في دنياك، فإذا وجدت الناس يمدحون طبيبًا مشهورا ماهرًا لمهارته، أسرعت إليه عند مرضك ليعالجك، فتخرج من عنده مطمئنًا مستريح البال، وقد امتلأ قلبك ثقة بالشفاء، فقد أصبحت في أيدٍ أمينة، فلم لا يكون هذا نفس حالك مع الله؟!

والجواب:

لأنك لا تعرفه.

يقول **ابن القيم**:

«ولهذا فُسِّر التوكل عند بعض الأئمة أنه المعرفة بالله، فكلما كان العبد بالله أعرف، كان توكله على الله جل وعلا أقوى»[(١)].

ثم أسهب في ذكر أقوال العلماء، فقال في إحدى الصفحات:

«إن **بِشْر بن بشّار المجاشعي** قال: قلت لعابد: أوصني. قال: ألقِ نفسك مع القدر حيث ألقاك، فإنه أحرى أن يَفرُغ قلبك، ويَقِلَّ همُّك»[(٢)].

وهو ذروة الحياة الطيبة، بل لا تطيب حياة المرء إلا به، ولا يشقى إلا بغيابه.

قال **ابن عقيل**:

«والحياة الطَّيِّبة: التَّفويض إلى الله، كالصَّبيِّ حال التَّرْبية يُفَوِّض أمره إلى والديه، ويثق بهما مُسْتَرِيحًا مِنْ كَدِّ التَّخيُّر، فلا يتخيَّر لِنفسِه مع تفويضه إلى مَنْ يختار له، فالمُفَوِّض وَثِق بالمفَوَّض إليه»[(٣)].

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٢٥.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢١٥.
(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٢/ ٢٤٤ - ط دار الكتب.

عرف ربه الوكيل مَن استخاره في كل أموره، ولو كان في صغار الأمور.



رابعًا: درجات التوكل

قال **علي الروذباري**: التوكل ثلاث درجات:

الأولى: إذا أُعطِي شكر، وإذا مُنِع صبر.

والثانية: المنع والعطاء مستويان.

والثالثة: المنع مع الشكر أحب إليه؛ لعلمه باختيار الله ذلك له.

فالأولى يمكن أن نسميها (ترك الشكاية) وهي درجة الصبر، والثانية: التي يستوي فيها المنع والعطاء، والصحة والمرض، والغنى والفقر تعبِّر عن (سكون القلب) وهو الرضا، والثالثة: المحبة.

والجنة درجات تكافئ أعمال العباد، فكلما كانت درجة العمل أعلى كانت درجة العبد في الجنة أعلى.

وأما درجات التوكل من حيث أنواعه:

من أعظم صور التوكل على الله عز وجل: التوكل عليه في أمر الآخرة (اللهم يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك)، ثم التوكل عليه سبحانه وتعالى في هداية الخلق ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، فتتوكل عليه في خاصة نفسك، ثم تتوكل عليه في تحقيق عبودية الله في الأرض ونصرة دينه.

وهذا توكل الأنبياء والأولياء، وإنَّ توكل أنبياء الله في أن ينصر الله دينه رغم انعدام الأسباب التي بأيديهم، ورغم ضعفهم وعجزهم، لهو من أعظم الأسباب التي يقويهم بها رب العالمين، ويعينهم بها على كسر الجبارين، وتمكين المستضعفين، فإرادته ماضية لا يقف أمامها شيء، فتمضي حيث يشاء سبحانه، وحين يشاء سبحانه وتعالى.

قال **ابن القيم** في الفوائد: «التوكل على الله نوعان:

أحدهما: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

والثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه.

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حقَّ توكله، كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضًا، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه»[(١)].

(١) الفوائد ١/ ٨٧.

ما عرَف ربَّه الوكيل مَن ترك الاستخارة في أموره، واعتمد على رأيه وخبرته.





ويصف **ابن تيمية** الظن بأن التوكل من المستحبات، بأنه ضلال مبين، فيقول:

«وتظن طائفة أن التوكل إنما هو من مقامات الخاصة، المتقرِّبين إلى الله بالنوافل، وكذلك قولهم في أعمال القلوب وتوابعها، من الحب والرجاء والخوف والشكر ونحوه، وهذا ضلالٌ مبين، بل جميع هذه الأمور فرض على الأعيان، باتفاق أهل الإيمان»[1].



خامسًا: أعلى المتوكلين منزلة

قال رسول الله ﷺ:

«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب: هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيَّرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»[2].

فترك الاسترقاء والاكتواء والطيرة هو حقيقة التوكل، والصفات المذكورة **«لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون»** تدل على أنهم متوكلون على الله تمام التوكل، وإليك الشرح بالتفصيل:

«هم الذين لا يسترقون»:

والألف والسين والتاء تفيد الطلب، مثل: استغفر أي طلب المغفرة، واسترقى أي طلب الرُّقية، فمعنى **«لا يسترقون»**، أي: لا يطلبون من أحد أن يقرأ عليهم، والطلب نقصٌ في المسترقي الذي يطلب الرقية، والمتوكلون يأنفون من طلب الرقية مع جواز ذلك لقوة اعتمادهم على الله عز وجل، ولعزة نفوسهم عن التذلل لغير الله؛ ولأنهم لا يريدون أن يكون لهم أي تعلق بغير الله، فلا يطلبون من أحد رقية **«لا يسترقون»**.

نعم.. الرقية في حد ذاتها ليست ممنوعة، وليس ممنوعًا لشخص أن يرقي، ولا أن يسترقي إذا كانت الرقية مشروعة، لكن طلب الرقية فيه نزول عن مرتبة الكمال في التوكل، وهؤلاء السبعون ألفًا في المنزلة العليا، فليس من صفاتهم أن يطلبوا الرُّقي من الناس، ولو كانت مباحة.

الصفة الثانية: **«ولا يتطيَّرون»**

أي لا يتشاءمون، والتطير مأخوذ من الطير، وهو التشاؤم بالطير، فالعرب كانوا يتشاءمون بالطيور، فلو أراد أحدهم سفرًا أو بيعًا أو زواجًا، أمسك طيرًا فأطلقها، فإن ذهبت يمينًا قال: هذا خير وبركة، وأقدم عليه، وإن ذهبت شمالاً قال: هذا شؤم وشر، وتركه.

(١) مختصر الفتاوى المصرية ص: ١٢٤.
(٢) صحيح: رواه البخاري عن ابن عباس وأحمد ومسلم عن عمران بن حصين ومسلم عن أبي هريرة؛ كما في صحيح الجامع رقم: ٨٠٧١.

عرف ربه الوكيل مَن توكَّل عليه في رزقه، فلم يطعم حرامًا، أو شبهة؛ ثقةً بربه.

الصفة الثالثة: «ولا يكتوون»

أي لا يطلبون الكَيَّ، ولا يسألون غيرهم أن يكويهم، كما لا يسألون غيرهم أن يرقيهم، استسلامًا لقضاء الله، وتلذذًا بالبلاء، وصبرًا عليه؛ طلبًا لمزيد الأجر، وعدم حاجة للمخلوقين واستغناءً عنهم، ولجوءًا تامًّا إلى الخالق، وتفويض الأمر إلى الله سبحانه، لذا جاء في الحديث:

«من اكتوى أو استرقى، فقد بَرِئ من التوكل»[1].

والمقصود أنه برئ من تحقيق كمال التوكل، وأما الثناء على تاركي الكَيِّ فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهية، أي: إذا كان عندك اختيار فلا تستعمل إلا إذا اضطررت، وقد يُحمَل النهي على الكراهية لا على التحريم، لكن إذا لم يجد الإنسان دواءً إلا هو، فآخر الدواء الكي.



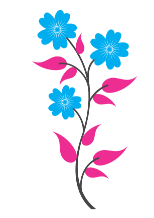
سادسًا: أروع قصص التوكل

روى **البخاري** في صحيحه عن **ابن عباس** رضي الله عنه قال:

«كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبنا الله ونعم الوكيل»[2].

أراد الله أن يضرب **بإبراهيم** الأسوة الحسنة في التوكل لكل من أصيب في سبيل الله، فحين ألقي في النار قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل»

ولاحظ أن الفرج لم يأته من أول لحظات الابتلاء، فقد حُبِس إبراهيم مدة قبلها، ووضعوه مقيَّدًا في المنجنيق، ثم ضُرِب المنجنيق لينطلق **إبراهيم** في الهواء، وعندها قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، وفي آخر لحظة، وعند قرب الهلاك جاء الفرج ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].



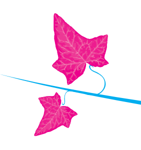
فإذا حُبِستَ يومًا في سبيل الله فتذكَّر حبس **إبراهيم**، وإن قيَّدوك فتذكر قيد **إبراهيم**، وإن هدَّدوك لتتخلى عن مبادئك، فتذكَّر ما هُدِّد به إبراهيم، ثم أكمِل باقي فصول الاقتداء، وتذكَّر توكُّل الخليل، وقل بقلبك مع لسانك: حسبنا الله ونعم الوكيل، وعند ذلك تتحول المحنة إلى منحة، والمنع إلى عطاء، ونار البلاء إلى روعة عطاء.

يظن الناس أن المؤمن مُعذَّب في الدنيا، وهو في الحقيقة في غاية النعمة بفضل الله ورحمته، قد أنعم عليه بألوان من العطايا، رغم ما يراه الناس حوله من البلايا، وهو قول بعضهم: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن حبان وابن ماجة والحاكم وأحمد كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٤٤، ومختصر صحيح مسلم رقم: ٢٥٤.
(٢) صحيح: رواه البخاري في صحيحه رقم: ٤٥٦٤ - كتاب تفسير القرآن- باب ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾.

ما عرَف ربَّه الوكيل مَن استعجل رزقه، فأكل من الحرام، أو ارتشى.





نحن فيه؛ لجالدونا عليه بالسيوف».

ثم تأمل لبركة هذه الكلمة حتى أنها صالحة لكل العصور، فهذا النبي ﷺ لما جاءته الأنباء باجتماع الجيوش ضده قال العبارة نفسها: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

وألا تلاحظ معي روعة الموقف، وفي المقابل جلال المكافأة الربانية، والمنحة الإلهية: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾!

جاء الخبر بأن جيوش الأعداء مكتظة في الطريق إليكم، وهؤلاء يزدادون إيمانًا.

لماذا؟

لأنه توكلوا على الوكيل مستعينين به، هاتفين: حسبنا الله ونعم الوكيل.. ألا ما أسعد قلوب المتوكلين!

ولنسائل أنفسنا اختبارًا لها، وتقييمًا لإيماننا:

هل ما نمرُّ به هذه الأيام من شدائد تتصاعد يومًا بعد يوم.. تزيدنا بالله إيمانًا أم تزلزل الإيمان؟!

قال ابن عباس:

«﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها **إبراهيم** عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها **محمد** ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾»[1].

وقد تعلم **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه هذا التوكل النبوي، حين رآه مجسَّدًا أمام عينيه في الغار، فانطلق ينشد:

قال النبي ولم يجزعْ يُوَقِّرني ... ونحن في شدة من ظُلمَة الغار

لا تخشَ شيئًا فإن الله ثالثنا ... وقد توكَّل لي منه بإظهار

وإنما كيد من تخشى بوادره ... كيد الشياطين كادته لكفّار

والله مهلكهم طرًّا بما كسبوا ... وجاعل المنتهى منهم إلى النار

فكان من ثمرة هذه التربية المباركة أن تصدق بماله كله في غزوة تبوك، فقال حين سأله **المصطفى** ﷺ: ما أبقيت لأهلك يا **أبا بكر**؟! قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله.



سابعًا: كيف نغرس التوكل؟!

١- ذكر اللسان والقلب:

* **لا حول ولا قوة إلا بالله:**

(١) صحيح: رواه البخاري في صحيحه رقم: ٤٥٦٣ - كتاب تفسير القرآن - باب ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾.

عرف ربه الوكيل من أكثر من ذكر: (لا حول ولا قوة إلا بالله).



قال رسول الله ﷺ:

«أكثِر من لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها من كنز الجنة»[١].

ومعناها: لا يحول بينك وبين ما تكره إلا الله، ولا يقويك على ما تُحِب إلا الله.

وفي حديث ثانٍ يستحثك على الإكثار من هذا الذكر:

«أكثِروا من غرس الجنة، فإنه عذبٌ ماؤها، طيبٌ ترابها، فأكثِروا من غِراسها: لا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

وحديث ثالث إن طمعتَ في مزيد أجر:

«ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله»[٣].

وفي حديث رابعٍ رائعٍ ماتعٍ:

«ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الله: أسلَم عبدي واستسلم»[٤].

ومعنى آخر لهذه الكلمة أن لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك التحول إلا بالله، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

لكن كثيرًا من الناس يستعملون هذه الكلمة استعمالاً خاطئًا، فيردِّدونها جزعًا لا صبرًا.. قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**:

«قال **الشِّبلي** بين يدي **الجُنَيْد**: لا حول ولا قُوَّة إلّا بِالله، فقال **الجُنيْد**: قولك ذا ضيق صدر، وضيق الصَّدْر لِتَرك الرِّضا بالقضاء.

فإن هذا من أحسن الكلام، وذلك أن هذه الكلمة هي كلمة استعانة لا كلمة استرجاع، وكثيرٌ من النَّاس يقولها عند المصائب بِمَنزلة الاسترجاع، ويقولها جزَعًا لا صبرًا»[٥].

❁ دعوات المكروب:

«دعوات المكروب: اللهم رحمتَك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلِح لي شأني كله، لا إله

(١) صحيح: رواه الطبراني وابن حبان عن أبي أيوب كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٠٥.
(٢) حسن: رواه الطبراني عن ابن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ١٢١٣.
(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذي والحاكم عن قيس بن سعد بن عبادة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٦١٠.
(٤) صحيح: رواه الحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٦١٤.
(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذي والحاكم عن قيس بن سعد بن عبادة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٦١٠.





إلا أنت»[1].

وكم من ضعيفٍ عاجزٍ عن بلوغ حاجته، لكن قوي توكله على ربه فأعانه عليها، وكم من قويٍّ اعتمد على قوته فخانته أحوج ما كان إليها.

* **دعاء بعد كل صلاة:**

كتب **معاوية إلى المغيرة بن شعبة** رضي الله عنه:

أيَّ شيء كان رسول الله ﷺ يقول إذا سلَّم من الصلاة؟ فأملاها المغيرة عليه، وكتب إلى معاوية:

كان رسول الله ﷺ يقول:

«لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعْطِيَ لما منعت، ولا ينفعُ ذا الجَد منك الجد»[2].

وقوله: **«ولا ينفع ذا الجد منك الجد»** أي لا ينفع عند الله، ولا يُخلِّص من عذاب الله، ولا يُدني من كرامته جدود بني آدم أي حظوظهم من الملك، والرئاسة، والغنى، والسلطان، وغير ذلك، وإنما ينفعهم عنده التقرب إليه بطاعته، وإيثار مرضاته.

* **دعاء النوم:**

كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه كما في حديث **البراء بن عازب** رضي الله عنه في صحيح **البخاري**، يقول:

«إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبِنَبِيِّك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخرَ ما تتكلم به»[3].

ولابد من فهم كل حرف من هذه الكلمات بقلبك مع نطق اللِسان، فلا تشغل عقلك الصغير الحقير بما يفعل **الوكيل**، لقد وكَّلت صاحب الصفات الكاملة، من له العزة التامة، والقدرة الشاملة، والحكمة الكاملة، والملك الذي له ما في السماوات وما في الأرض، وهو على كل شيء قدير، فإذا كان هذا وصف من وكلته وفوَّضته، فكيف تحمل همَّ التدبير بعد هذا التفويض؟!

(١) حسن: رواه أحمد وأبو داود وابن حبان عن أبي بكر ة كما في صحيح الجامع رقم: ٣٣٨٨.
(٢) صحيح: رواه أبو داود عن المغيرة بن شعبة كما في صحيح أبي داود رقم: ١٣٤٩.
(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم عن البراء كما في صحيح الجامع رقم: ٢٧٦.

عرف ربه الوكيل من توكل عليه في طلب الحلال واجتناب الحرام.

٢- صلاة الاستخارة:

عندما تتعرَّض لمشكلة فاذهب للوكيل، وصلِّ بين يديه ركعتين، ثم ادعُ بهذا الدعاء:

«اللهم إنـي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتــك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيـــوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيــرٌ لي فـي ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري، فقدره لي، ويسِّره لي، ثم بارك لــي فيه، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في دينــي ودنياي ومعاشـي وعاقبة أمري، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيثما كان، ثم أرضني به».

التفويض أن تفوِّض أمرك لله، إما أن تدبِّر أمرك، أو تفوِّض أمرك إلى الوكيل ليدبِّر أمرك، أمَّا أن يكون في قلبك تزاحمٌ لتدابير الله، ظانًّا أن خيوط الأقدار بيديك! فما حظُّك من التوكل حينها؟!

لو أن شخصًا لديه قضية في المحكمة، ونصحوه أن يفوِّض محاميًّا ماهرًا مشهورًا بالعمل في القضايا الشائكة، فكلمـا كانت خبــرة المحامي أكبر، كلمـا زاد شعورك بالاطمئنان، فكيف لو كان الذي فوَّضته هو الوكيل؟!

لقد قال الله لنبيه:



﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾:

يا محمد،

ليس هذا من شأنك..

فأخرج نفسك من عناء التفكير.

وفوِّض أمرك لصاحب التدبير.

وتوكَّل على الحكيم الخبير.

فأنت لا تطيق معالجة هذا الأمر الخطير.

ولا تعرف على الحقيقة ما حاق بك من مكرٍ وشرٍّ مستطير.

ولو عرفت حجمه وقدره؛ لاندكت روحك ونفسك كما تندكُّ الجبال ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾.

ولن تستطيع تحمل التبعات إلا بتفويض رب الأرض والسماوات.

ما عرف ربه الوكيل من أكل الحرام رشوة أو ربًا أو غصبًا.







الأول: صدق التوكل

التوكل على الله وحده في جلب المنافع، ودفع المضار، ونفض القلب واليد عمَّن سواه، وفي ذلك يقول ابن القيم:

«و(الاستعانة) تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه في أموره -مع ثقته به- لاستغنائه عنه.

وقد يعتمد عليه -مع عدم ثقته به- لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه، مع أنه غير واثق به.

و(التوكل) معنى يلتئم من أصلين: من الثقة، والاعتماد»[(١)].

الثاني: أكل الحلال واجتناب الحرام

من تعريفات التوكل المتعلِّقة ببعض آثاره: أن لا تعصي الله من أجل تحصيل رزقك، فكل من أكل لقمة حرام فليس بمتوكل، فالإيمان باسم الوكيل يُلْقي الطمأنينة والسكينة في قلوب المتوكلين عليه، فيأخذون بالأسباب المشروعة في طلب الرزق، وينأون بأنفسهم عن الكسب الحرام.

الثالث: الثقة بكفاية الله

الثقة بكفاية الله لأوليائه ونصرته لهم وإحسان الظن به سبحانه، هو ما يبث الرجاء في النفوس المؤمنة، ويُذهِب عنها اليأس والخوف من المخلوق، ويطيح بالإحباط والتشاؤم، وهذه هي مفاتيح النجاح في الدنيا والآخرة.

والله عند ظن العبد به، فإن ظن العبد به خيرًا وجده، وإن ظن غير ذلك وجد ما ظنه، وهل أوضح من قصة الرجل الصالح من بني إسرائيل قصها علينا رسول الله ﷺ؛ لنتذوق حلاوة كفاية الله لمن توكل عليه، ورضي به وكيلاً وكفيلاً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه:

«عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت،

(١) مدارج السالكين ١/ ٧٥.

عرف ربه الوكيل من تولى الله بطاعته وعبادتة فتولاه الله بتأييده ونصرته.

فدفعها إليه على أجلٍ مُسمًّى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا بألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيدًا فقلت: كفي بالله شهيدًا، فرضي بذلك. وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له، فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر؛ لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار، فقال:

والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب؛ لآتيك بمالك، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه.

قال: هل كنت بعثت إليَّ بشيءٍ؟

قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه.

قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرِف بالألف دينار راشدًا»[1].

وصدق رسول الله ﷺ حين قال:

«من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله»[2].

وإليك عصارة تجربة الإمام **فخر الدين الرازي**؛ أهداك إياها بعد أن بلغ السابعة والخمسين من عُمره، ليزيدك بها قوة إلى قوتك، وسكينة على سكينتك، فقال في سياق تفسيره لقول نبي الله **يوسف** ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾:

«والذي جرَّبتُه من أول عمري إلى آخره، أن الإنسان كلما عوَّل في أمرٍ من الأمور على غير الله صار ذلك سببًا إلى البلاء والمحنة، والشِّدَّة والرزِيَّة، وإذا عوَّل العبد على الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه، فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين، فعند هذا استقر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله تعالى وإحسانه»[3].

هذه الثقة بكفاية الله وتفويض الأمر إليه هي منبع السكينة الإيمانية التي يستغرِبها غير المتوكلين..

(١) صحيح: رواه البخاري في صحيحه رقم: ٢٢٩١ – كتاب الحوالات – باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها.
(٢) صحيح: رواه أحمد والبخاري وابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٩٨٠.
(٣) تفسير مفاتيح الغيب ١٨/ ٤٢٨.

ما عرف ربه الوكيل من توكل على غيره وتعلق قلبه بخلقه.



لذا قال **الطاهر بن عاشور** في معرض تفسير قول الله: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾:

«والتخلق بهذه الآية هو أن المؤمن الكامل ينبغي له أن يُفوِّض أمر المعتدين عليه إلى الله، فهو يتولى الانتصار لمن توكل عليه، وأنه إن قابل السيئة بالحسنة؛ كان انتصار الله أشفى لصدره وأرسخ في نصره، وماذا تبلغ قدرة المخلوق تجاه قدرة الخالق؟! وهو الذي هزم الأحزاب بلا جيوش ولا فيالق»[(١)].

الرابع: إخلاص التوكل

سئل **بِشْر بن الحارث** عن التوكل، فقال:

«المتوكل لا يتوكل على الله ليُكفَى، ولو حلَّت هذه القصة في قلوب المتوكلة لضجّوا إلى الله بالندم والتوبة»[(٢)].

وسبب توكلك على الوكيل ليس لأنك تحتاج إليه فحسب، بل لأنه أحق من يُتَوكَّل عليه.

ونظير ذلك من اتقى الله؛ ليجعل الله له مخرجًا، ومن اتقى الله ليجعل له فرقانًا، ومن تواضع ليرتفع، وقد قال ﷺ: «وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»[(٣)]، فلا يرتفع إلا من تواضع (لله)، لهذا قال بعضهم: من تواضع ليرتفع؛ لم يرتفع!

الخامس: قانون التخلّي والتولي

إن قلت: أنا الذي فعلت، وخبراتي المتراكمة هي التي أوصلتني إلى هذه المكانة، وتخصصي النادر هو الذي رفعني.. تخلى الله عنك، ووكلك إلى نفسك.

وإن نسبت الفضل لربك تولَّاك.

وفي كل يوم يتقلب العبد بين نعيم التولِّي وجحيم التخلِّي.

ومن أنت بجوار الصحابة؟! وهم قمم البشر، وفيهم سيد الخلق، ومع هذا لما اعتمدوا على كثرتهم في غزوة حنين تخلى الله عنهم، وقال:

﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾

ولما افتقروا إلى الله يوم بدر تولاهم: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٨/ ٢٢٠.
(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح ٢/ ٢٧٨ - ط عالم الكتب.
(٣) صحيح: رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٨٠٩.

عرف ربه الوكيل من انشرح صدره واطمأن قلبه بتوكله على ربه.

توكَّل على الله وأنت تنجح

قال الداعية المُربّي **عباس السيسي** رحمه الله:

«حين حصلت على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية في عام ١٩٣٩، توجهت إلى القاهرة لأبحث عن عمل، والتقيت بفضيلة المرشد العام (**حسن البنا**) رحمه الله في دار المركز العام بالحلمية الجديدة، وبعد أن رحب بي فضيلته سألني عن سبب حضوري للقاهرة..

قلت: لأبحث عن عمل.

قال: ألم تفكر في التطوع لمدرسة الصناعات الميكانيكية الحربية؟!

قلت: إن خريجي المدارس الصناعية معفون من خدمة الجيش.

قال: لكن رسالتنا توجب علينا الخدمة في هذا الميدان.

قلت: لا مانع، ولكن سوف لا أنجح في الكشف الطبي حيث أن إحدى عيني عليها سحابة مزمنة.

قال: توكل على الله، وأنت تنجح.

قلت: كيف أنجح في الكشف الطبي، وعيني على هذه الصورة؟

قال: من أجل هذا قلت لك توكل على الله؛ لأنه لو كانت عينك سليمة كنت ستتوكل على عينك.

فهزَّني هذا المعنى هزًّا عنيفًا، وتذوقت له طعمًا إيمانيًّا جديدًا.

وتوجهت إلى مدرسة الصناعات الحربية بالعباسية متوكلاً على الله، واصطحبنا أحد الضباط مع بعض الزملاء إلى المستشفى العسكري وكلي ثقة وأمل في النجاح.

وبعد الكشف الطبي الكامل كنت ضمن من نجح في الكشف الطبي، والتحقتُ بالمدرسة، وأخذَت حياتي مسارًا جديدًا لم يكن في الحسبان»[1].

تاسعًا: فادعوه بها مسألة وطَلبًا

اللهم لا تكِلني إلى نفسي فأعجز، ولا تكِلني إلى المخلوقين فيُضيِّعوني.

أسألك باسمك الوكيل..

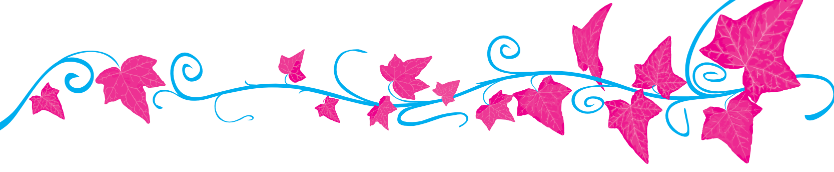
اجعل توكلنا عليك، وثقتنا بك، ووقوفنا على بابك.

---

(١) حسن البنا – مواقف في الدعوة والتربية – ط دار الدعوة.

ما عرف ربه الوكيل من شكَّ في قدرته على إغاثته ونجدته.





أسألك باسمك الوكيل..

ارزقنا يقين المتوكلين عليك، وتوكُّل الموقنين بك.

أسألك باسمك الوكيل..

ارزقنا حلاوة الْيَقِين، وراحة التَّفْويض، وفَرَح قلوب المتوكلين.

عاشرًا: حاسِبْ نفسك تعرِف ربَّك



	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تتوكل على الله في كل أمورك أم في الشدائد فحسب؟			
٢	هل تشرك في توكلك على الله أحدًا (تقول مثلاً: توكلت على الله وعلى فلان)؟			
٣	هل تجعل من (لا حول ولا قوة إلا بالله) جزءًا من ذكرك اليومي؟			
٤	هل تُسقِط أحد ركني التوكل: الأسباب المادية أو الأسباب الإيمانية؟			
٥	هل تستعين على الشدائد بقول: (حسبي الله ونِعْمَ الوكيل)؟			

عرف ربه الوكيل من أخذ بالأسباب وتعلق برب الأسباب.



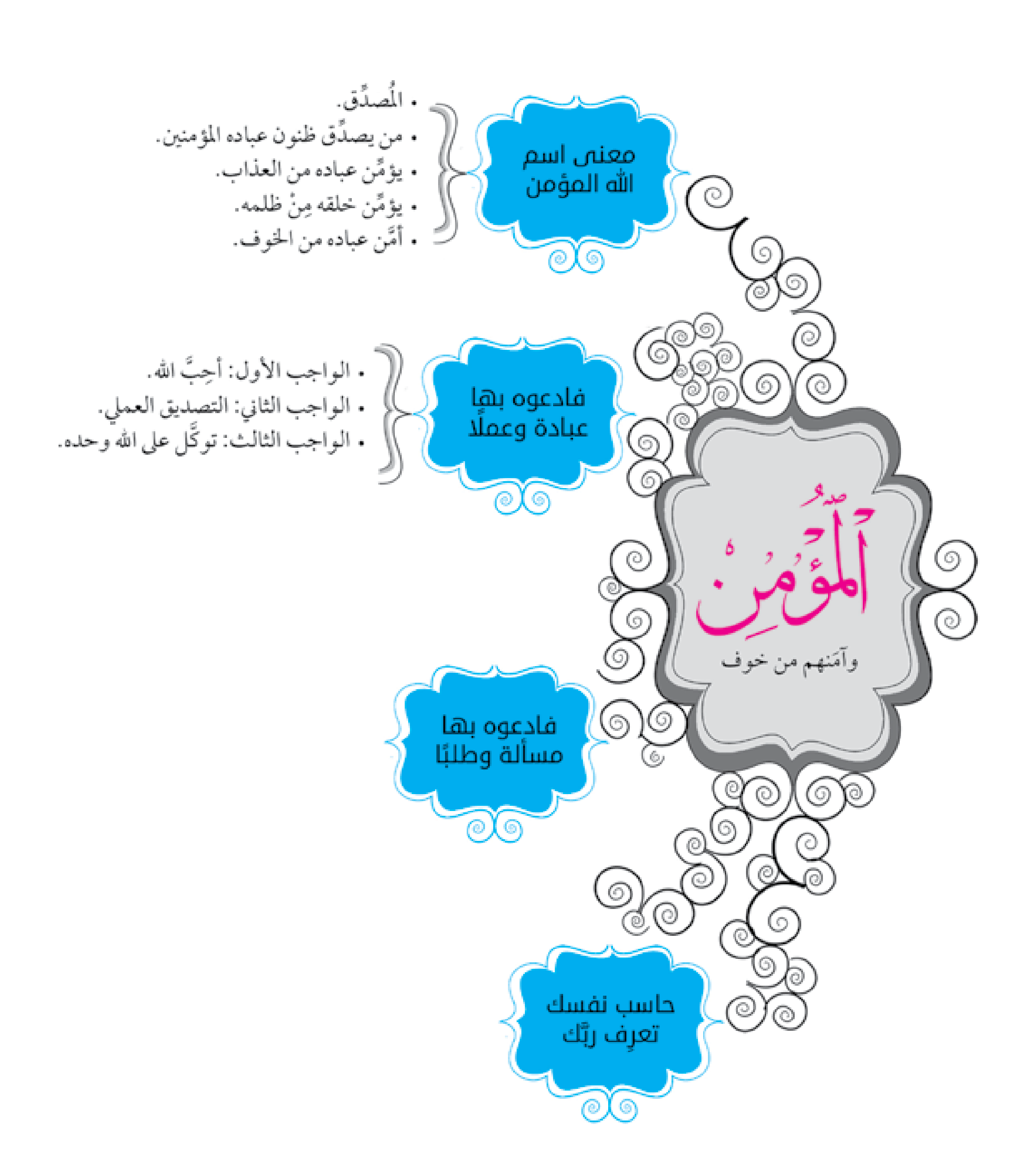
وآمَنهم من خوف

هو الذي أمَّن خلقَه من ظُلمِه، وأمَّنهم من المخاوف، وهو المصدِّق للمؤمنين بما وَعَدَهم به من النصْر والثواب.



أمان الخائفين





المُؤمِنُ
وآمَنهم من خوف
معنى اسم الله المؤمن
• المُصدِّق.
• من يصدِّق ظنون عباده المؤمنين.
• يؤمِّن عباده من العذاب.
• يؤمِّن خلقه مِنْ ظلمه.
• أمَّن عباده من الخوف.
فادعوه بها عبادة وعملًا
• الواجب الأول: أحِبَّ الله.
• الواجب الثاني: التصديق العملي.
• الواجب الثالث: توكَّل على الله وحده.
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرف ربَّك



أولاً: معنى اسم الله المؤمن

المؤمن هو الذي أمَّن خلقَه من ظُلمه.

وقيل: المؤمن هو المُصدِّقُ للمؤمنين بما وَعَدَهم من النَّصْر ومن الثَّواب.

ففي اللغة له معنيان:

التَّصْديق.. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧].

والثاني الأمان.. ﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ٤].

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في موضع واحد في الآية الكريمة:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾

الأول: المصدِّق

قال الزجاج:

«أصل الإيمان: التصديق والثقة. وقال الله عز وجل:

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

أي: لفرط محبتك ليوسف لا تصدِّقنا»[1].

الثاني: من الأمان

كما يقول: آمن فلانٌ فلانًا أي: أعطاه أمانًا ليسكن إليه ويأمن، فكذلك أيضًا: (الله المؤمن) أي: يؤمِّن عباده المؤمنين، فلا يأمن إلا من أمَّنه.

ويحتمل ذلك وجوهًا عِدَّة:

المعنى الأول: المؤمن من يصدُق عباده وعده

ويفي لهم بما وعدهم به من ثواب على أعمالهم الحسنة في الدنيا والآخرة، وهذا يشمل كل فضائل الأعمال مع ثوابها الذي وعد الله به، وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾، والذي وصف وعده فقال:

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾.

(١) تفسير الأسماء ص ٣١.

عرف ربَّه المؤمن مَن طلب منه الأمان من العذاب عن طريق عمله من صوم وصدَقة وذِكْر.



لكن لماذا لا يخلف الله وعده؟

والجواب: لأن خُلْفَ الوعد نقص، والنقص محال في حق الله.

ولأن الله لا شريك له يمنعه، أو ينازعه في إنفاذ ما وعد به.

قد يكون خلفك لظرف قاهر أقوى منك، والله أقوى من كل شيء، وقاهر كل شيء.

وقد يكون خُلْفُك لتغير رأيك نحو خيار أفضل، وهذا محال في حق الله الذي يعلم الخير كله.

وقد يكون خُلْفُك لتغير الظروف مما استدعى تغيير الوعد الذي قطعته على نفسك، وهذا محال في حق الله الذي يعلم المستقبل كما يعلم الماضي، سواء بسواء.

أنت إذًا لا تملك عناصر الوفاء وأسبابه، وأما الله فلا يوجد من يُخرِجه عما وعد، فما دام الوعد وعدَ الله فثِقْ أنه محقَّق.

ولذا يُعلِّمنا الحق سبحانه:

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىٍءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾

والمعنى: اجعل لنفسك مَخرجًا من الكذب إنْ حالت الظروف بينك وبين ما وعدتَ به، بأن تجعل أمرك تحت مشيئة الله لا مشيئتك؛ لأنك لا تملك عناصر الوفاء كلها.

وقد ختم الله آية ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بقوله:

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أي لا يعلمون هـذه الحقيقة، وهي أن الله لا يخلف وعده، فيثقون بوعـود البشر أكثر مما يثقون بوعود الله، وهو حال أكثـر الناس؛ لا يقْدُرون الله قَدْرَه، ولا يعلمون ما ينبغي له سبحانه من صفات الكمال والجلال.

مسألة ثانية:

قد يُخلِف الله وعيده، وإخلاف الوعيد لا يُذَمُّ بل يمدح، والفارق بين خُلفِ الوعد وخُلفِ الوعيد شاسع؛ لأن الوعد حقٌّ أوجبه على نفسه، والوعيد حقُّه، فإخلافه عفوٌ وفضل، وذلك من موجبات جوده وإحسانه، ولهذا مدح به **كعب بن زهير** رسول الله ﷺ حين قال:

نُبِّئْتُ أنَّ رســول الله أوعَـدَنـي والعفو عنـد رسـول الله مأمـولُ

ولذا قال **أبو عمرو بن العلاء**: إن العرب لا تعُدُّ إخلاف الوعيد ذمًّا بل جودًا وكرمًا، أما سمعت قول

ما عرف ربه المؤمن مَن تأخَّر عن طلب الأمان بكسله، ومعصيته، وتوانيه.





الشاعر:

ولا يرهب ابن العم ما عشْتُ صولتي	ولا يختشــي مـن سطــوة المتهـدِّدِ
وإنـــي إن أوعَدْتُــــه أو وَعَدتـــه	لمخلفُ إيعــادي ومُنْجِــزُ مَوعِـدي

ومن نماذج وعد الله الصادق في فضائل الأعمال ثلاثة نماذج، سُقْتُها هنا على سبيل المثال:

الأول: المرض

عن **شداد بن أوس والصنابحي** أنهما دخلا على رجل مريض يعودانه، فقالا له: كيف أصبحت؟!

قال: أصبحت بنعمة.

فقال له **شداد:**

أبشِر بكفارات السيئات وحط الخطايا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله عز وجل يقول: إذا أنا ابتليت عبدًا من عبادي مؤمنًا، فحمِدني على ما ابتليته، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الرب تبارك وتعالى: أنا قيَّدتُ عبدي وابتليتُه، فأَجرُوا له ما كنتم تُجرون له وهو صحيح»[(١)].

ولما عاد رسول الله ﷺ مريضًا، قال له مبشِّرًا:

«أبشِر، فإن الله تعالى يقول: هي ناري أسلِّطها على عبدي المؤمن في الدنيا؛ لتكون حظه من النار يوم القيامة»[(٢)].

الثاني: الجهاد

وانظر كيف آمن رجلٌ بصدق وعد الله، فانطلق على الفور من ساحات الجهاد إلى واحات الاستشهاد!

عن **أبي بكر بن أبي موسى الأشعري** قال: سمعت أبي، وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ:

إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف.

وفي رواية: إن الجنة تحت ظلال السيوف.

وفي رواية: إن السيوف مفاتيح الجنة.

فقام رجل رثُّ الهيئة، فقال: يا **أبا موسى**، أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟!

قال: نعم.

(١) حسن: رواه احمد كما في مشكاة المصابيح رقم: ١٥٧٩.
(٢) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٣٢، والسلسلة الصحيحة رقم: ٥٥٧.

عرف ربَّه المؤمن مَن لجأ إليه في المخاوف؛ فآمنه من كل خوف.

فرجع الرجل إلى أصحابه، فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه (غمده)، فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو، فضرب به حتى قُتِل»[١].

الثالث: الأذى في سبيل الله

لم يعِدْهم رسول الله ﷺ وهو يراهم يُعذَّبون بمغفرة ولا نصر أو تمكين.

وإنما وعد آل **ياسر** بالجنة!

فحتى يستطيعوا تكبُّد الصبر على الأهوال، فلا أقلَّ من الجنة يغريهم بها، ولا بديلَ يُغنيهم عنها.

ولا يعينهم ويقوِّي عزيمتهم على تحمل المشاق إلا روعة الأجر والجزاء: الجنة، ولا أروع!

ولذا صبروا وثبتوا.

والعلاقة بين الصبر وتصديق وعد الله واضحة جلية، وهي علاقة تعليل وسببية:

﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾.

أي اصبر لأن وعد الله حق. قال **السعدي**:

«وهذا مما يعين على الصبر، فإن العبد إذا علِم أن عمله غير ضائع، بل سيجده كاملا؛ هان عليه ما يلقاه من المكاره، ويسَّر عليه كل عسير، واستقل من عمله كلَّ كثير»[٢].

المعنى الثاني: يصدِّق ظنون عباده المؤمنين

ولا يخيِّب آمالهم أبدًا كقول النبي ﷺ في ما يرويه عن ربه:

«أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»[٣].

وفي الحديث القدسي:

«قال الله تعالى: من علِم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئًا»[٤].

سبحانه.. كريمٌ لا يخيِّب ظنك، فالعِلَّة فيك لا في كلامه.

قال **القرطبي**: «قيل معنى ظن عبدي بي:

ظنُّ الإجابة عند الدعاء.

---

(١) رواه مسلم رقم: ١٤٦ - ١٩٠٢ والترمذي رقم: ١٦٥٩، وأحمد في مسنده رقم: ١٩٥٣٨.
(٢) تفسير السعدي ٦٤٦.
(٣) صحيح: رواه الطبراني والحاكم عن واثلة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٣١٦.
(٤) حسن: رواه الطبراني والحاكم عن ابن عباس كما في صحيح الجامع رقم: ٤٣٣٠.



وظنُّ القبول عند التوبة.

وظنُّ المغفرة عند الاستغفار.

وظنُّ المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكًا بصادق وعده»[١].

والمراد هنا تربية العبد على تغليب الرجاء على الخوف، وتدريبه على حسن الظن بالله، فإن العبد بطَبعِه يحب المغفرة ويرجو العفو، وهو على الخيار في ما يظنه بربه. قال **بدر الدين العيني**:

«إن ظن أنِّي أعفو عنه وأغفر له، فله ذلك، وإِن ظن العقوبة والمؤاخذة، فكذلك»[٢].

المعنى الثالث: المؤمن من يؤمِّن عباده من العذاب

وليس فقط أمَّنهم من عذابه، بل أرشدهم إلى ما ينجيهم من عذابه، فما من طريق نجاة إلا أرشدهم إليه، وما من طريق يوصل إلى النار إلا حذَّرهم منه.

وإليك بعض أحاديث النجاة:

- **«إنَّ سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل، فأخرجته من النار، وأدخلته الجنة»[٣].**
- **«خذوا جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مُقدِّمات، ومُعقِّبات، ومُجنِّبات، وهن الباقيات الصالحات»[٤].**
- **«الصيام جُنَّة، وحصن حصين من النار»[٥].**

المعنى الرابع: المؤمن هو الذي يؤمِّن خلقَه من ظلمه

وقد ذكر هذا المعنى **ابن جرير** في تفسيره، فقال:

«قال **الضحاك** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما: المؤمن أي: أمَّن خلقه من أن يظلمهم»[٦].

وفي **صحيح مسلم**:

«يا عبادي، إِنِّي حَرَّمتُ الظُّلْمَ على نفسِي».

فقد حرَّم الله الظلم على نفسه، وأوجب على نفسه عدم الظلم، كما أوجب على نفسه الرحمة، وذلك مع قدرته عليه، وأكرِّر: مع قدرته عليه؛ لأنه لو كان الظلم ممتنعًا على الله لم يكن ذلك يستحق مدحًا ولا ثناءً، إذ

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٨٦.
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٥/ ١٠١ - بدر الدين العيني - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(٣) حسن: رواه الحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٠٩٢.
(٤) صحيح: رواه النسائي والحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٣٢١٤.
(٥) حسن: رواه أحمد والبيهقي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٣٨٨٠.
(٦) تفسير الطبري ٢٨/ ٣٦.

لا يُمدَح الفاعل إلا إذا كان يمكنه أن يفعل ولم يفعل، فلو سألت:

هل يقدر الله على أن يظلم الخلق؟!

قلتُ: نعم، لكن ذلك محالٌ؛ لأنه الله سبحانه قال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

ومحالٌ كذلك؛ لأن الظلم هو التصرُّف في ما لا يملك، والكُلُّ مُلْكُه وتحت سلطانه.

ومحالٌ كذلك؛ لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وحكمة الله يستحيل معها هذا.

ولذا رأى البعض هنا لفظ الظلم للمشاكلة هنا، وليس على الحقيقة.

ونفي الظلم يتناول أن لا يُظلَم أحدٌ مطلقًا، ولو كان مثقال ذرة..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾

قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنةً، يُعطَى عليها في الدنيا، ويُثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعَم بحسناته في الدنيا؛ حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُعطَى بها خيرًا»[1].

ولاحظ أن نفي الظلم يتناول الدنيا مع الآخرة مجتمِعتين، فلا يصحُّ أن تكون الدنيا المحدودة وحدها مقياسًا للحكم، فلا ظلم لأحد ولو كان كافرًا، فينال الكافر أجرَه في الدنيا كاملاً، وأما المؤمن، فيُعطى أجره كذلك كاملاً، لكن موزَّعًا على الدارين، الدنيا والآخرة.

لعذَّبهم وهو غير ظالم

في حديث **زيد بن ثابت** رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذَّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحِمَهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم»[2].

وليس المراد أن الله لو عذَّب الخلق لكان متصرِّفًا فيهم تصرف المِلك في ملكه، وأن المتصرِّف في ما يملك غير ظالم، كما يفعل ذلك سائر البشَر، فإن هذا ظنُّ أكثر الناس، ولكن الأمر أعظم من هذا، فإن الحديث يتضمن فوق نفي الظلم: مدحًا ما بعده مدح، وأن الله لو عذَّب عباده لعذَّبهم بحق؛ لأن حقَّه على العباد أضعاف أضعاف ما بذلوه وقدَّموه؛ ولهذا قال بعدها: «ولو رحِمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم».

---

(١) صحيح: رواه أحمد ومسلم عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ١٨٥٣.
(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة عن زيد بن ثابت وأبي بن كعب كما في صحيح الجامع رقم: ٥٢٤٤.

فرحمة الله ليست على قدر أعمال عباده ولا مكافأة لها، وحقوق عبوديته لم يقم عباده بها بِحقِّها، فأعمالهم لا توازي شكر القليل من نعمه عليهم، فكيف بالكثير؟! وتبقى نعمه التي لا تُحصى لا مقابل لها من الشكر، فلو عذَّبهم على هذا التقصير لكان غير ظالم.

فإن قلت: قد فعل العباد ما يقدرون عليه من شكر الله وعبوديته، ولا يكلِّف الله نفسًا إلا وسعها، فكيف يعذِّبهم على ما لا يستطيعون؟!

فالجواب من وجهين:

الأول: أنَّ ما يقدر عليه العبد لا يقوم به كله، فلا بد له من فتور، وإعراض، وغفلة، وتوانٍ.

والثاني: أنَّ العبد لا يقوم بواجب العبودية بحقِّه كما ينبغي، ومن هذا الواجب الذي يخفى على الكثير: كمال مراقبة الله وإِجلاله وتعظيمه، بحيث يبذل العبد غاية جهده كله في القيام واجبات العبودية واستكمالها ظاهرًا وباطنًا.

ومن هنا كان التقصير ملازمًا للعبد حال الطاعة، وحال المعصية.

المعنى الخامس: المؤمن هو الذي أمَّن عباده من الخوف

المؤمن هو الذي يؤمِّن عباده من مخاوف الدنيا..

ويؤمِّنهم عند نزول ملك الموت حال الاحتضار..

ويؤمِّنهم يوم الفزع الأكبر من مخاوفِ يوم القيامة..

ويؤمِّنهم من عذاب النار في الآخرة..

وكل هذا من أثر إيمان العبد، ومكافأة له على عدم ظلمه لغيره:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].



ثانيًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

الواجب الأول: أحِبّ الله

وكيف لا؟ وهو الذي يأمن الخائفون في كنفه، ويطمئن المؤمنون برعايته، فلا يخاف أحدٌ ظُلْمًا مع الحق سبحانه، وهو الذي ما وعدك وعدًا فأخلفه، وفي كثير من الأحيان لم يُمضِ وعيده الذي توعَّدك به كرمًا وجودًا، فحصل لك من ذلك الأمن النفسي والسعادة القلبية، والطمأنينة والأنس به سبحانه.

عرف ربَّه المؤمن مَن وثق برعايته، واطمأن إلى كفايته.

الواجب الثاني: التصديق العملي

من أخطر ما يواجه المسلمين اليوم: التكذيب العملي، فاللسان في وادٍ وأحوال الناس في وادٍ، والازدواجية منتشرة، وأصحاب الوجهين نزلوا الساحة، نزعم أننا نعلم الحلال والحرام، لكن الكسب محرَّم! والمعاملة ربوية! والاختلاط منتشر! فكيف يستسيغ الإنسان كل هذه الأوزار مع يقينه وتصديقه بالجنة والنار.

يَا معرضًا عَن عرضــه وحسابه	لَا يستعد ليَــوْم نشــر كِتَــابه
متعلِّلاً بعيـــالـــه وبمـــالـــه	متلهِّيًا فِـي أهلـــه وصحابـــه
متناسيًا لمماتـــه وضريحـــه	ونشـــوره ووقوفـــه ومآبـــه
القَوْل قَـــول مُصـــدِّق والفعل	فعل مكذِّب بثـــوابـــه وعقـــابه
من قال قولاً ثـــمَّ خالف قـــو	لَه بفعالـــه، ففعالـــه أولـــى بِهِ

القول قَول مُصدِّق، والفِعل فعل مكذِّب:

والإيمان تصديق وتطبيق، واعتقاد وسلوك، والإيمان ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، فالإيمان بلا عمل تكذيب عملي لا يقع فيه من عرف اسم الله المؤمن.

الواجب الثالث: توكل على الله وحده

فهو الذي يؤمِّن خوف عبده إذا لجأ إليه بصدق في كشف كربته وتأمين خوفه. يقول **ابن القيم**:

«والمضطر إذا صدق في الاضطرار إليه: وجده رحيمًا مغيثًا، والخائف إذا صدق في اللجوء إليه: وجده مُؤمِّنًا من الخوف»[1].

دُعاء مُضطَرِنا تُرجَـى إجابتُـــهُ	بلا شُروط كذا المظلوم فِي الدُّولِ
كذا اليتيم وقـد قالوا وَدَعوتُـــهُ	تَسري إلى الله فِي ليلٍ على عَجلِ

ثالثًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

«اللهم إني أسْألك النعيم يوم العيْلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شرِّ ما أعطيتنا، وشرِّ ما منعْت».

نسألك باسمك المؤمن..

آمنًّا من كل ما يخيفنا في دنيانا، وآمنًّا من الفزَع الأكبر يوم القيامة.

(١) مدارج السالكين ٣/ ٣٢٤.

ما عرف ربه المؤمن مَن اهتزت ثقته بربه، ولم يطمئن إلى رعايته.





نسألك باسمك المؤمن..

آمِّنَّا في أوطاننا، ورُدَّ عنا كيد أعدائنا..

نسألك باسمك المؤمن..

أمِّنَّا عذابك يوم تبعث عبادك..

نسألك باسمك المؤمن..

أفِضْ علينا من فيض الإيمان ما نزداد به يقينًا وعزيمة تعين على تقلُّب الزمان.

رابعًا: حاسب نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تظل مؤمنًا بوعود الله في خضم أزمتك وذروة محنتك؟			
٢	هل تظن بالله خيرًا عند توبتك أنه سيقبلك؟			
٣	هل تدعو الله وأنت موقنٌ بالإجابة؟			
٤	هل تحافظ على ما يؤمِّنك من عذاب الله بانتظام؟ مثل قراءة سورة الملك، وصيام التطوع.			
٥	هل تشعر إذا تتابعت عليك الشدائد والمحن بأن الله فضَّل عليك غيرك، واختصه بفضله؟			
٦	هل تستحضر معية الله ورعايته وقدرته على نزع مخاوفك عندما تخاف؟			

عرف ربه المؤمن من آمن بوعده، وصبر على قدَرِه.



الفرار من الموت كالفرار من الرزق..
كلاهما علامة حمق

الرزاق صيغة مبالغة من الرازق.. أي يرزقك رزقًا بعد رزق، فهو المُكثر الموسِّع له، والمتكفِّل بأرزاق خَلْقه أجمعين.

وَكَأَيِّنْ

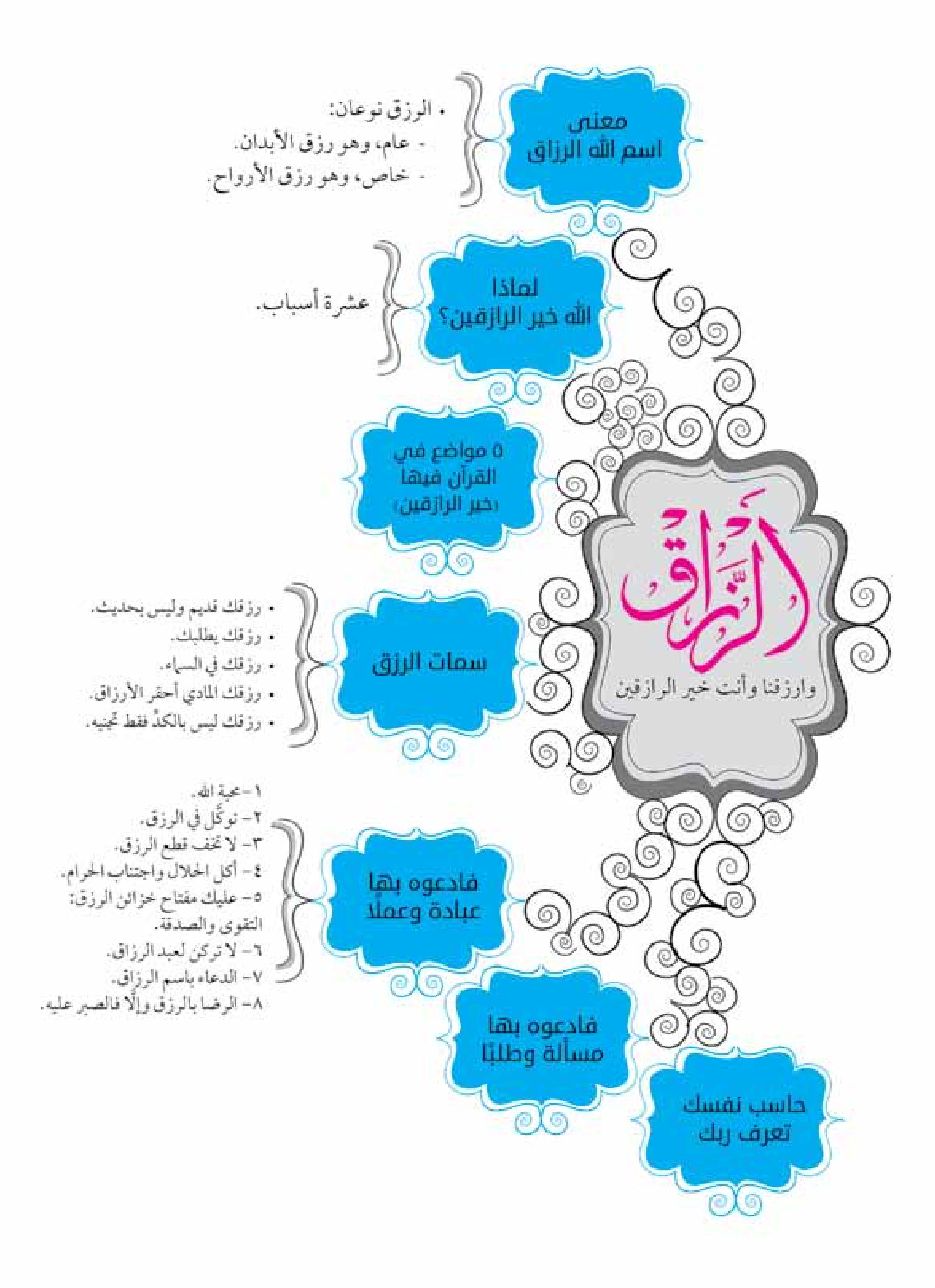
مِنْ دَابَّةٍ

لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا

اللَّهُ يَرْزُقُهَا

وَإِيَّاكُمْ





الرزاق
وارزقنا وأنت خير الرازقين
معنى
اسم الله الرزاق
• الرزق نوعان:
- عام، وهو رزق الأبدان.
- خاص، وهو رزق الأرواح.
لماذا
الله خير الرازقين؟
عشرة أسباب.
٥ مواضع في
القرآن فيها
(خير الرازقين)
سمات الرزق
• رزقك قديم وليس بحديث.
• رزقك يطلبك.
• رزقك في السماء.
• رزقك المادي أحقر الأرزاق.
• رزقك ليس بالكدّ فقط تجنيه.
فادعوه بها
عبادة وعملًا
١- محبة الله.
٢- توكّل في الرزق.
٣- لا تخف قطع الرزق.
٤- أكل الحلال واجتناب الحرام.
٥- عليك مفتاح خزائن الرزق:
التقوى والصدقة.
٦- لا تركن لعبد الرزاق.
٧- الدعاء باسم الرزاق.
٨- الرضا بالرزق وإلّا فالصبر عليه.
فادعوه بها
مسألة وطلبًا
حاسب نفسك
تعرف ربك





أولاً: معنى اسم الله الرزاق

وقد ورد اسـم الرزاق في القـرآن مـرة واحدة في قوله تبـارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، لكنه ورد بصيغة التفضيل ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ خمس مرات، ووردت مادة (رزق) أكثر من مائة مرة.

قال **الراغب** في المفردات:

«الرِّزق يقال للعطاء الجاري تارة، دنيويًّا كان أم أخرويًّا، وللنصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف ويُتَغَذّى به تارة، يُقال: أعطى السلطان رزقَ الجند، ورُزِقت علمًا.

والرازق يُقالُ لخالق الرِّزق، ومعطيه، والمسبِّب له وهو الله تعالى، ويُقال للإنسان الذي يصير سببًا في وصول الرزق، والرزاق لا يقال إلا لله تعالى»[1].

والرزق رزقان: عام، وخاص:

فالرزق العام:

هو رزق الأبدان، وهذا متاحٌ لجميع الخلق، فسهَّل الله لهم الأرزاق التي تقوم بها حياتهم، وهو رزق عام للبر، والفاجر، والمسلم، والكافر، بل للآدميين وغيرهم من الجن والملائكة، والحيوانات، والخلائق كلها، ويُطلَق عليه: **(رؤية الأرزاق)**.

وهو رزق عامٌّ كذلك من وجه آخر باعتبار أحوال المكلَّفين تجاه الحلال والحرام، فقد يكون رزقًا حلالاً، لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون رزقًا حرامًا يُعاقَب عليه، وكلاهما سماه الله رزقًا، فيُقال «رَزَقه الله» سواء رُزِقَ به من حلال، أو من حرام.

الرزق الخاص:

وهو رزق القلوب بكنوز الإيمان وثروات الطاعات البدنية والقلبية، فإن القلوب في غاية الافتقار إليهما، وهذا الرزق لا يناله إلا الأبرار؛ وإن كانوا أفقر الناس مالاً وأرقُّهم حالاً، ونستطيع أن نطلق على هذا الرزق: **(رؤية الرزاق في الأرزاق)**.

فينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الرزقين، ومن هنا استعاذ النبي ﷺ من الكفر والفقر، فالكفر ذهاب رزق الدين وهو الأخطر، والفقر ضياع رزق الدنيا.

(١) المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٩٤.

عرف ربه الرزاق مَن سأله الرزق الإيماني، ولم يكتفِ بالرزق المادي فحسب.



ثانيًا: لماذا الله (خير الرازقين)؟! عشرة أسباب

لكن لماذا سمَّى الله نفسه ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؟!

1. لأن الله سبحانه خير من رزق، وأفضل من أعطى.
2. ولأن رزق الله باعتبار إفادته للعبد وشدة احتياج العبد له هو خير الأرزاق على الإطلاق.
3. ولأن الله يرزق من آمن به وعبده، ومن كفَرَ به وجَحَده، ويعطي من سأله، ومن لم يسأله.
4. ولأن ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ هو من ينفق من خزائن لا تفنى، بل ولا ينقص منها شيء مهما أُنفِق منها.
5. ولأن ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ وحده من يُخرِج الرزق من العدم، وأما غيره فما هم إلا وسطاء في توصيل رزقه، وإنما أُطلِق عليهم رازقين على سبيل المجاز.
6. ولأن ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يُعطي عطاءًا لا يدخله عَدٌّ، ولا يحويه حَدٌّ.
7. ولأن ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يعلم ما يُصلِح كل عبدٍ من رزقٍ وما يفسده، فيعطيه ما يعلم أنه يناسبه.
8. ولأن ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يَسْخَط ومع ذلك لا يقطع رزقه! وأما المخلوق فإذا سخِط قطع رِزقَه.
9. ولأن ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يرزق الخلق بأصول الرزق من تربة، وماء، وهواء، وبذور، وهم يسخِّرونها زراعة وحرثًا وتصنيعًا؛ لتخرج إليك الأطعمة والآلات التي تنتفع بها، ولو حرم الله الخلق من أصول رزقه، لما وصل إليهم من أرزاقهم شيءٌ.
10. ولأن ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لا يؤخر رزقه عن وقت الحاجة، ولا ينغِّصه عليك بطلب المقابل.

ثالثًا: خمسة مواضع في القرآن فيها (خير الرازقين)

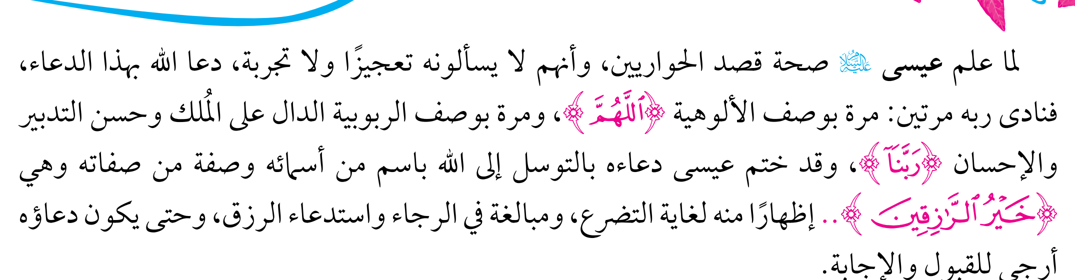
الآية الأولى: ادعوني به

وفيها توجيه إلى التوسل إلى الله، والدعاء بهذا الوصف ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾:

﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

ما عرف ربه الرزاق مَن لم يسأله في دعائه أن يوسّع رزقه المادي والإيماني.





لما علم **عيسى** عليه السلام صحة قصد الحواريين، وأنهم لا يسألونه تعجيزًا ولا تجربة، دعا الله بهذا الدعاء، فنادى ربه مرتين: مرة بوصف الألوهية ﴿ٱللَّهُمَّ﴾، ومرة بوصف الربوبية الدال على المُلك وحسن التدبير والإحسان ﴿رَبَّنَآ﴾، وقد ختم عيسى دعاءه بالتوسل إلى الله باسم من أسمائه وصفة من صفاته وهي ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.. إظهارًا منه لغاية التضرع، ومبالغة في الرجاء واستدعاء الرزق، وحتى يكون دعاؤه أرجى للقبول والإجابة.

ولاحظ أن الحواريين قدَّموا هنا بَشَرِيَّتهم على إيمانهم، فطَلَبوا من المائدة الأكل والطعام: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾..

أما **عيسى ابن مريم** بصفاء قلبه وعلو همَّته، فقد أخَّر طلب الطعام عن المطالب الإيمانية فقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

فوصف **عيسى** عليه السلام فوائد هذه المائدة بقوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ أي عيدًا خاصًّا بنا معشر المؤمنين دون غيرنا، لأول من آمن منا، وآخر من آمن.

﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾: أي علامة منك على صدق نبوتي، ودعوتي؛ ليهتدي الناس ويؤمنوا.

﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: فكل عطاء من سواك لا يُغني ولا يُشبع، وجاء **عيسى** عليه السلام بهذه الكلمة العامة التي يدخل فيها الأكل وتتسع لغيره؛ لأن الرزق يشمل الرزق المادي والمعنوي.

قال **الفخر الرازي** في آداب الدعاء الذي رفعه **عيسى** عليه السلام إلى ربه:

«ثم إن **عيسى** لشدة صفاء دينه لما ذكر الرزق انتقل إلى الرازق بقوله ﴿وَٱرۡزُقۡنَا﴾، ولم يقف عليه، بل انتقل من الرزق إلى الرازق، فقال: ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

فقوله: ﴿رَبَّنَآ﴾ ابتداء منه بذكر الحق.

وقوله: ﴿أَنزِلۡ عَلَيۡنَا﴾ انتقال من الذات إلى الصفات.

وقوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ إشارة إلى ابتهاج الروح بالنعمة، لا من حيث إنها نعمة، بل من حيث إنها صادرة من المنعم.

وقوله: ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ إشارة إلى كون هذه المائدة دليلاً لأصحاب النظر (الإيماني) والاستدلال.

وقوله: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا﴾ إشارة إلى حصة النفس.

ثم قال الإمام **الرازي**:

«فانظر كيف ابتدأ بالأشرف، فالأشرف نازلاً إلى الأدون، فالأدون، ثم قال: ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، وهو

عرف ربه الرَّزاق من اطمأن إلى تكفل الله برزقه المادي كما تكفل بهواء نَفَسِه اليومي.

عروج مرة أخرى من الخلق إلى الخالق، ومن غير الله إلى الله»[١].

الآية الثانية: اطمئنوا

طمأن الله بها من هاجر في سبيل الله بأن أرزاقهم لن تنقص؛ لأن الله ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، فقال:

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

فهو سبحانه يرزق الخلق عامة البَرَّ منهم والفاجر، فكيف بمن هاجر إليه، وضحّى من أجله، وفي سبيله!

لما أُمِر الصحابة بالهجرة قال بعضهم: كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة ورزق، فنزلت الآية:

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وهي طمأنة لقلوب المدعوين إلى الهجرة، أو الذين هاجروا بالفعل، وانقطعت موارد أرزاقهم، فأعلمهم سبحانه أنه الذي يرزق الدواب في البر، والطيور في الجو، وتكفَّل بأرزاق الخلق، وما سعيهم في وجوه الأرض إلا مجرَّد أسباب موصلة إلى ما قدَّره الله -منذ الأزل- لهم من رزق، ولن ينال أحدٌ مهما جدَّ، وسعى غير ما قُدِّر له.

﴿وَإِيَّاكُمْ﴾:

فبدأ الله بذكر الدواب، وقدَّمها على الإنسان المكرَّم مع أنه هو الأصل.. لماذا؟

لأننا نتوهَّم بقصورنا البشري أن هذه الدواب لن تستطيع تدبير رزقها، فلفت القرآن أنظارنا إلى أن الله يرزقها قبلنا؛ ولذا قدَّمها علينا.

والمعنى: كما يرزق الله هذه الدوابَّ التي لا حيلة لها في تحصيل رزقها، فكذلك تُرزَقون يا معشر المهاجرين، وإن بدا لكم انقطاع أسباب عيشكم.

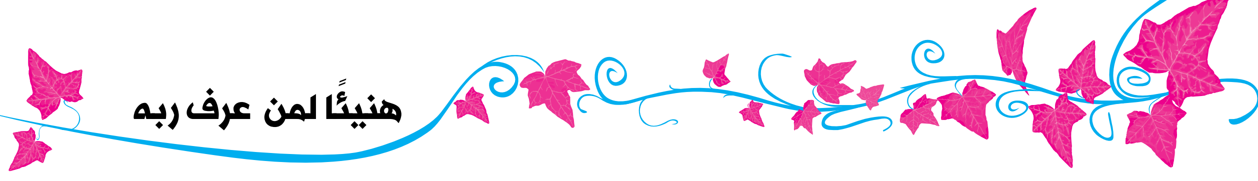
وأقرب مثل لهذا ما ذكره **ابن كثير** في التفسير:

«وقد ذكروا أن الغراب إذا فَقَس عن فراخه البيض خرجوا وهم بيض، فإذا رآهم أبواهم كذلك نفرا عنهم أيامًا حتى يسود الريش، فيظل الفرخ فاتحًا فاه يتفقد أبويه، فيقيض الله تعالى طيرًا صغارًا كالبرغش، فيغشاه فيتقوت به تلك الأيام حتى يسود ريشه، والأبوان يتفقدانه كل وقت، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه، فإذا رأوه قد اسود ريشه عطفا عليه بالحضانة والرزق»[٢].

(١) تفسير الفخر الرازي ٢/ ١٣١.
(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٣٦.

ما عرف ربه الرَّزاق من اطمأن إلى تكفل الله برزقه المادي كما تكفل بهواء نَفَسِه اليومي.





رزقك من أين؟

أورد **القرطبي** في تفسيره:

«قيل لبعضهم: من أين تأكل؟ فقال: الذي خلق الرحى يأتيها بالطحين، والذي شدق الأشداق هو خالق الأرزاق.

وقيل **لأبي أسيد**: من أين تأكل؟ فقال: سبحان الله، والله أكبر! إن الله يرزق الكلب.. أفلا يرزق أبا أسيد!

وقيل **لحاتم الأصم**: من أين تأكل؟

فقال: من عند الله، فقيل له: الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء!؟

فقال: كأن ماله إلا السماء!

يا هذا، الأرض له والسماء له، فإن لم يؤتني رزقي من السماء؛ ساقه لي من الأرض، ثم أنشد:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ورازق هذا الخلق في العسر واليسر

تكفَّل بالأرزاق للخلق كلهم وللضبِّ في البيداء والحوت في البحر»[1].

الآية الثالثة: استغنِ عن الخلق

أنكر الله بهذه الآية على المعرضين عن نبيه ودعوته، وكأن رسول الله ﷺ سألهم أجرًا، أو طلب منهم ثمنًا، فانصرفوا عنه: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

والاستفهام هنا استنكاري، أي ما تسألهم أجرًا، فيعتذرون لك بسبب ذلك؛ بخلاً بأموالهم، والصحيح أن عطاء الخالق خيرٌ لك من عطاء أولئك الضعفاء الذين لا يملكون شيئًا، ولا يستغنون لحظة عن عطاء خير الرازقين، المالك لأرزاق الخلائق أجمعين.

الآية الرابعة: أنفق ولا تخف

طمأن الله بها كل من بذل ماله في سبيل الله؛ لئلَّا يخاف من نقصان ماله، فقال:

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

قال **ابن كثير** موضِّحًا طبيعة الإخلاف:

«يُخلِفُه عليكم بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب»[2].

(١) تفسير القرطبي ٩/ ٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٧١٥.

عرف ربه الرزاق مَن أيقن بالخلف، فجاد بالعطايا.



والآية الخامسة: لا تنشغل عنه

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

كان دحية بن خليفة الكلبي قد قدِم بالتجارة من الشام، وذلك قبل أن يُسلِم، وضُرِبَ لها طبلٌ يُعلِم الناس بقدومها، وكانت هذه عادتهم إذا قدمت عيرٌ، وكان ذلك أثناء الخطبة، فترك الصحابة النبي يخطب حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر صحابيًّا، منهم **أبو بكر وعمر** رضي الله عنهما، وهنا قال النبي ﷺ:

«والذي نفسي بيده.. لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحدٌ، لسال عليكم الوادي نارًا»[(١)].

فأعلمهم الله أن ما عنده من ثواب صلاتهم واستماع الخطبة خيرٌ لهم من لذة لهوهم وفوائد تجارتهم، (وإنْ حصل منها بعض المقاصد، فإن ذلك قليلٌ منغَّص، مُفوِّتٌ لخيرِ الآخرة، وليس الصبر على طاعة الله مُفوِّتًا للرزق، فإن الله خير الرازقين، فمن اتقى الله رزَقَه من حيث لا يحتسب، ومن قدَّم الاشتغال بالتجارة على طاعة الله لم يُبارَك له في ذلك، وكان هذا دليلاً على خُلُوِّ قلبه من ابتغاء الفضل من الله، وانقطاع قلبه عن ربه، وتعلُّقِه بالأسباب، وهذا ضررٌ محضٌ يعقُب الخسران)[(٢)].



رابعًا: سمات الرزق

رزقك قديم، وليس بحديث:

قال **عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«كتَبَ الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»[(٣)].

رزقك يطلبك!

«إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله»[(٤)].

فهل رأيت أحدًا قطُّ نجح في الهروب من الموت؟!

فكذلك لن يفلح أحدٌ في الهروب من الرزق، وهو تعبير نبوي بلاغي معجز! فقد تركض خلف رزقٍ لتدركه، وربما طلبك الرزق كذلك، لكنكما لن تلتقيا أبدًا إلا أن (يشاء) الرزاق.

(١) صحيح: رواه أبو يعلى في مسنده، وابن حبان عن جابر بن عبد الله، والبيهقي في الشعب كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٣١٤٧.
(٢) تفسير السعدي ١/ ٨٨.
(٣) صحيح: رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو كما في مشكاة المصابيح رقم: ٧٩.
(٤) حسن: رواه الطبراني عن أبي الدرداء كما في صحيح الجامع رقم: ١٦٣٠.

ما عرف ربه الرزاق مَن بخل بماله عن ربه، فلم يتصدَّق به، ولم يبذل.





وصدق **علي بن هشام** حين قال:

المرء يسعى ويسعى الرِّزق يطلبه	**وربَّما اختلفا في السَّعي والطلب**
حتَّى إذا قـدَّر الرَّحمن جمعهما	**للاتفاق أتاك الرزق عن كثَب**

لكن آفة المرء الاستعجال، والله أعلم بما فطَرنا عليه؛ ولذا أوحى إلى نبينا ﷺ لينصحنا:

«لا تستبطِئوا الرزق، فإنه لم يكن عبدٌ لِيَموتَ حتى يبلغه آخر رزقٍ هو له، فاتقوا الله، وأجمِلوا في الطلب»[١].

واستبطاء الرزق هو الذي دفع الناس اليوم لأكل الحرام، والتهاون في الرشوة، والتعامل بالربا، وأكل أموال بعضهم بالباطل، مع أن رزق كل واحد منا مقسوم لن يموت حتى يستوفي آخره، ولكن القوم لا يوقنون، ولقول نبيهم لا يصدِّقون، فيسرقون ويعتدون، وفي الحرام يرتعون.

رزقك في السماء:

قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾

وهي آية تشير إلى فائدتين عظيمتين:

الأولى: أن رزقك في السماء، فلا تذِلَّ نفسك لمن في الأرض.

الثاني: أن ما عند الله لا يُبتغى إلا بطاعته.

قال **القشيري**:

«في السماء رزقكم، وإلى السماء يُرفع عملكم، فإن أردت أن ينزل عليك رزقك، فأصعِد إلى السماء عملك؛ ولهذا قالوا: الصلاة قرع باب الرزق، وقال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗا﴾»[٢].

وقال الحسن البصري وهو يشرح السبب الحقيقي لحرمان الرزق:

«فيها والله رزقكم، ولكن تُحرَمون بخطاياكم وأعمالكم»[٣].

ثم أقسم الله على هذا، فما الذي أحوجه إلى القسَم؟! وما هذا إلا لينزع الشك من قلوب المتردِّدين، ويغرس اليقين في قلوب المرتابين:

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾

---

(١) صحيح: رواه الحاكم والبيهقي عن جابر كما في صحيح الجامع رقم: ٧٣٢٣.
(٢) لطائف الإشارات ٣/ ٤٦٥ – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢/ ١١٤١ – برهان الدين الكرماني– دار القبلة للثقافة الإسلامية– جدة.

قال بعض الحكماء:

«كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه، ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره»[1].

تذكر كتب السِّير أنَّ الإمام **عفَّان بن مسلم الصَّفَّار** -أحد شيوخ الإمام **أحمد**- دُعِي إلى القول بخلق القرآن، فامتنع أن يُجيب، فقيل له: يُحبس عطاؤك! -وكان يُعطى في كلِّ شهرٍ ألف درهم- فقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]

فلما رجع إلى داره، عذلوه نساؤه ومن في داره [أي لاموه وعاتبوه]، وكان في داره نحو أربعين إنسانًا، فدقَّ عليه داقٌّ الباب، فدخل عليه رجل شبَّهته بسمَّان أو زيَّات، ومعه كيس فيه ألف درهم، فقال:

«يا أبا عثمان، ثبتك الله كما ثبَّتَّ الدين، وهذا في كل شهر»[2].

وقوع الاضطراب

في كتاب «القصد إلى الله سبحانه» **للْمُحاسبيِّ** قال:

«قلتُ لشيخنا:

من أين وقع الاضطرابُ في القلوب، وقد جاءها الضمان من الله عز وجل؟!

قال:

من وجهين.

أحدهما: قِلَّةُ المعرفة بحُسْنِ الظَّن، وإلقاء التُّهم عن الله.

والوجه الثاني: أنْ يعارضها خوفُ الفَوْت، فتستجيبَ النفسُ للداعي، ويَضْعُفَ اليقينُ، ويَعْدِمَ الصبرُ، فيظهر الجَزَع.

قلتُ: شيءٌ غيرُ هذا؟

قال:

نعم، إنّ الله عز وجل وَعَدَ الأرزاق وضَمِن، وغَيَّب الأوقات ليختبر أهل العقول، ولولا ذلك لكان كلُّ المؤمنين راضين صابرين متوكِّلين، لكن الله عز وجل أعلمهم أنَّه رازقهم، وحَلَفَ لهم على ذلك، وغيَّب عنهم أوقات العطاء، فمن ها هنا عُرِفَ الخَاصُّ من العامِّ، وتفاوت العبادُ في الصبر، والرضا، واليقين،

(١) تفسير القرطبي ١٧/ ٤٢.
(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠١.



والتوكل، والسكون، فمنهم -كما علمتَ- ساكنٌ، ومنهم متحرك، ومنهم راض، ومنهم ساخط، ومنهم جَزِعٌ.

فعلى قَدْرِ ما تفاوتوا في المعرفة، تفاوتوا في اليقين.

وعلى قَدْرِ ما تفاوتوا في اليقين، تفاوتوا في السكون، والرضا، والصبر، والتوكل»[١].

رزقك المادي أحقر الأرزاق

قال **أبو الدرداء**:

«يا بني، لا تُتبع بصرك كلَّ ما ترى في الناس، فإنه من يُتبع بصره كل ما يرى في الناس يَطُل تحزُّنه، ولا يشْفِ غيظه، ومن لا يعرف نعمة الله إلا في مطعمه أو مشربه؛ فقد قلَّ علمه، وحضر عذابه»[٢].

وما هو خير الأرزاق وأوسعها على الإطلاق؟!

إنه ما شهد به أصدق الخلق وحبيب الحق ﷺ في الحديث:

«ما رُزِقَ عبدٌ خيرًا له، ولا أوسع من الصبر»[٣].

ولذا لما دعا **الفاروق** بالرزق دعا بأن يموت شهيدًا في سبيل الله! والشهادة هي ضياع الدنيا في سبيل كسب الآخرة، فقال رضي الله عنه:

«اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ»[٤].

ولهذا قال الشاعر المؤمن **محمود الوراق** وقد فهم ما لم يفهمه غيره، وملأ قلبه من كنز اليقين:

كـم كافرٍ بالله أموالُــه ... تزداد أضعافًا على كُفْرِه

ومؤمنٍ ليس له درهـــمٌ ... يزداد إيمانًا على فقــره

رزقك.. ليس بالكدِّ فقط تجنيه

فلابد من أن يأذن الله **الرزاق** الذي بيده وحده مفاتيح الأرزاق، فلربما افتقر ساعٍ، ورُزِق قاعد! وربما اغتنى بليد، وافتقر نشيط.

يا ربَّمــا جاءنــي مــا لا أؤمِّلــه ... وربَّمـــا خـــاب مأمـــولٌ ومُنتَظَرُ

لو زاد في الرزق حرصٌ أو مطالبةٌ ... ما كان من قد يطيــل الكدَّ يفتقرُ

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٥/ ٣٠١، ٣٠٢ - الثعالبي - دار إحياء التراث العربي

(٢) الزهد لأحمد ١/ ١١٠.

(٣) صحيح: رواه الحاكم عن أبي هريرة كما في الصحيحة رقم: ٤٤٨.

(٤) صحيح: رواه البخاري في صحيحه رقم: ١٨٩٠ - باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة.

عرف ربه الرزاق مَن سعى على الرزق بالجوارح، وتوكل بالقلب.

جلس قومٌ عند **سفيان بن عيينة**، فذكروا **الفضل بن الربيع** ودهاءه، فأنشدهم **سفيان** ليعلِّمهم أنه لابد مع السعي والكد والعقل مِن عامل آخر وهو الأهم، وهو إرادة الله الذي (يأذن) للرزق أن ينزل من خزائنه على من (يشاء) من عباده:

كم مِنْ قــويٍّ قــويٍّ فـي تقلُّبــه ... مُهذَّب الرأي عنه الرزق مُنْحــرِف

وكم ضعيفٍ ضعيفِ العقل مختلِطٌ ... كأنَّه من خليج البحـــر يغتــرِف



١- محبة الله

قال ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، فنبَّه الله سبحانه عباده إلى نعمه المرئية لكنها مخفية عن أصحاب القلوب الغافلة الشقية، وهذا متكرر في القرآن؛ ليغرس الحب في قلوب العباد لله وحده المستحق وحده للحمد؛ ولذا قال سبحانه في سورة الروم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

والمحبة ثمرة من ثمار العمل بهذا الاسم الكريم **الرزاق**، فتنزل في قلوب أولياء الله وأصفيائه، وقد مَنَّ عليهم بأعظم الرزق وأنفعه، ألا وهو العلم النافع والعمل الصالح، وهو الرزق الحقيقي الباقي، وأما رزق الكفار والفُجّار فهو منقطع وزائل؛ ولذا قال سبحانه:

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢٠، ٢١].

فيرزق **الرزاق** الشقي والتقي إلى أن يبلغا الأمد، ويستوفيا الأجل، ثم تتفاوت أحوالهما بعد الموت، وتتفرق بهما السبل، فمن أراد العاجلة فإلى جهنم، وأما مريدي الآخرة فإلى الجنة.

﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾: ممنوعا، فلا يمنع الله عطاءه الدنيوي عاصٍ لعصيانه؛ لأن عطاء الربوبية يناله المؤمن والكافر والطائع والعاصي، وأما عطاء الإيمان والعبودية، فهو عطاء المؤمنين لا يفوز به غيرهم.

فانظر يا محمد، ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٢١] في الرزق، فمن مُقِلٍّ ومُكثِر، ومُوسَّعٍ عليه، ومُقتَّرٍ عليه.. هذا في الدنيا.

﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ من الدنيا الفانية الزائلة، فإذا دخل أهل الجنة الجنات اقتسموا

ما عرف ربه الرزاق من حمله استبطاء الرزق على طلبه بمعصية الله.



المنازل والدرجات، وما بين الدرجة والدرجة مسيرة عشرات السنوات، بل وأبعد ما بين الأرض والسماوات.

فرُبَّ فقير في الدنيا، وهو ملك من ملوك الآخرة.

وكم من ملكٍ في الدنيا.. صعلوكٍ في الآخرة.

فأحب الله لما حباك به من نور الإيمان، ونعمة الهداية، فهي النعمة الكبرى، والجائزة العظمى، والرزق الحقيقي.

٢- توكَّل في الرزق

سبحانه الرزاق المتفرِّد برزق عباده، المتكفل بأقواتهم، فلا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع، ولا مقرِّب لما باعد، ولا مباعد لما قرَّب، وإن اليقين بذلك يثمر التوكل الصادق على الله، والتعلق به وحده مع الأخذ بالأسباب، وهو ما يثمر سكينة القلب عند اضطراب الخلق، وعدم الهلع والخوف مهما اشتد؛ لأنك لن تموت حتى تستوفي رزقك وأجلك.

يقول الأستاذ **محمد قطب** رحمه الله:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ولو أنك سألت أي إنسان في الطريق: من الذي يرزقك؟ لقال لك على البديهة: الله، ولكن انظر إلى هذا الإنسان إذا ضيق عليه في الرزق، يقول: فلان يريد قطع رزقي! فما دلالة هذه الكلمة؟!

دلالتها أن تلك البديهة ذهنية فحسب، وبديهة تستقر في وقت السلم والأمن، ولكنها تهتز إذا تعرضت للشدة؛ لأنها ليست عميقة الجذور.. فلا يصلح لتلك الأعباء إلا شخص قد استقر في قلبه إلى درجة اليقين أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن الله هو المحيي المميت، وأن الله هو الضار النافع، وأن الله هو المعطي والمانع، وأن الله هو المدبر، وأن الله هو الذي بيده كل شيء»[١].

ولنتعلم من عجوز البادية التي أتى البرد على زرعها، فأخرجت رَأسهَا من الخِباء ونظرت إلى الزَّرْع، وقد احترق، فقالت -وَرفعت رأسها إلى السَّماء-: «اصْنَع ما شِئْت، فإِن رِزْقي عليك»[٢].

٣- لا تخف قطع الرزق

ويدخل هذا الاستعلاء على الباطل وأهله عندما يساومون المؤمن على رزقه في ترك الحق، أو يهدِّدونه لكي يسكت عن الباطل أو يميل معه.

(١) واقعنا المعاصر ص ٤٨٦.
(٢) نثر الدر في المحاضرات ٤/ ٦٨ - منصور بن الحسين الرازي - ط دار الكتب العلمية.

عرف ربه الرزاق مَن لم يخف مخلوقًا على قطع رزقه مهما علا سلطانه واتسع نفوذه.

وهذه شنشنة المنافقين التي لا تتغير قديمًا أو حديثًا.

قال عز وجل:

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

فتهديد المؤمن في رزقه هو ديدن الفجار على مر الأزمان.. يقول **سيد قطب** عن هذه الآية:

«وهي قولة يتجلى فيها خبث الطبع، ولؤم التحيز، وهي خطة التجويع التي يبدو أن خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان، في حرب العقيدة ومناهضة الأديان، ذلك أنهم لخسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة، كما هي في حسهم، فيحاربون بها المؤمنين.

إنها خطة قريش وهي تقاطع **بني هاشم** في الشعب؛ لينفضُّوا عن نصرة رسول الله ﷺ ويسلموه للمشركين!

وهي خطة المنـافقين -كما تحكيـها هذه الآية- لينفضَّ أصحاب رسول الله ﷺ عنه تحت وطأة الضيق والجوع!

وهي خطة الشيوعيين في حرمان المتدينين في بلادهم من بطاقات التموين؛ ليموتوا جوعًا أو يكفروا بالله، ويتركوا الصلاة!

وهي خطة غيرهم ممن يحاربون الدعوة إلى الله وحركة البعث الإسلامي في بلاد الإسلام، بالحصار والتجويع، ومحاولة سد أسباب العمل والارتزاق.

وهكذا يتوافى على هذه الوسيلة الخسيسة كل خصوم الإيمان، من قديم الزمان، إلى هذا الزمان.. ناسين الحقيقة البسيطة التي يذكرهم القرآن بها قبل ختام هذه الآية:

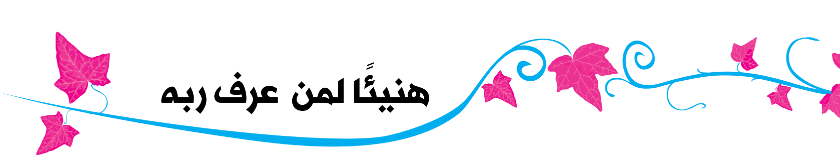
﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾...

ومن خزائن الله في السموات والأرض يرتزق هؤلاء الذين يحاولون أن يتحكموا في أرزاق المؤمنين، فليسوا هم الذين يخلقون رزق أنفسهم، فما أغباهم، وأقل فقههم، وهم يحاولون قطع الرزق عن الآخرين!

وهكذا يثبِّت الله المؤمنين، ويقوّي قلوبهم على مواجهة هذه الخطة اللئيمة، والوسيلة الخسيسة التي يلجأ أعداء الله إليها في حربهم، ويطمئنهم إلى أن خزائن الله في السماوات والأرض هي خزائن الأرزاق للجميع»[١].

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٧٩.

ما عرف ربه الرزاق مَن خاف قطع رزقه من ظالم أو باغ، فاستسلم لجُبْن أو هزيمة.



٤- أكل الحلال واجتناب الحرام

من آمن بالرزاق لن يمد يده نحو الحرام من الأرزاق، ولو صبر العبد على اللقمة الحرام لسعت إليه من طريق الحلال!

قال **ابن عباس** وهو يرسي قاعدة إيمانية هامة استقاها من فهمه لكتاب الله ومن كثرة ملازمته لرسول الله ﷺ:

«ما من مؤمن ولا فاجر إلا وقد كتب الله تعالى له رزقه من الحلال، فإن صبَر حتى يأتيه آتاه الله تعالى، وإن جزع فتناول شيئًا من الحرام نقصه الله من رزقه الحلال»[١].

والصبر عن الحرام هو قمة البطولة في زمن شاع فيه الرزق الخبيث ودخل كل بيت، وهو زمنٌ صدقت فيه نبوءة رسول الله ﷺ:

«ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال؟ أمِنْ حلالٍ، أم مِنْ حرام»[٢].

وهم الأبطال لأنهم يسبحون ضد التيار، ويرفعون التعفُّف كأسمى شعار، فلا تزيغ أبصارهم ولا قلوبهم ببريق الذهب أو إغراء الدولار.. قال **سفيان الثوري**:

«عليك بعمل الأبطال: الاكتساب من الحلال، والإنفاق على العيال»[٣].



وما قسَت قلوب العباد بمثل أكل الحرام، ولا لانت قلوب المتقين ولا جوارحهم لأمر ربهم بمثل أكل الحلال؛ ولذا لما سئل الإمام **أحمد بن حنبل**: بم تلين القلوب؟ لم يجبهم بأنه الذكر والقيام، والصدقة والصيام، وإنما أطرق ساعة، ثم رفع رأسه، فقال:

«يا بني، بِأكل الحلال»[٤].

٥- عليك مفتاح خزائن الرزق: التقوى والصدقة

قال سبحانه:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

فالتقوى مفتاح المفاجآت السعيدة، وكلما كنت أتقى جاءك رزقك الرائع ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾، وأحلى الأرزاق ما كان فجأة.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٢٦.
(٢) صحيح: رواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٣٤٤.
(٣) الجرح والتعديل ١/ ٨٥ - ابن أبي حاتم الرازي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٨٢.

عرف ربه الرزاق مَن عرف مفاتيح الرزق، واستعملها في توسعة رزقه.

فيا مستفتحًا أبواب الرزق بغير مفتاح التقوى:

كيف توسِّع طريق الخطايا، ثم تشكو ضيق الأرزاق؟!

أما علِمتَ أنك لو اتقيت الله لَمَا عسر عليك مطلوب، فالتقوى مفتاح ما انغلق من الأبواب، وسر تجاوز كل الصعاب.

قال **ابن تيمية** وهو يرُدُّ على شبهة مشهورة مثارة:

«وقول القائل: قد نرى من يتقي وهو محروم، ومن هو بخلاف ذلك وهو مرزوق!

فجوابه:

أن الآية اقتضت أن المتقي يُرزَق من حيث لا يحتسب، ولم تَدُل على أن غير المتقي لا يُرزَق؛ بل لا بد لكل مخلوق من الرزق قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ حتى إن ما يتناوله العبد من الحرام هو داخل في هذا الرزق، فالكفار قد يُرزَقون بأسباب مُحَرَّمة، ويُرزَقون رزقا حسنا، وقد لا يُرزَقون إلا بتكلف.

وأهل التقوى يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون، ولا يكون رِزقهم بأسبابٍ محرمة، ولا يكون خبيثا، والتقي لا يُحرَم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يُحمى من فضول الدنيا رحمة به وإحسانا إليه»[١].

ومفتاح الرزق الثاني هو الصدقة، فالمال كلما أخذت منه بالصدقة زاد! وبالإنفاق تزداد الأرزاق، ويجود الرزاق.

ومن هنا قال **جعفر بن محمَّد**:

«إني لأمْلَق، فأتاجر الله بالصدقة، فأربح»[٢].

وليست العبرة بكثرة الرزق ولكن ببركته، والعكس صحيح، فإن المعصية باب واسع إلى نقصان الرزق، أو محق بركته، أو جعله طريقًا إلى المتاعب والمشاق، وقد ورد في حديث **ثوبان**:

«وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ».

قصة طريفة في التقوى والرزق

قال الشيخ **علي الطنطاوي**:

«أما القصة الأخرى فلعل الطرافة فيها أكثر من المنفعة منها، وهي واقعة أعرف أشخاصها وظروفها،

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٣.
(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس ١/ ٢٥ - ابن عبد البر القرطبي، وأملَق: افتقر من الإملاق، وهو الفقر.

ما عرف ربه الرزاق مَن أضاع مفاتيح الرزق، فلم يفتح بها أبواب خزائن الرزاق.



هي أن شابًّا فيه تُقًى، وفيه غفلة طلَب العلم، حتى إذا أصاب منه حظًّا، قال الشيخ له ولرفقائه: لا تكونوا عالةً على الناس، فإن العالم الذي يمدُّ يده إلى أبناء الدنيا لا يكون فيه خير، فليذهب كل واحد منكم وليشتغل بالصنعة التي كان أبوه يشتغل بها، وليتَّقِ الله فيها.

وذهب الشاب إلى أمه، فقال لها:

ما هي الصنعة التي كان أبي يشتغل بها؟ فاضطربت المرأة، وقالت: أبوك قد ذهب إلى رحمة الله، فما لك وللصنعة التي كان يشتغل بها؟

فألحَّ عليها وهي تتملَّص منه، حتى إذا اضطرّها إلى الكلام أخبرته وهي كارهة أن أباه كان لصًّا.

فقال لها: إن الشيخ أمرَنا أن يشتغل كلٌّ بصنعة أبيه، ويتقي الله فيها.

قالت الأم: ويحك! وهل في السرقة تقوى!

وكان في الولد كما قلت غفلة، فقال لها: هكذا قال الشيخ.

ثم ذهب فسأل، وتسقَّط الأخبار حتى عرف كيف يسرق اللصوص، فأعدّ عُدَّة السرقة، وصلى العشاء، وانتظر حتى نام الناس، وخرج ليشتغِل بصنعة أبيه كما قال الشيخ، فبدأ بدار جاره، ثم ذكر أن الشيخ قد أوصاه بالتقوى، وليس من التقوى إيذاء الجار، فتخطّى هذه الدار، ومرَّ بأخرى فقال لنفسه: هذه دار أيتام، والله حذَّر من أكل مال اليتيم، وما زال يمشي حتى وصل إلى دار تاجر غني ليس له إلا بنت واحدة، ويعلم الناس أن عنده الأموال التي تزيد عن حاجته.

فقال: ها هنا.

وعالج الباب بالمفاتيح التي أعدَّها، ففتح ودخل، فوجد دارًا واسعة وغرفًا كثيرة، فجال فيها حتى اهتدى إلى مكان المال، وفتح الصندوق فوجد من الذهب والفضة والنقد شيئًا كثيرًا، فهمَّ بأخذه، ثم قال: لا، لقد أمرنا الشيخ بالتقوى، ولعلَّ هذا التاجر لم يؤدِّ زكاة أمواله، لنُخرِج الزكاةَ أولاً.

وأخذ الدفاتر وأشعل فانوسًا صغيرًا جاء به معه، وراح يراجع الدفاتر ويحسب، وكان ماهرًا في الحساب، خبيرًا بإمساك الدفاتر، فأحصى الأموال وحسب زكاتها، فنحّى مقدار الزكاة جانبًا، واستغرق في الحساب حتى مضت ساعات، فنظر فإذا هو الفجر، فقال: تقوى الله تقضي بالصلاة أولاً!

وخرج إلى صحن الدار، فتوضأ من البِرْكة وأقام الصلاة، فسمع رب البيت فنظر فرأى عجبًا، فانوسًا مضيئًا، ورأى صندوق أمواله مفتوحًا، ورجلاً يقيم الصلاة، فقالت له امرأته: ما هذا؟ قال: والله لا أدري! ونزل إليه فقال: ويلك من أنت، وما هذا؟ قال اللص: الصلاة أولاً ثم الكلام، فتوضّأ ثم تقدّمْ فصَلِّ بنا، فإن الإمامة لصاحب الدار.

عرف ربه الرزاق من أنفق في سبيله موقنًا بإخلاف ربه عليه.

فخاف صاحب الدار أن يكون معه سلاح ففعل ما أمره به، والله أعلم كيف صلى، فلما قُضيت الصلاة، قال له:

خبِّرني ما أنت وما شأنك؟

قال: لص.

قال: وماذا تصنع بدفاتري؟

قال: أحسب الزكاة التي لم تُخرجها من ستِّ سنين، وقد حسبتها وفرزتها؛ لتضعها في مصارفها، فكاد الرجل يُجَنّ من العجب، وقال له: ويلك، ما خبرك؟ هل أنت مجنون؟ فخبَّره خبره كله، فلما سمعه التاجر ورأى جمال صورته، وضبط حسابه ذهب إلى امرأته فكلَّمها، ثم رجع إليه، فقال له: ما رأيك لو زوَّجتك ابنتي، وجعلتك كاتبًا وحاسبًا عندي، وأسكنتك أنت وأمك في داري، ثم جعلتك شريكي؟!

قال: أقبل.

وأصبح الصباح، فدُعي بالمأذون وبالشهود وعُقِد العقد! وهذه قصة واقعة»(1).

٦- لا تركن لعبد الرزاق

استعِن بربك الرزاق على فقرك وضيق رزقك، ولا تبذل ماء وجهك ذلًّا واستعطافًا لأحد!

قال محمود الوراق:

يا أيُّها الطَّالب مــن مثلــه	رزقًا له جُـــرْتَ عن الحكْمــه
لا تطلب الــرِّزق إلـى طالب	مثلكَ محتــاج إلى الرَّحمـــه
وارغب إلى الله الذي لم يـزل	فــي يـــده النِّعْمــة والنِّقْمــه

وكلما قويت الاستعانة بالخلق ضعف التعلق بالله، وإنما تكسب باستعانتك بهم بقدر ما تخسر من صلتك بِرَبِّك؛ ولذا قال بعضهم:

لا تضــرعنَّ لمخلوق على طمع	فإنَّ ذلك وَهْنٌ منك بالدِّيــنِ
واسترزِق الله زرقًا من خزائنه	فإنما هو بيـنَ الكافِ والنــونِ

قال الجيلاني مخاطبا غلامه وهو يربيه على عزة النفس والتعلق بالرزاق:

«يا غلام..

اخدم الحق عز وجل ولا تشتغل عنه بخدمة هؤلاء السلاطين الذين لا يضرون ولا ينفعون، إيش

(١) فصول في الثقافة والأدب ١/ ٢١، ٢٢ - علي الطنطاوي - دار المنارة.

ما عرف ربه الرزاق من بخل بماله خوفًا من زواله وحرصًا على عياله.

يعطونك؟! أيعطونك ما لم يُقسَم لك، أو يقدرون يقسمون لك شيئا لم يقسمه الحق عز وجل، لا شيء من عِندِهم، إن قلتَ إن عطاءهم من عِندِهم كفرتَ، أما تعلم أنه لا معطي ولا مانع، ولا ضارَّ ولا نافع، ولا مقدِّم ولا مؤخِّر إلا الله عز وجلَّ؟ فإن قلتَ: إني أعلم ذلك، قلتُ: كيف تعلم هذا وتقدِّم غيره عليه؟!»[1].

٧- الدعاء باسم الرزاق

الدعاء بما يناسب اسم الله **الرزاق** ما صحَّ من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«لا يقل أحدُكُم اللهم اغفر لي إن شِئْت، ارحمني إن شِئْت، ارزُقني إن شِئْت، وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاءُ، لا مُكْرِه له»[2].

وأبشِر مع دعائك برزق ربٍّ يرزق من يشاء بغير حساب، وحلِّق عاليا مع وصف: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، فمن معانيه:

* يرزق دون أن يحاسبه محاسب، أو يسأله سائل لم أنفق.
* يرزق بغير تقتير، ولا يخاف من نفاد ماله عند إنفاقه.
* يرزق من يشاء من حيث لا يتوقع ولا يحتسب.
* يرزق دون أن يعاتِبه أحد على إنفاقه أو يناقشه في عطائه.
* يرزق رزقا كثيرا لا يدخل تحت حصرٍ ولا عدٍّ.

٨- الرضا بالرزق، وإلا فالصبر عليه

يا كل من ضُيِّق عليه رزقه:

أمامك -مع مطالعة القدَر الإلهي- درجتان:

إما اعتبار أن قضاء الله في التضييق هو الأفضل لك، علمت ذلك أم لم تعلمه، فإن كنت محظوظًا لمحت عطاءه في منعه، ولطفه في شدته، فأورثك ذلك **الرضا** عنه!

وإن كنت أقل درجة وأضعف إيمانًا لمحت الثواب، فأورثك ذلك **الصبر** على قضائه.

ولذا كتب **عمر بن الخطاب** إلى **أبي موسى الأشعري** يوصيه بالأهم فالمهم، فقال:

«أما بعد، فإن الخير كلَّه في الرِّضا، فإن استطعت أن ترضى؛ وإلا فاصبر»[3].

(١) الفتح الرباني ص ٤٤ - عبد القادر الجيلاني.
(٢) صحيح: رواه الشيخان وأحمد والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٧٧٦٣.
(٣) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ١٨٥.

عرف ربه الرزاق من أبصر الرزق بمفهومه الواسع المادي والإيماني.



سادسًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

«اللهم انفعني بما علَّمتني، وعلِّمني ما ينفعني، وارزقني علمًا تنفعني به».

«اللهم اغفر لي وارحمني، وعافني وارزقني».

«اللهم ارزقني عينين هطَّالتين، تشفيان القلب بذرف الدمع من خشيتك، قبل أن يكون الدَّمع دمًا، والأضراس جمرًا».

«اللهم ارزقني لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك».

«اللهم ارزقني حبَّك، وحُبَّ من ينفعني حُبَّه عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوةً لي فيما تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب، فاجعله فراغًا لي في ما تحب».

«اللهم ارزقني حلالاً لا تعاقبني عليه، وقنِّعْني بما رزقتني».

«اللهم أرني الحق حقًّا وارزقنى اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقنى اجتنابه، ولا تجعله متشابهًا عليَّ فأتبع الهوى».

يا رزاق..

ارزقنا الزهد في الدنيا، ووسِّع علينا منها، ولا تزوِها عنا فترغِّبْنا فيها.

يا رزاق..

ارزقنا خير ما رزقت أولياءك الصالحين وعبادك المتقين من الإِسْتِغْنَاء بك عن الخلق أجمعين، وارزقنا حسن الافتقار إليك يا خير الرازقين.

يا رزاق..

ارزقنا من الخير أكثر مما نطلب، واصرف عنا كل شر في ديننا ودنيانا.

يا رزاق..

كيف أسترزق من لا يرزقني إلا من فضلك؟!

يا رزاق..

ارزقنا نفوسًا تقنع بعطائك، وترضى بقضائك، وتصبر على بلائك، وتوقن بلقائك، وتشكر لنعمائك.

ما عرف ربه الرزاق من غفل عن دعائه برزق الدنيا والآخرة.



سابعًا: حاسب نفسك تعرف ربك



	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائما	أحيانًا	نادرًا
١	هل تلجأ إلى الصداقة إذا واجهت ضيقًا في الرزق؟			
٢	هل تتحرى الحلال في رزقك وتتجنب الحرام والشبهات؟			
٣	هل توقن أن رزقك في السماء فلا يمسه أحد ممن في الأرض؟			
٤	هل تستحضر الرزق الإيماني في دعائك كما تستحضر الرزق المادي؟			
٥	هل حققت: (رجلا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)؟			
٦	عل بلغت من عزة النفس ما تستغني به بالرزق عن الخلق؟			

عرف ربه الرزاق من دعاه بالرزق الحلال والقناعة بالحال.



هذا وُدُّه بمن عصاه، فكيف وُدُّه بمن أطاعه!

هو المحبوب من كل وجه، والمحبُّ لأهل الإيمان، الغارس محبتهم في قلوب الخلق.



من ذاق عرف



الوَدُود
هذا وُدُّه بمن عصاه، فكيف وُدُّه بمن أطاعه!
معنى الودود
• الوادُّ لأهل الإيمان.
• المحبوب.
• الذي يُحَبِّب عبادَه إلى خَلقه.
الحب لغة الخلائق، ولو كانوا جوامد
إذا أحبّك الودود
• الله يدافع عن أحبابه.
• والله لا يعذِّب أحبابه.
كيف الوصول إلى وُدِّ الودود
١. اتباع النبي ﷺ.
٢. المداومة على النوافل بعد الفرائض.
٣. حب القرآن.
٤. الحبُّ في الله ولوازمه.
٥. الزهد في الدنيا.
٦. قوة الإيمان وقوة الأبدان.
٧. ثلاث خصال من حُسن الخلق.
٨. التُّقى والغنى والخفاء.
٩. أن تؤثر الله على ما تحب.
قس منسوب محبة الله في قلبك
• العلامة الأولى: حُبُّ لقاء الله.
• العلامة الثانية: أن يكون مستهترًا بذكر الله.
• العلامة الثالثة: أن يكون أُنسُه بالخلوة مع مولاه.
• العلامة الرابعة: أن يكون أسفه على ما فاته من الله أعظم من أسفه على ما فاته من دنياه!
• العلامة الخامسة: التلذذ بالطاعة وعدم استثقالها.
• العلامة السادسة: أن يغضب لحبيبه.
• العلامة السابعة: أن تحب ما يُحِبُّ.
حاسب نفسك تعرف ربّك
فادعوه بها عبادة وعملًا
• أحِبَّ الخير للخلق، وأحسن إليهم.
• الإنعام على سبيل الابتداء.
• تودَّد إلى (الودود) بأحب كلامه إليه.
فادعوه بها مسألة وطلبًا



أولاً: معنى الودود

قال **الأصفهاني**:

«الوُدُّ محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الوُدِّ؛ لأن التمني هو تَشَهِّي حصول ما تودُّه»[1].

وقال **ابن العربي**: اتفق أهل اللغة على أن المودة هي المحبة.

قال تعالى:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ويأتي أيضًا بمعنى الملازمة مع التعلق، وجاء منها «الودَدَ» بمعنى الوتد لشدة ملازمته للخيمة وتعلقه بها، وكان أصلها الودد ثم أدغمت الدالان.

المعنى الأول: الوادُّ لأهل الإيمان

«وَدُود» صيغة مبالغة على وزن «فَعُول» بمعنى فاعل، بمعنى أنه الوادُّ لأهل الإيمان، أي يُحِبُّ المؤمنين وأولياءَه الصالحين، فلا يفعل بهم إلا كل خير، ولا يعطيهم إلا ما ينفعهم، ولا يحرمهم إلا مما يضرُّهم.

المعنى الثاني: المحبوب

«وَدُود» على وزن «فَعُول» بمعنى «مَفْعول»، فيكون الودود بمعنى المَوْدُود، يعني: المحبوب..

والمعنى الثاني قاله **الحَلِيْمي**:

«وقد قيل هو المودود لكثرة إحسانه»، فإن النفس تحب من أحسَنَ إليها، وجُبِلَ المرء على محبة من أحسن إليه.

وقد تحب شخصًا من كثرة ما تسمعه عنه من خير، ولِما فاض من إحسانه على من حوله، ويتعلَّق قلبك به ولو لم يصلك شيء من هذا الإحسان، فكيف بمن أنت غارق في إحسانه الأمس واليوم وغدًا؟!

قال **ابن تيمية**:

«وليس ما يستحق أن يكون هو المحبوب لذاته، المراد لذاته، المطلوب لذاته، المعبود لذاته: إلا الله»[2].

(١) المفردات في غريب القرآن ١/ ٨٦٠ - الراغب الأصفهاني - ط دار القلم والدار الشامية.
(٢) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٣٧٤.

عرف ربه الودود مَن حرص على التودد إليه بالمواظبة على النوافل بعد الفرائض.



وقد جمع الشيخ **السعدي** بين التعريفين، فقال رحمه الله:

«الودود هو المحب المحبوب بمعنى وادٌّ وموددود»[1].

المعنى الثالث: الذي يُحَبِّبُ عبادَه إلى خَلْقه

الودود يُحَبِّبُ عبادَه الذين يستحقون محبته إلى الخلق، ويُلقي بمودتهم في قلوب الناس، وذلك على قدر محبة الله لهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

أي وُدًّا خاصًّا بينهم وبين الله الذي ودَّهم وأحبهم حتى فاضت مودته لهم على قلوب من حولهم، وليس هذا من فضلهم وبسبب أعمالهم فحسب؛ وإنما هو فضل من الودود سبحانه.

قال **محمد بن المنكدر لأبي حازم**: يا **أبا حازم**، ما أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير، ما أعرفهم وما صنعت إليهم خيرًا قط.

قال له **أبو حازم**:

لا تظن أن ذلك من عملك؟ ولكن انظر الذي ذلك من قِبله، فاشكره.

ثم قرأ **ابن زيد** (الراوي):

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦][2].

وسبب هذا الله أن الله أحبه، ولهذه المحبة تبعات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إذا أحبَّ الله تعالى العبد؛ نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل، فيُنَادِي في أهل السماء: «إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض».

وهذا، والله لهو الشرف العظيم، فالناس اليوم يتزلَّفون إلى البشر أصحاب الزعامات والمكانة والسلطان؛ ليقرِّبوهم ويدنوهم، فيغدقوا عليهم النعم، وأما أنت.. فالله هو الذي قرَّبك وأدناك وأحبك، وأعلن ذلك في كتابه: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، فأي فضلٍ في انتظارك؟!

قال **ابن القيم** مبشِّرًا لك ومهنِّئًا:

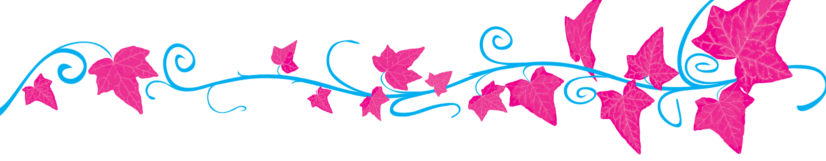
«ليس العجيب من قوله: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، إنما العجب من قوله: ﴿يُحِبُّهُمۡ﴾.

ليس العجب من فقيرٍ مسكين يحب محسنًا إليه، إنما العجب من مُحسِنٍ يحب فقيرًا مسكينًا»[3].

(١) الحق الواضح المبين ص ٦٩.
(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٣٣.
(٣) الفوائد ص ٦٩.

ما عرف ربه الودود مَن انتهك من الفرائض، وما واظب على النوافل.







ثانيًا: الحب لغة الخلائق.. ولو كانوا جوامد

الحب هو اللغة المشتركة بين جميع الخلق، ولو كانوا من الدواب التي لا تعقل لكنها تُحِبُّ وتُحَبُّ!

وانظر إلى الفرس العربي وهو مشغول بالحب كل صباح، ويدعو الله عز وجل أن يُحَبِّبَه إلى صاحبه، ففي كل يوم من أيامه دعاءٌ بالمحبة.

قال رسول الله ﷺ:

«إنه ليس من فرسٍ عربيٍّ إلا يؤذَن له مع كل فجر يدعو بدعوتين، يقول: اللهم إنك خوَّلتني من خوَّلتني من بني آدم، فاجعلني من أحبِّ أهله وماله إليه»[1].

بم يدعو هذا الفرس كل صباح؟! إنه يدعو بأهم دعاء: أن يكون محبوبًا، بل أحب شيء إلى صاحبه..

ومِنا من ينام عن صلاة الفجر التي لا يغفل فرَسٌ عنها يومًا، فتدعو الخيل ربها في هذا الوقت المبارك، بينما أكثر الخلق غافلون، فيستجيب الله لها، والواقع يشهد لهذا، وحب الناس للخيل يشهد لهذه الإجابة!

حتى الجماد والصخور تُحِبُّ وتُحَبُّ:

فتأمل قول النبي ﷺ عن جبل أُحد: «هذا جبلٌ يحبنا ونحبه»[2].

وقد بكى جذع النخل حبًّا لرسول الله ﷺ واشتياقًا إليه.

تلك المخلوقات والجوامد تحب من أحبها وأحسن إليها، فكيف بك يا صاحب القلب القاسي، والله عز وجل قد تتابعت أفضاله عليك، وعمَّ كرمه وفاض بِرُّه، وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة؛ حتى عجَزْتَ عن إحصاء آلائه، فكيف لا تحبه؟!



ثالثًا: إذا أحبك الودود...

ما أثر اسم **الودود** على حياتك؟!

إذا أحبك **الودود**، فما أرباحك؟!

(١) صحيح: رواه الإمام أحمد في والنسائي والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: ٢٤١٤.
(٢) صحيح: رواه البخاري حديث رقم: ١٤٨٢ - كتاب الزكاة - باب خرص الثمر.

عرف ربه الودود مَن تودَّد إليه بأحب الكلام إليه وهو القرآن، فلم يهجر كلام الحبيب.

قال بعض الحكماء:

«ليس الشأن أن تُحِب، ولكن الشأن أن تُحَب»[1].

لماذا؟!

لأنك إذا قلت أنك تحب الله، فقد تكون صادقًا في دعواك أو كاذبًا، ولكن الشأن العظيم أن يحبك الله؛ لأن الله لا يحب إلا من يستحق هذا الحُب.

ولحبّ الله لعبده فضائل رئيسة؛ منها:

١- اللّه يدافع عن أحبابه

قال تعالى في الحديث القدسي:

«من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب»[2]،

أي أعلمتُه بمعاداتي لي، وأني سأحاربه، وأقهره، وأنتصر منه، وأنتقم لوليي..

فمن أنت -يا وليَّ الله- حتى يحارب الله من آذاك، ومسَّك أو عاداك؟!

ما هذا الشرف!

وأي نوعٍ من الكرامة؟!



وأما أنت أيها الظالم..

يا مَنْ نصَّبَ نفسَه لمعاداة الخالق، وجعلَ اللّه خصمَه وعدوَّه، وثارَ عليه..

أين المفرُّ؟!

وبأيِّ حصنٍ تتحصَّن؟

وأيُّ أعوانٍ وعُدَدٍ تتقوىَ بها؟

أبشِر بما يسوؤك...



(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٢ - ابن كثير - دار طيبة للنشر والتوزيع.
(٢) صحيح: رواه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع رقم: ٦٥٠٢.



لو علم أحدنا أن مسؤولاً كبيرًا يدافع عنــه، ويقف في صفِّــه؛ لاطمأن وسكن، فكيف إذا علم أن دولة من الدول تسانده! فكيف لو كانت هذه الدولــة دولة عُظمى؟! فما بالك إن نزلت في جوار الله رب العالمين؟!

وليس لهذه الولاية لافتة مرفوعة فوق جبين العبد، فقد يكون مقصِّرًا في بعض الأعمــال الصالحة؛ ومع ذلك فهو وليٌّ لله بِذُلِّه وافتقاره، وقد يكون زاهــدًا عابدًا، وليس بولي؛ لأن قلبه مريض، أو لأنه مُفتخِرٌ بعمله، ومعجَبٌ بطاعته، أو متكبِّر على العصاة، فالولاية سر بين العبد وربه، وكل من ادَّعى الولاية فهو كاذب.

٢- والله لا يُعذِّب أحبابه

قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨].

وهي آية من أعظم آيات الرجاء.

قال ابن كثير:

«وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذِّب حبيبه؟! فلم يرد عليه، فتلا عليه الصوفي هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾»[١].

وله شاهد في مسند الإمام أحمد:

مرَّ النبي ﷺ في نفرٍ من أصحابه، وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني.. ابني، وَسَعَت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار، قال النبي ﷺ:

«والله.. لا يُلقي الله حبيبه في النار»[٢].



رابعًا: كيف الوصول إلى وُدِّ الودود؟

لكل شيء ثمن.

ولكل إنجاز سبب، فما أسباب هذا الإنجاز العظيم، وهو نيل وُدِّ الودود؟

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٦٢.
(٢) صحيح: رواه الحاكم وأحمد في المسند عن أنس كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٤٠٧.

١- اتباع النبي ﷺ

قال تعالى:

﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران : ٣١].

فجعل اتباع رسوله شرط محبة الله، فمن لم يتبع رسول الله فمحبته لله مكذوبة، وهي مكافأة عظيمة فوق ما طلبتم وتمنيتم من محبتكم لربكم، وهذه المكافأة: أن تفوزوا بمحبة الله لكم، وإذا أحب الودود أكرم، وإذا أكرم أدهش، وإذا أدهش فلا سقف لسعادتك، ولا منتهى لنعيمك وراحتك.

٢- المداومة على النوافل بعد الفرائض

قال تعالى في الحديث القدسي:

«وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحَبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه».

«وما يزال» من أفعال الاستمرار، أي أنه يستمر في التقرب إلى الله تعالى بالنوافل، ويثبت على هذا حتى يصل إلى شاطئ محبة الله، و«حتى» هذه للغاية، فيكون من أحباب الله.

قال النبي ﷺ:

«أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ»(١).

وصاحب أدوم الأعمال من أحبِّ العباد إلى الله، وكان من دأب أحب الخلق إلى الله ﷺ أنه ما عمل طاعة ثم تركها، بل يداوم عليها، وانظر إلى بعض التطبيقات العملية للمداومة:

المداومة:

«لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله».

المداومة:

«تابِعوا بين الحج والعمرة».

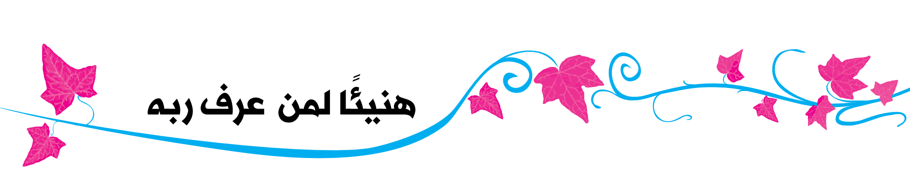
المداومة:

«من ثابر على اثنتي عشرة ركعة من السُّنة بنى الله له بيتًا في الجنة».

وثابر أي داوم، فليس الطريق الموصل إلى محبة الله: أداء النوافل فحسب، بل المواظبة عليها، وهي علامة صدق المحبة وعدم تذبذبها؛ ولذا أحب الله كل من داوم على الطاعة من عباده.

(١) صحيح: أخرجه البخاري ٦٤٦٤، ومسلم ٧٨٣ من حديث عائشة رضي الله عنها.





لكن هل التلازم هنا بين المداومة والقلة؟!

والجواب:

كلا.. فإن «أدومها وإن قل» تعني: إذا كان أدومها كثيرًا فهو أفضل بلا شك، لكن لو كان المقارنة بين كثيرٍ منقطع، وقليل دائم، فإن الأفضل هو القليل الدائم، وإذا كانت المقارنة بين القليل الدائم والكثير الدائم، فإن الأفضل هو الكثير الدائم.

٣- حب القرآن

عن **عائشة** رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبيِّ ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيءٍ يصنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»(١).

٤- الحبُّ في الله ولوازمه

قال عز وجل: «حقَّت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحقَّت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقَّت محبتي للمتباذلين فيَّ، المتحابون فيَّ على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء»(٢).

ألزم الودود نفسه بأن يمنح شرف محبته لخمس: المتحابين، والمتواصلين، والمتناصحين، والمتزاورين، والمتباذلين فيه

خمسة أعمال تضمن لك وُدَّ الودود:

* المتحابين فيَّ: يحب أحدهم أخاه؛ لأنه يذكِّره بربِّه ويقرِّبه إليه.
* والمتواصلين فيَّ: يصِل بعضهم بعضًا في طاعتي، وابتغاء مرضاتي، لا من أجل مال ومنفعة..
* والمتناصحين فيَّ: لا يسكتون عن منكر رأوه ومخالفة لاحظوها، بل يأمرون وينهون.
* والمتزاورين فيَّ: لا لنفع ولا مصلحة إلا الحب في الله.
* والمتباذلين فيَّ: فيبذل كل منهما ماله ووقته لأخيه متى احتاجه؛ يرجو ثواب الله.

(١) صحيح رواه البخاري ١١/ ٣٤٧، ٣٤٨ رقم الحديث ٧٣٧٥ وهو في مشكاة المصابيح رقم: ٢١٢٩.
(٢) صحيح: أخرجه أحمد والطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك، وصححه عباده بن الصامت، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٣٢١.

عرف ربه الودود مَن تودَّد إلى مَن يحب الله، وتقرَّب إلى من قرَّبه حبيبه.

٥- الزهد في الدنيا

عن أبي العبَّاس **سهل بن سعد الساعدي** رضي الله عنه قال:

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله.. دُلَّني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال:

«ازهد في الدنيا يُحِبُّكَ اللهُ، وازهد في ما عند الناس يحبك الناس»[١].

هذا صحابيٌّ مجهول الاسم لكنه قمة شامخة في ميدان الطموح.. أحب أن يجمع بين الحسنيين، وينال كلا الخيرين، فيجمع بين محبة الله ومحبة الخلق، ومعلوم أن محبة الله وإيثار ما يرضيه قد تؤدي لسخط بعض الناس لفوات لذاتهم وأهوائهم، وهنا سأل الصحابي نبيَّه كيف لا يخسر أيًّا من المحبتين على حساب الأخرى، فأرشده الحبيب كما رأيت.

والزهد في الدنيا يكون باستصغار قدرها والإعراض عَنْهَا بقلبك، وهو أمر شاق لا يقدر عليه إلا أصحاب الهمم وعُشَّاق السباق، والجائزة المنتظرة: «يحبك الله»، وفي هذا إشارة إلى شرف الزهد لعظم ثمرته التي هي محبة الله.

والمراد بحب الدنيا هنا: الوجه المذموم، وهو حبها إيثارًا للشهوة والهوى؛ لأنه يصرِف عن الحق، وأما حبها لفعل الخيرات وإعانة المحتاجين وإغاثة الملهوفين وهداية الضالين وإقامة الدين، فنِعْمَ المحبة هذه المحبة.

وكلما عظم زهد العبد في الدنيا كلما عظمت محبة الله له، ومقامه لديه. قال **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه وهو يرشدنا إلى سِرِّ سبق الصحابة لمن بعدهم من الأجيال:

أنتم أكثر صيامًا، وأكثر صلاة، وأكثر جهادًا من أصحاب النبي ﷺ، وهم كانوا أعظم منكم أجرًا. قالوا: فبم ذلك يا **أبا عبد الرحمن**؟ قال: «كانوا أزهد في الدنيا، وأرغب في الآخرة»[٢].

فليس المهم كثرة الشعائر، بل أثر هذه الشعائر، وليس الهدف حلاوة الظاهر إلا أن تجتمع معها طهارة الباطن، ولو علم أكثر المسلمين مقاصد العبادات؛ لما كان هذا حالنا اليوم، ولما صِرنا في ذيل الأمم.

٦- قوة الإيمان والأبدان

قال النبي ﷺ:

«المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»[٣].

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة. قال الألباني: يتقوى الحديث بغير طريقه وبشواهد خرجتها في، الصحيحة رقم ٩٤٤.
(٢) صفة الصفوة ١/ ١٩٢.
(٣) حسن: رواه أحمد ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٦٦٥٠.

والقوة هنا قوة البدن وقوة النفس، مما يجعل العبد أقوى على القيام بالعبادات من حجٍّ وصوم، وأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر، وغير ذلك من الواجبات.

قال القاضي **عياض**:

«القوة هنا المحمودة يحتمل أنها فى الطاعة، من شدة البدن وصلابة الأسر، فيكون أكثر عملاً، وأطول قيامًا، وأكثر صيامًا وجهادًا وحجًّا. وقد تكون القوة هنا فى المُنَّة (القوة) وعزيمة النفس، فيكون أقدم على العدو فى الجهاد، وأشد عزيمة فى تغيير المناكير، والصبر على إيذاء العدو واحتمال المكروه والمشاق فى ذات الله، أو تكون القوة بالمال والغنى فيكون أكثر نفقة فى سبيل الخير، وأقل ميلاً إلى طلب الدنيا، والحرص على جمع شيء فيها، وكل هذه الوجوه ظاهرة فى القوة»[١].

٧- ثلاث خصال من حُسن الخلق

وهي الصدق والأمانة وحسن الجوار.. وهي ثلاث سكك مختصرة إلى محبة الله، والدليل هذا الحديث:

عن **عبد الرحمن بن أبي قُراد** ﷺ أن النبي ﷺ توضأ يومًا، فجعل أصحابه يتمسَّحون بوضوئه، فقال لهم النبي ﷺ:

«ما يحملكم على هذا؟».

قالوا: حب الله ورسوله، فقال النبي ﷺ:

«من سرَّه أن يُحِبَّ الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله، فليصدق حديثه إذا حدَّث، وليُؤدِّ أمانته إذا أؤتمن، وليحسِن جِوار من جاوره»[٢].

وانظر كيف يلفت النبي ﷺ أنظار الصحابة إلى الأهَمِّ، وإلى التمسك بالجوهر لا المظهر، وإلى أثر العبادة لا شكلها، وإلى المقصد المطلوب من محبة الله ورسوله، لا الشكل فحسب.

٨- التُّقى والغنى والخفاء

لقول النبي ﷺ:

«إن الله يحب العبد التقيَّ الغَنِيَّ الخَفيَّ»[٣].

والتَّقِي: الذي يحافظ على الواجبات ويجتنب المحرمات، ويكون أتقى بمحافظته على النوافل، واجتنابه المكروهات.

(١) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المُسَمَّى إِكمَال المُعْلِمِ بفوائد مُسْلِم ٨/ ١٥٧- القاضي عياض.
(٢) حسن: مشكاة المصابيح رقم: ٤٩٩٠.
(٣) صحيح: رواه مسلم: عن سعد بن أبي وقاص ﷺ، والمراد بـ «الغِنَى» غنى النفس.

والغني: غنيُّ النفس الذي استغنى عن الناس بالله، فلا يسأل الناس شيئًا، ولا يذل نفسه لأحد، كما كان **أحمد بن حنبل**، قال **عبد الله بن أحمد بن حنبل**:

«كنتُ أسمع أبي كثيرًا يقول في دُبُر الصلاة: اللهم كما صُنْتَ وجهي عن السجود لغيرك؛ صُنْه عن المسألة لغيرك»[(١)].

والخفي: المخلص الذي لا يهتم بظهوره وذيوع خبره عند الناس، ولا أن يُشارَ إليه بالبنان، أو يُسهِب الناس عنه الكلام، وليس معنى هذا أن يتقوقع في بيته ويعتزل، بل معناه أن يستوي في قلبه الظهور والخفاء، وخمول الذكر والشهرة.

٩- أن تؤثر الله على ما تحب

من آثر الله على ما يحب؛ آثره الله بما يحب.

والدليل:

حديث رسول الله ﷺ:

«ثلاثةٌ يحبُّهم الله عز وجل، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم:

الذي إذا انكَشَفتْ فئةٌ؛ قاتل وراءَها بنفسِه لله عزَّ وجل، فإمّا أنْ يُقتلَ، وإمّا أن يَنصُرَه اللهُ ويكفِيَه، فيقول اللهُ: انظروا إلى عبدي، كيف صَبَرَ لي نفسَه؟!

والذي له امرأة حسناء، وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوتَه، فيذكُرني ويناجيني، ولو شاءَ رقَدَ.

والذِي يكون في سَفَرٍ، وكان معه ركْبٌ؛ فسهِرُوا ونصِبُوا ثمَّ هَجَعوا، فقامَ من السَّحرِ في سرّاءَ أو ضرّاءَ»[(٢)].

من آثر ربه على راحته، على شهوته، على حياته؛ فاز بأعظم المكافآت، وما قيمة هذه المكافأة: (يضحك إليهم)؟!

اسمع تفاصيلها على لسان نبيك:

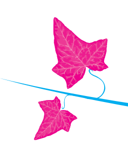
«...، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطنٍ فلا حساب عليه»[(٣)].

---

(١) صفة الصفوة ١/ ٤٨٤.
(٢) صحيح: أخرجه الحاكم ١/ ٢٥ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٤٧١ كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٤٧٨.
(٣) صحيح: رواه أحمد والطبراني عن نعيم بن همار كما في صحيح الجامع رقم: ١١٠٧.

ما عرف ربه الودود مَن تلذَّذ بقرب المخلوق عن قُربه من الخالق.





الآية الفاضحة في سورة الفاضحة..

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

والآية تعرض هنا إلى كل أنواع العلاقات الإنسانية الممكنة، وتقول إن الثبات على الإيمان قد يجر الإنسان إلى هجر الآباء والإخوان الكافرين إذا عادَوْنا في الدين.

أو هجر الأبناء والأزواج والعشيرة الذين يألف المرء العيش بينهم، وقد يُقعِده ذلك عن الجهاد.

أو هجر الأموال والتجارة التي تصد عن الغزو أو الإنفاق في سبيل الله.

أو هجر المساكن والأوطان التي يألف المرء الإقامة فيها، فيصُدُّه التعلق بها عن الغزو.

فإذا حصل التعارض بين ما أراد الله وما أراد العبد؛ وجب على العبد إيثار مراد الله وإرضاء ربه، وهذه علامة محبته الأصلية التي لا زيف فيها.

وقد أفاد التعبير بكلمة ﴿أَحَبَّ﴾ التنافس بين المحبتين مما يقتضي إرضاء أعظم المحبوبين، وفيه تحذير من التهاون في واجبات الدين، وتنبيه على ما يؤول إليه في النهاية، وهو الفسق، وفيه تهديد مباشر؛ لأن المراد ترقُّب الشر وانتظاره، وهو المراد بقوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾..

الأمر الذي يظهر به سوء عاقبتكم بسبب إيثاركم محبة غير الله على محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله.

وجاءت كلمة (الأمر) مبهمة، فلم يحدِّد هنا ما هو هذا الأمر؟! والمقصود من هذا الإبهام: التهويل؛ لتذهب نفوس المهدَّدين كل مذهبٍ محتمل، فأمر الله هنا يحتمل أن يكون عذابًا شديدًا أو عقابًا أليمًا، أو نحو ذلك.

وجملة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ تهديد آخر بأن كل من آثر غير الله على الله قد تحقق فسقه.

قال **النسفي**:

«والآية تنعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين؛ إذ لا تجد عند أورع الناس ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والأموال والحظوظ»[١].

وقد قال الإمام **البيضاوي** منبِّهًا على خطورة هذه الآية:

«وفي الآية تشديدٌ عظيمٌ، وقلَّ من يتخلص منه»[٢].

(١) تفسير النسفي ص ٦٧٢.
(٢) تفسير البيضاوي ٣/ ٧٦.

عرف ربه الودود مَن تأسَّف إن فاتته فرصة للقرب منه، والتودد له.



خامسًا: قِسْ منسوب محبة الله في قلبك

العلامة الأولى: حُبُّ لقاء الله

قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله؛ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ»[1].

فأول دلائل المحبة أن يحب العبد أن يلقى الله، ولا يتمنى تأخير هذا اللقاء إلا ليتهيأ له، فيقابل محبوبه على أحسن حال، وعلامةُ ذلك في الدنيا أنه دائبُ الخدمة، عظيم النشاط في القيام بما يحب حبيبه.

قال في التنوير:

«والذي يُحبِّب إلى العبد لقاء مولاه: حسن ظنه فيه، وأنه يخرجه إلى دارٍ خيرٍ من داره، وأهلٍ خيرٍ من أهله، وحسن الظن يجلبه حُسْن العمل، ومعرفة كرم الله وعفوه وغفرانه، ومحبة الله لقاء العبد: إفاضة الخيرات عليه وأنواع الهبات»[2].

وما أجمل ما لمح **ابن مسعود**!، فقال:

«ما من أحد بر ولا فاجر إلا والموت خير له؛ لأنه إن كان برًّا فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وإن كان فاجرا فقد قال الله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾»[3].

العلامة الثانية: أن يكون مستهترًا بذكر الله

«مستهترًا» يعني: لا يفتر لسانه عن ذكر الله[4]، فمن أحب شيئًا أكثرَ من ذكره؛ ولذا فهو كثير الذكر لله تعالى، وهي علامة محبة، وخاصة عند الشدائد أو الحروب؛ ولذا كان بعض الشعراء في الجاهلية إذا أرادوا إظهار إخلاص محبتهم، ذكرها في الحرب عند احتدام القتال، فقال **عنترة بن شداد**:

وَلَقَـد ذَكَرْتُـكِ والرِّمَــاحُ نَواهِلٌ ... مِنّي وبيضُ الهند تَقْطُرُ من دَمي

فهو يتفاخر بذكر محبوبته عند احتدام القتال، والله عز وجل أمرنا فقال:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

---

(١) متفق عليه: البخاري رقم: ٦٥٠٧، ومسلم رقم: ٢٦٨٣ من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه.
(٢) التَّنويرُ شَرحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ ١٠/ ٣٣ - دار السلام بالرياض.
(٣) تفسير القرطبي ٤/ ٢٨٧.
(٤) وأصل «الاسْتِهْتارِ»: الوُلوعُ بالشيء والإفراط فيه حتى كأنه أُهْتِرَ أَي خَرِفَ. يقال: «اسْتُهْتِرَ بأَمر كذا وكذا» أَي: أُولِعَ به لا يتحدّثُ بغيره، ولا يفعلُ غيرَه.

ما عرف ربه الودود مَن لم يتأسَّف لبعده عنه، ولم يؤلمه فوات حظه منه.



وذكر الله أَوْلى من ذكر المحبوبة، فهو الذي خلق، وهو الذي رزق، وهو الذي هدى، وهو الذي أحسن، وهو الذي أنعم، وهو الذي لطف، وهو الذي غفر، وهو الذي ستر، وهو الذي أعطى، فكيف لا نذكره في كل حال؟!

وذكر الله عند القتال ن أعظم علامات المحبة؛ لأن الإنسان في حال الخوف ينسى كل شيء، ويصبح همُّه إنقاذ نفسه من الموت، فإذا ذكر الله على تلك الحال؛ دلَّ على أن محبة الله مغروسة في القلب، وأنها سجِيَّة وغير متكلَّفة.

العلامة الثالثة: أن يكون أُنسُه بالخلوة مع مولاه

أن يأنس بمناجاة الله تعالى، وأن يخلو به، وخاصة في الثلث الأخير من الليل الذي يتنزل الله فيه إلى السماء الدنيا، وهذه من أهم علامات محبته..

أما أن يكون أنسه وخلوته بالناس والطعام، والشراب والنوم، والشهوات والملذات، فأين أنسه بربه؟ وخلوته به؟ ومناجاته له؟ ودعاؤه وذكره؟

قال تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] يعني: انقطع إليه انقطاعًا، ومنه سُمِّيَت مريم البتول؛ لانقطاعها إلى الله تعالى.

قال **أبو حامد الغزالي**:

«ومهما أنس بغير الله، كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشًا من الله، ساقطا عن درجة محبته»[1].

وكلما استأنستَ بالخلق استوحشتَ من الخالق، ومن استأنس بالموجود، واستوحش من (الودود) كان ساقطًا في اختبار المحبة.

العلامة الرابعة: أن يكون أسفه على ما فاته من الله، أعظم من أسفه على ما فاته من دنياه

أتى **ميمون بن مهران** المسجد، فقيل له: إن الناس قد انصرفوا، فقال:

«إنا لله وإنا إليه راجعون! لفضل هذه الصلاة أحب إليَّ من ولاية العراق»[2].

فقد رأى الناس منصرفين عن صلاة النافلة، فأخبرهم بأن هذه الصلاة أحب إليه من ولاية العراق؛ لأنه محب صادق، وموقن واثق، ولم لا؟! وقد تعلم هذا الدرس من رسول الله ﷺ الذي مرَّ مع أصحابه على

---

(١) الإحياء ٤/ ٣٣٣.
(٢) الإحياء ١/ ١٤٩.



مقبرة، فقال:

«ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا -يشير إلى قبر- في عمله أحب إليه من بقية دنياكم»(١).

وأكثر الناس يسبحون بعيدًا عن شاطئ المحبة وهم لا يشعرون! قال **حاتم الأصم**:

«فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشر آلاف؛ لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا»(٢).

العلامة الخامسة: التلذذ بالطاعة، وعدم استثقالها

إن المحب لمن يحب مطيع!

وفي محبة الحبيب لحبيبته.. يتعب لها ويمشي من أجلها، ويسهر في وصالها، ويكون أسعد ما يكون إذا سعى في حاجاتها، وأنفق عليها لتحقيق آمالها، ومع ذلك لا يشعر بأدنى تعب أو مشقة، بل يستعذب ذلك كله من أجلها، فما بالك إذا أحببت من أمدَّك بما ينفعك، وأرشدك إلى ما يصلحك، ولطف بك في كل ما نزل بك، وهو الودود صاحب البِرِّ والجود؟!

لذا يتنعم العبد بالطاعة ولا يستثقلها، ويسقط عنه تعبُها؛ ومن هنا كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فلا يشعر بألم لحلاوة اتصاله بمولاه.

العلامة السادسة: أن يغضب لحبيبه

يؤلم المُحبَّ أن يرى المخالفات تقع في حق محبوبه، فإن رأيت من يشتم حبيبًا لك أو يسيء إليه، فإنك تثور من أجله وتقوم له، فكيف لا تقوم لله مثل هذه القومة؟! وكيف ترى المنكر فلا تزيله أو -إن لم تقدر على إزالته- تزول عنه.

العلامة السابعة: أن تحب ما يحب

تبلغ المحبة ببعض الناس أن يحب أحدهم امرأة ويهواها هوى شديدًا، حتى تجد قلبه متعلِّقًا بكل ما يختص بها، فتجده يحب ثوبها ومتاعها، وحتى حذاءها، وتجد بعضهم قد فقد عقله في أشعاره؛ حتى قال:

أحبُّ لحبِّها السودان حتى ... أحبُّ لحبِّها ســود الكلاب

وهذا قول بشَر في بشَر! وقد تنقلب المحبة بينهما عداوة، ويتغير قلب الحبيب تجاهك لتجد نفسك في مواجهة حقود حسود! فكيف محبتك لله الودود؟!

(١) صحيح: رواه ابن صاعد في الزهد كما في السلسلة الصحيحة رقم: ١٣٨٨.
(٢) الإحياء ١/ ١٤٩.

ما عرف ربه مَن أدى العبادات بغير روح حتى صارت عبئًا عليه، وحِملاً ثقيلاً.







وانظر إلى **أنس بن مالك** رضي الله عنه وهو يقول:

«فأنا أحب الدُّبَّاء كثيرًا»، والدُّبَّاء هي القرع، فلماذا كان يحب أنس الدُّبَّاء؟! لأن رسول ﷺ كان يحبها! وهي مسألة ليست مطلوبة شرعًا، ولا من سنن العبادات؛ بل من سنن العادات، لكن وصلت محبة الصحابي للنبي ﷺ إلى هذه المنزلة.

ومحبة الله المطلوبة هنا تقتضي إيثاره بشيئين:

فعل ما يُحِبُّ الله، ولو كانت النفس تكرهه، وترك ما يكره، ولو كانت نفسك تحبه.

وهما الخصلتان اللتان أوصى بهما **جعفر بن محمد جعفر الصادق** صاحبه **سفيان الثوري**، وبشَّره إن عمل بهما بالجنة، فقال له:

يا **سفيان**، خصلتان من عمل بها دخل الجنة.

قال **سفيان**: وما هما؟

قال: «احتمال ما تكره إذا أحبه الله، وترك ما تحب إذا كرهه الله، اعمل بهما وأنا شريكك»[1].



وقل لي بِرَبِّك: ماذا تركت لأجل ربِّك؟!

تهجر أصحابك أيام الامتحانات من أجل التفوق، وأما أن تهجر صحبة السوء لتتفوق في امتحان الآخرة ومن أجل الله، فلا وألف لا.

تهجر السجائر من أجل أزمة قلبية كادت أن تُهلِكك، أما أن تهجرها من أجل النجاة في الآخرة ولمرضاة ربك، فلا!

ثم تدَّعي المحبة وتتغنى بأشعار الأحِبَّة!



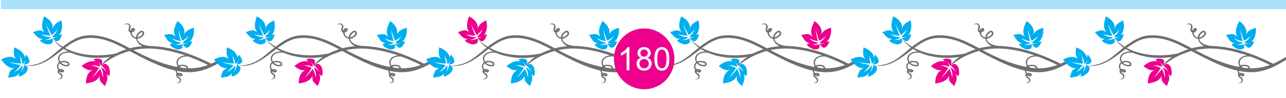
السادس: فادعوه بها عبادة وعملا

الواجب الأول: محبة الخير للخلق والإحسان إليهم

الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخَلْق، فلا يقال: هذا يحب فلانًا وهو يكره له الخير، أو لا يساعده في ما يصلحه، أو لا يفرح له في السراء، أو يقاطعه أو يهجره.

(١) ملتقط الحكايات ص ٢٥٠ - ابن الجوزي- سلسلة إصدارات الحكمة.

عرف ربه الودود مَن تودَّد إلى خلقه، وأحسن إلى عياله.





الواجب الثاني: الإنعام على سبيل الابتداء

قال الإمام **الغزالي** في اسم الودود:

«وهو قريب من معنى الرحيم، لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم، والمرحوم هو المحتاج والمضطر، وأفعال الرحيم تستدعي مرحومًا ضعيفًا، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود»[1].

يعني: لا بُدَّ أن يكون هذا المرحوم مستحقًّا للرحمة، يعني ضعيفًا، تريد أن ترحمه بمال تواسيه به، أو بموقف تقف فيه إلى جواره، أو أن تنجز له مصلحة، أو تخفف عنه عبئًا.

أما الودود فإنه لا يستدعي مودودًا ضعيفًا، بمعنى أن الودود يَودّ الناس كلَّهم استحقوا أو لم يستحقوا، محتاجين أو غير محتاجين، ضعفاء أو أقوياء.

الواجب الثالث: تودَّد إلى الودود بأحب كلامه إليه

فما أحب الكلام إلى الله؟!

عن **أبي ذرٍ** رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ:

«ألا أخبرك بأحبِّ الكلام إلى الله؟ إن أحبَّ الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»[2].

سابعًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

«اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ. اللهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمِنَ المَاءِ الْبَارِدِ».

أسألك باسمك الودود..

يا من تتودَّد إلى من يؤذيك، نسألك العون والإحسان لمن يؤذَى فيك.

أسألك باسمك الودود..

لا تعجل على المذنبين.

(١) المقصد الأسنى للإمام أبي حامد الغزالي ص ١٠٩.
(٢) صحيح: رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي ذر كما في صحيح الجامع رقم: ١٧٤.





أسألك باسمك الودود..

لا تبتعِد عن المُعرِضين..

أسألك باسمك الودود..

ألقِ علينا مودة من عندك تجعلنا بها من عبادك المقرَّبين.



ثامنًا: حاسِبْ نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائما	أحيانًا	نادرًا
١	هل لك ورد ثابت منتظم من النافلة كقيام الليل والصيام؟			
٢	هل تذكر الودود بقدر حبك له؟			
٣	هل تخلو به ليلاً خاصة في الأسحار؟			
٤	هل تغضب لمحارم الله إذا انتهكت؟			
٥	هل تبتدئ بالمودة غيرك؟			
٦	هل لك أخ تحبه في الله، وتزوره في الله، وتتناصح معه في الله؟			

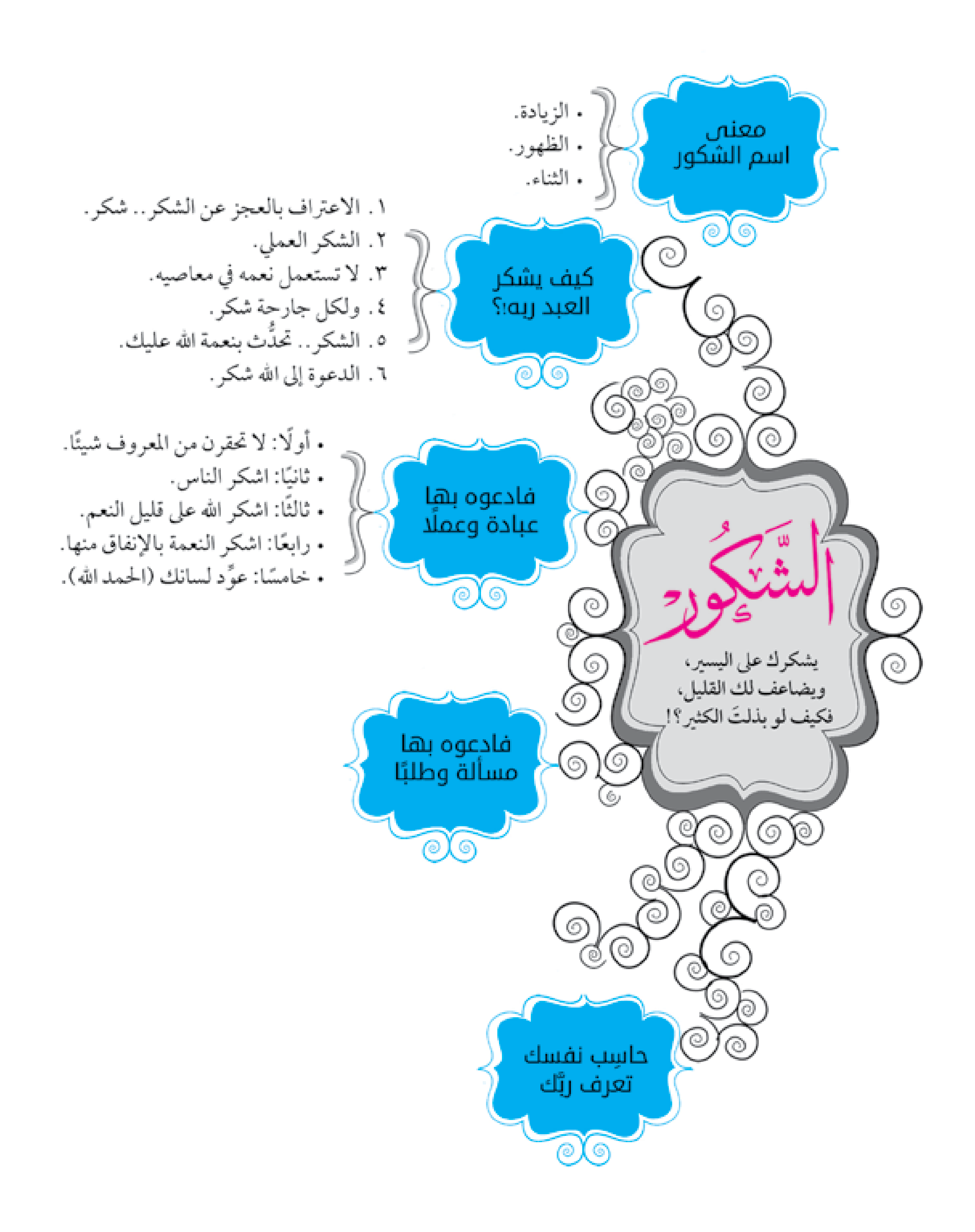
عرف ربه الودود من تعرَّض لوُدِّه في الخلوات وناجاه في الظلمات.

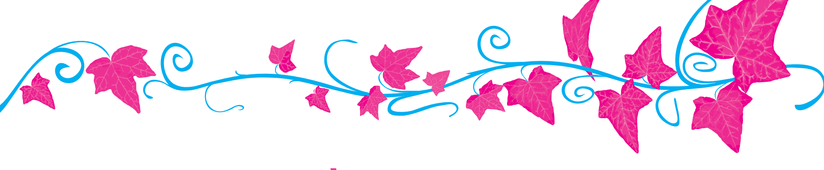


يشكرك على اليسير، ويضاعف لك القليل،
فكيف لو بذلت الكثير؟!

الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ولا يضيع أجر من أحسن عملا، بل يضاعفه بغير حساب.


الشُّكر
لَئِن شَكَرتُم لَأَزِيدَنَّكُم
1+1=10


الشَّكُورُ
يشكرك على اليسير، ويضاعف لك القليل، فكيف لو بذلتَ الكثير؟!
معنى اسم الشكور
• الزيادة.
• الظهور.
• الثناء.
كيف يشكر العبد ربه؟
١. الاعتراف بالعجز عن الشكر.. شكر.
٢. الشكر العملي.
٣. لا تستعمل نعمه في معاصيه.
٤. ولكل جارحة شكر.
٥. الشكر.. تحدُّث بنعمة الله عليك.
٦. الدعوة إلى الله شكر.
فادعوه بها عبادة وعملًا
• أولًا: لا تحقرن من المعروف شيئًا.
• ثانيًا: اشكر الناس.
• ثالثًا: اشكر الله على قليل النعم.
• رابعًا: اشكر النعمة بالإنفاق منها.
• خامسًا: عوِّد لسانك (الحمد لله).
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسِب نفسك تعرف ربّك





أولاً: معنى اسم الله الشكور

ورد اسم الشكور في القرآن أربع مرات، وورد اسم الشاكر مرتين..

والشكر له ثلاثة معان:

الزيادة والظهور والثناء.

فأما المعنى الأول: الزيادة الظاهرة

فمنه أشكر الضرع: امتلأ لبنًا، والشَّكِرة: الممتلئة الضرع من النوق، والشكور من الدواب: ما يكفيه العلف القليل، فيسمن على قلة العلف، كأنه يشكر وإن كان الإحسان إليه قليلاً.

قال **البيهقي**: «الشكور.. هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعمة، فيرضى باليسير من الشكر»[(١)].

الشكور.. هو من يعطي بالعمل المحدود في أيام الدنيا المعدودة نعيمًا غير محدود في الآخرة.

لقد ضاع عُشر عمرك في الطفولة، وثلث عمرك ذهب في النوم، ونصفه في الطعام والانتظار، والانتقال والواجبات الاجتماعية، فكم تبقى من عمرك لشعائر الله وعبادة ربك؟!

ومع هذا شكر لك هذا العمر الفاني القصير، وكافأك عليه بالثواب الخالد الجزيل! فإن الجنة لا آخر لها مكانًا وزمانًا، والدنيا قطرة بحر فيها.

الشكور يشكرك حتى على نيتك، فيثيبك عليها، وإن لم تعمل إن أعاقك عن العمل عائق.

الشكور يغفر لك بصوم يوم عرفة سنتين، وبصوم يوم عاشوراء سنة واحدة.

الشكور يغفر لك في (لحظة) صدق واحدة ذنوبَ (عمر) كامل.

الشكور ينشر خبر العبد الصالح الذي لا يعرفه إلا من حوله إلى كل من لقيه أو سمع عنه، ويضع له القبول في الأرض، بل وينشر خبره في أهل السماء، فيُحِبُّه ما لا يُحصى عدده من الملائكة فيحبوه.

الشكور يكافئك على صلاة العشاء جماعة بثواب قيام نصف ليلة، وعلى صلاة الفجر جماعة بأجر قيام ليلة كاملة.. صلوات دقائق بقيام ساعات.

(١) الأسماء والصفات ١/ ١٧٨.

عرف ربه الشكور مَن استعان بنعمه على طاعته، ولم يسخِّرها في معاصيه.

الشكور شكر لأصحاب التوحيد ولو كانوا أصحاب الكبائر، فقال رسول الله ﷺ:

«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

وصدق **سليمان التيمي** حين أوجز اسم الله الشكور في عبارة واحدة، فقال:

«إن الله أنعَم على الناس على قَدْرِه، وطلَب منهم الشُّكر على قَدْرِهِم»[1].

خمسة أحاديث

والأحاديث تشهد لهذا:

«بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخَّره، فشكر الله له، فغَفَر له»[2].

ومع المغفرة دخول الجنة كما في حديث **أبي الدرداء** رضي الله عنه:

«من أخرَج من طريق المسلمين شيئًا يؤذيهم، كتب الله له به حسنة، ومن كتب له عنده حسنة، أدخلَه الله بها الجنة»[3].

والحديث الثالث الذي يتجلَّى فيه اسم الشكور:

«بينما كلب يطيف برَكِيَّة (بئر) كاد يقتله العطش إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزَعَت موقها، فاستقَت له به، فغَفَر لها»[4].

وفي الحديث الرابع أن رجلاً جاء بناقة مخطومة إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذه في سبيل الله؛ فقال له ﷺ:

«لك بها سبعمائة ناقة مخطومة في الجنة»[5].

والحديث الخامس: «دينار أنفقتَه في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رقبة، ودينار تصدَّقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك»[6].

شكورٌ يُكافِئ بالمزيد

قال الشيخ **علي الطنطاوي** رحمه الله عن معاملة الشكور لعبده بالمزيد في معرض حديثه عن تلميذ الشيخ

(١) الأسماء والصفات ١/ ١٧٨.
(٢) تاريخ الإسلام ٩/ ١٥٨.
(٣) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٣٠٦.
(٤) صحيح: رواه الشيخان عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٨٧٦ والصحيحة رقم: ٣٠.
(٥) صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود كما في الصحيحة ٦٣٤.
(٦) صحيح: رواه مسلم عن ثوبان حديث رقم: ٩٩٤ - باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم.

ما عرف ربه الشكور مَن استعان بنعمه على ما يغضبه، واستعملها في ما يباعِده عنه.



سليم المسوتي:

«وكان أهل الحي يثقون به، ويرجعون إليه في أمور دينهم، وأمور دنياهم. وكان عند هذا الشيخ تلميذ صالح، وكان مضرب المثل في فقره، وفي إبائه وعزة نفسه، وكان يسكن في غرفة في المسجد.

مرَّ عليه يومان لم يأكل فيهما شيئًا، وليس عنده ما يَطعَمه ولا ما يشتري به طعامًا، فلما جاء اليوم الثالث أحسَّ كأنه مشرف على الموت، وفكَّر ماذا يصنع، فرأى أنه بلغ حدَّ الاضطرار الذي يجوِّز له أكل الميتة أو السرقة بمقدار الحاجة، فآثر أن يسرق ما يقيم صُلبه!

وكان المسجد في حي من الأحياء القديمة، والبيوت فيها متلاصقة والسطوح متصلة، يستطيع المرء أن ينتقل من أول الحي إلى آخره مشيًا على السطوح، فصعد إلى سطح المسجد، وانتقل منه إلى الدار التي تليه، فلمح فيها نساء فغضَّ من بصره وابتعد، ونظر فرأى إلى جنبها دارًا خالية، وشمَّ رائحة الطبخ تصعد منها، فأحس من جوعه لما شمَّها كأنها مغناطيس يجذبه إليها.

وكانت الدور من طبقة واحدة، فقفز قفزتين من السطح إلى الشرفة فصار في الدار، وأسرع إلى المطبخ فكشف غطاء القِدر، فرأى فيها باذنجانًا محشوًّا، فأخذ واحدة ولم يُبالِ من شدة جوعه بسخونتها، وعضَّ منها عضة، فما كاد يبتلعها حتى ارتدَّ إليه عقله ودينه، وقال لنفسه: أعوذ بالله، أنا طالب علم مقيم في المسجد، ثم أقتحم المنازل وأسرق ما فيها؟!

وكبر عليه ما فعل، فندم واستغفر وردَّ الباذنجانة، وعاد من حيث جاء، فنزل إلى المسجد، وقعد في حلقة الشيخ وهو لا يكاد -من شدة الجوع- يفهم ما يسمع، فلما انقضى الدرس وانصرف الناس (وأؤكد لكم أن القصة واقعة) جاءت امرأة مستترة (ولم يكن في تلك الأيام امرأة غير مستترة) فكلَّمت الشيخ بكلام لم يسمعه، فتلفَّت الشيخ حوله فلم يَرَ غيره، فدعاه وقال له: هل أنت متزوج؟ قال: لا.

قال: هل تريد الزواج؟ فسكت، فقال له الشيخ: قل، هل تريد الزواج؟!

قال: يا سيدي، ما عندي ثمن رغيف آكله، فبماذا أتزوج؟!

قال الشيخ: إن هذه المرأة خبَّرتني أن زوجها تُوُفِّي، وأنها غريبة عن هذا البلد، ليس لها فيه ولا في الدنيا إلا عمٌّ عجوز فقير، وقد جاءت به معها (وأشار إليه قاعدًا في ركن الحلقة)، وقد ورِثَت دار زوجها ومعاشه، وهي تحب أن تجد رجلاً يتزوجها على سنة الله ورسوله لئلا تبقى منفردة، فيطمع فيها الأشرار وأولاد الحرام، فهل تريد أن تتزوج بها؟

قال: نعم.

وسألها الشيخ: هل تقبلين به زوجًا؟

عرف ربه الشكور مَن جعل لكل جارحة شكرًا، فشكر الله بلسانه والأهم: بجوارحه.

قالت: نعم.

فدعا بعمها ودعا بشاهدين وعقد العقد، ودفع المهر عن التلميذ، وقال له: خذ بيد زوجتك.

فأخذ بيدها، أو أخذت هي بيده فقادته إلى بيتها، فلما دخلته كشفت عن وجهها، فرأى شبابًا وجمالاً، ورأى البيت هو البيت الذي نزله، وسألته: هل تأكل؟!

قال: نعم.

فكشفت غطاء القِدْر فرأت الباذنجانة، فقالت: عجبًا! من دخل الدار فعضَّها؟

فبكى الرجل وقصَّ عليها الخبر، فقالت له: هذه ثمرة الأمانة، عففتَ عن الباذنجانة الحرام، فأعطاك الله الدار كلَّها وصاحبتَها بالحلال»[1].

المعنى الثاني: الشكر بمعنى الثناء

قال الحليمي:

«الشاكر معناه المادح لمن يطيعه، والمثني عليه، والمثيب له بطاعته فضلاً من نعمته»[2].

والرب إذا أثنى على عبده فقد أثنى على نفسه في الحقيقة؛ لأن أعمالهم من خَلقِه، وهو الذي حبَّبهم فيها وزيَّنها لهم؛ ولذا فمن جميل ما جاء في تعريف الشكر أنه التلذذ بالثناء على من أعطاك ما لا تستحق من العطاء.

وإن كان الذي أُعطِي عطاء فأثنى على من أعطاه شكورًا، فإن الغني الذي أعطى ثم أثنى على الفقير الذي أعطاه هو الأحق بأن يكون شكورًا.

الشكور...

أطلق ألسنة العباد بذكره، ثم مدحهم على فضله! فقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾.

الشكور...

أعطاهم من ماله، ثم أثنى عليهم حين أنفقوه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾

الشكور...

أسبغ على عباده ستره الجميل، ثم أطلق ألسنة الخلق في مدحهم والثناء الجزيل.

(١) فصول في الثقافة والأدب ١/ ١٩، ٢١ - علي الطنطاوي - دار المنارة.
(٢) الأسماء والصفات ١/ ١٧٨.

ما عرف ربه الشكور مَن شكَرَه بلسانه، وعصاه بجوارحه.





وحكمة الشكور في ثنائه على عباده أن لا يستقلُّوا القليل من العمل، وأن تسمع قلوبهم هذا الثناء الرباني؛ فيفجِّر طاقاتهم الكامنة، فيستمر العمل المنقطع، وينمو القليل فيكون كثيرًا.

ثانيًا: كيف يشكر العبد ربه؟!

إن ترك الشكر هو سكَّةٌ مؤدية بالعبد إلى النار، فقد أخبر النبي ﷺ أن النساء أكثر أهل النار؛ لأنهن يكفرن العشير، فإذا كان هذا بترك شكر نعمة الزوج، وهي في الحقيقة نعمة من الله، فكيف بمن ترك شكر نعمة الله؟!

وترك الشكر هو معركة إبليس الرئيسة، فقد أقسم في وعيده بين يدي ربه: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾

وكلما زادت نعم الله عليك قوي كيد الشيطان ومكره..

يعترض الشيطان طريق المؤمنين، فلا يعبر إلى الجنة إلا الشاكرون، وبدون الشكر تتحول العطايا بلايا، والفوائد إلى فوائت..

قال **أبو حازم الأعرج** التابعي الجليل: «كل نعمة لم يشكر الله عليها فهي بَلِيَّة»(١).

ومع هذا فما أيسر شُكْرَ نِعَمِ الله علينا، وما أسهلها على النفس!

عن **عبد الله بن أبي نوح**، قال:

«قال لي رجل على بعض السواحل:

كم عاملته تبارك اسمه بما يكره، فعاملك بما تحب؟

قلتُ: ما أُحصي ذلك كثرةً.

قال: فهل قصدت إليه في أمرِ كربك فخذلك؟

قلت: لا والله، ولكنه أحسن إليَّ فأعانني.

قال: فهل سألته شيئًا قطُّ فأعطاك؟

قلت: وهل منعني شيئًا سألتُه؟ ما سألته شيئًا قط إلا أعطاني، ولا استغثت به إلا أغاثني.

قال: أرأيت لو أن بعض بني آدم فعل بك هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك؟

قلت: ما كنتُ أقدر له على مكافأة ولا جزاء.

(١) الآداب الشرعية ٣/ ٢٣٢.

عرف ربه الشكور مَن شكر نعمة الله عليه، فدعا إلى الله بلسانه وقلبه وحاله.

قال: فربك أحقُّ وأحرى أن تدأب نفسك له في أداء شكر نعمته عليك، وهو المحسن قديمًا وحديثًا إليك؛ والله.. لَشُكْرُه أيسر من مكافأة عباده! إنه تبارك وتعالى رضي بالحمد من العباد شكرًا»[١].

١- الاعتراف بالعجز عن الشكر.. شكر

قال موسى:

«إلهي.. كيف أشكرك وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجازي بها عملي كله؟

قال: فأوحى الله إليه أن يا **موسى**، الآن شكرتني»[٢].

وصدق الشاعر المؤمن:

ولو أن لي في كل عضوٍ وشعرة ... لسانًا يؤدي الشكر لله قصَّـــرا

المتوالية الشكرية

حمد الله عز وجل وشكره على نعمه هو نعمةٌ عظيمةٌ تستوجب حمدًا آخر وشكرًا متجدِّدًا؛ ولذا قال **منصور بن إسماعيل** الفقيه المصري:

شكـــر الإلـــه نعمـــة ... موجبـــــة لشكـــــره

فكيـــف شُكـــري بِـــرَّه ... وشُكـــرُه مِـــنْ بِـــرِّه

فشكر الله نوع من المجاز؛ لأنه مستحيل، فلا يحصي أحدٌ الثناء على الله، وشكره هو نعمة أخرى تستحق الشكر.

ونعمة الشكر نعمة عظمى، بل أجلُّ من نِعَمٍ أخرى كثيرة.

قال **ابن القيم**:

«فنعمة الشكر أجَلُّ من نعمة المال والجاه، والولد والزوجة، ونحوها»[٣].

فمن كان شاكرًا، فليشكر الله على شكره أكثر مما يشكره على داره وماله وزوجه!

واعلم أن ما غاب عنك من نعم الله أكثر كثيرًا مما بدا لك، وقد فطن **أبو الدرداء** رضي الله عنه لهذه النعم الخفية، فقال:

«كم من نعمةٍ لله تعالى في عرقٍ ساكن»[٤].

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٥١١ – ط المكتبة العصرية.
(٢) الزهد لأحمد ١/ ٥٨.
(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ١/ ١٣٢ – ابن قيم الجوزية – دار ابن كثير، دمشق.
(٤) حلية الأولياء ١/ ٢١٠.



فأبو الدرداء هنا يذكِّر الغافل بأنَّ غيره من مرضى السرطان وأصحاب الأمراض المستعصية لم يغمض لهم جفن، ويتقلَّبون على فراش الأوجاع، ويلتحفون أردية الآلام بينما يغط هو في نومه ونعيمه!

وسبب خفاء النعم اعتيادها. قال **أبو قدامة المقدسي**:

«الناس لجهلهم لا يعُدُّون ما يعُمُّ الخلق في جميع أحوالهم نعمة، فلا تراهم يشكرون الله على روح الهواء، ولو أخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا، ولو حبسوا في حمام أو بئر ماتوا غمًّا، فإن ابتُلِيَ أحدهم بشيء من ذلك ثم نجا، قدَّر ذلك نعمة يشكر الله عليها، وهذا غاية الجهل، إذ صار شكرهم موقوفًا على أن تسلب عنهم النعمة، ثم ترد إليهم»[١].

لكن نعمة الدين أجلُّ النعم!

ويستمر **أبو الدرداء** في إضاءة طريق النعم لنا، فيقول:

«من لم يَرَ لله عليه نعمة إلا في مطعمه ومشربه، فقد قلَّ فقهه، وحضر عذابه»[٢].

فأكثر الناس لا ينظر إلا إلى نعمة الملبس والمسكن والمطعم، فيقيم الدنيا ولا يقعدها لخسارة في تجارة أو ضياع ترقية، وهو يخسر دينه يومًا بعد يوم دون أن يطرف له جفن!

وسل نفسك:

كم مرة شكرت الله على طاعة في مقابل شكرك له على مال أو ترقية؟!

هلَّا عملت بوصية **سلام بن أبي مطيع**:

«كُن لنعمة الله عليك في دينك، أشكر منك لنعمة الله عليك في دنياك»[٣].

٢- الشكر العملي

قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾..

فالعمل الصالح أفضل ألوان الشكر، وإلا فما أسهل ادعاء الشكر باللسان!

دُعِيَ **عثمان بن عفان** رضي الله عنه إلى قوم على ريبة، فانطلق ليأخذهم، فتفرقوا قبل أن يبلغهم، فأعتق رقبة شكرًا لله أن لا يكون جرى على يديه خِزْيُ مسلم[٤].

فلاحِظ كيف رأى **عثمان** رضي الله عنه أن الشكر عمل، فأعتق رقبة! وما هذا إلا لفهمه عن ربه الشكور.

(١) مختصر منهاج القاصدين ١/ ٢٨٨ بتصرف يسير.
(٢) حلية الأولياء ٥/ ١٣٣.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ١٨٨.
(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لأحمد ١/ ١٣٤.

عرف ربه الشكور مَن شكر الخلق على أقل إحسان وأدنى إجادة تشجيعًا وشكرًا.

٣- لا تستعمل نِعَمَه في معاصيه

قال **الجنيد** وقد سُئِل عن حقيقة الشكر:

«ألَّا يُستعان بشيء من نعمه على معاصيه»[١].

ومن هنا ما قلَّب **عمر بن عبد العزيز** بصره إلى نعمة أنعم الله بها عليه إلَّا قال داعيًا:

«اللهم إني أعوذ بك أن أُبدِّل نعمتك كفرًا، أو أكفرها بعد معرفتها، أو أنساها فلا أُثني عليك بها»[٢].

٤- ولكل جارحة شكر

قال رجلٌ **لأبي حازم**: ما شكرُ العينين يا **أبا حازم**؟

قال: إن رأيتَ بهما خيرًا أعلنته، وان رأيت بهما شرًّا سترته.

قال: فما شكر الأذنين؟!

قال: إن سمعت بهما خيرًّا وعيته، وإن سمعت بهما شرًّا دفعته.

قال: فما شكر اليدين؟

قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقًّا لله هو فيهما.

قال: فما شكر البطن؟!

قال: أن يكون أسفله طعامًا، وأعلاه علمًا.

قال: فما شكر الفرج؟!

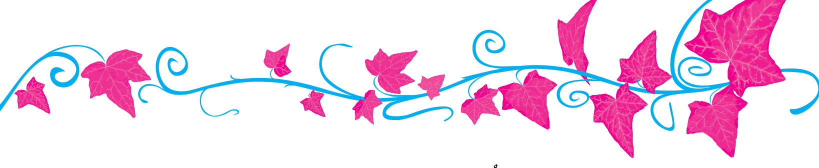
قال: قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾

قال: فما شكر الرجلين؟!

قال: إن علمت ميتًا تغبطه استعملت بهما عمله، وإن مقتَّه رغبت عن عمله، وأنت شاكر لله»[٣].

وبنفس الطريق تعلم أن شكر اللسان بكثرة الذكر، وحسن الثناء على الله، وجميل التحدث بنعمه والغرق في إحصائها؛ لأنه كما مر في معنى الشكر أنه الكشف والإظهار، فيقال مثلاً: شكَر الرجل إذا كشف عن ثغره فأظهره، فيكون إظهار الشكر وكشفه باللسان.

(١) حلية الأولياء ١٣/ ٢٦٨.
(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٦.
(٣) عدة الصابرين ١/ ١٣٤.



٥- الشكر تحدُّث بنعمة الله عليك

والإخبار بالنعمة هو لونٌ من ألوان الشكر، فقد مرَّ بك أن من معاني الشكر: الظهور، وفي الحديث:

«من أُبْلِي بَلاءً فذَكَرَه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره»[١].

«من أُبلِيَ بلاءً» أي من أُنعِم عليه بنعمة، والبلاء يُستَعْمل في الخير والشر، فمن ذكر نعمة الله بعقله ولسانه فقد شكر نعم الله عليه، إذ أن من شكر النعم الاعتراف بها باللسان، ومن كتم البلاء أي النعمة وغطاها، فقد كفره، فالتحدث بالنعم هنا على جهة الاعتراف والافتقار لا الافتخار، وهو لون من ألوان الشكر.

قال رسول الله ﷺ:

«التحدث بنعمة الله شُكْر، وتركها كُفْر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير»[٢].

٦- الدعوة إلى الله شكر

والقول الثاني في الشكر اللساني:

«أن التحدث بالنعمة المأمور به في هذه الآية: هو الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته، وتعليم الأمة. قال مجاهد: هي النبوة.

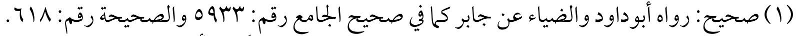
قال **الزجاج**: أي بلغ ما أرسلت به، وحدِّث بالنبوة التي آتاك الله.

وقال **الكلبي**: هو القرآن. أمره أن يقرأه.

والصواب: أنه يعُمُّ النوعين، إذ كل منهما نعمة مأمورٌ بشكرها والتحدث بها، وإظهارها من شكرها»[٣].

الفارق بين عطاء الإنسان وعطاء الرحمن

- الإنسان يعطي لغَرَض ومصلحة، والله لا يعود له نفع من عطائك حاشاه..
- الإنسان لو احتاج عطاءه لن يؤثرك به، والله لا يحتاج لشيء..
- الإنسان إن لم تصل إليه فلن تصل لعطائه، والله تسير إليه بقلبك، وتصل له بروحك في أي وقت شئت.



(١) صحيح: رواه أبوداود والضياء عن جابر كما في صحيح الجامع رقم: ٥٩٣٣ والصحيحة رقم: ٦١٨.
(٢) حسن: رواه البيهقي في شعب الإيمان عن النعمان بن بشير، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم: ٣٠١٤، والسلسلة الصحيحة رقم: ٦٦٧.
(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢٣٩.



- الإنسان على أبوابه الحُجّاب والحرس، والله ليس على بابه حاجب أو لا حارس.. تصلي فتدخل عليه!
- الإنسان عطاؤه متعلِّقٌ برضاه وسخطه، فيعطي من رضي عنه، ولا يعطي من سخط عليه، لكن الخالق يصبر على أذى المخلوق وإن ادَّعوا له الصاحبة والولد، وكم عاملتَه بما يكره، فعامَلَك بما تُحِبُّ... سبحان ربي الشكور.



ثالثًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

١) لا تحقرن من المعروف شيئًا

فقد أمرك النبي ﷺ بأن تتقي النار ولو بشق تمرة، وأخبرك أنه غفر لرجل أماط جذع شجرة عن الطريق، وغفَر لامرأة بغِيٍّ من بغايا بني إسرائيل؛ لأنها سقت كلبًا، وأمرنا أن لا نحقِر من المعروف شيئًا، «ولو أن تَهَبَ صِلَةَ الحبلِ، ولو أن تُفرِغَ من دَلوِكِ في إناءِ المستقِي، ولو أن تلقَى أخاك المسلمَ ووجهُك بسطٌ إليه، ولو أن تؤنِس الوَحشان بنفسك، ولو أن تهَبَ الشِّسعَ»[١].

وهي كلها أعمال لا تكاد تُذكر، لكن الشكور جعلها سببًا للنجاة والفوز، وهي تربية نفسية ربانية، فلا تدري أين الخير، وتذكَّر أن حساب غدٍ بمثاقيل الذر، فلا تزهد في ذرة خير، فلعلها تنجيك، وترجِّح كفة ميزانك يوم تفر من أمك وأبيك.

لا تحقــرنَّ صنيــع الخيــــر تفعله	ولا صغيرَ فعالِ الشـــرِّ مــن صِغَره
فلو رأيتَ الذي استصغرتَ من حَسَنٍ	عند الثواب أطلتَ العُجْبَ من كِبَـره

ولا تحتقر معروفًا تصنعه، فإن الشكور يعاجل بمكافأتك عليه وإن لم تشعر، وممن شعر بهد المكافأة: رجلٌ ربانيٌّ قصَّ خبره الشيخ **الشنقيطي**، فقال الشيخ **محمد المختار الشنقيطي**:

«وأذكر حادثة قصَّها رجل من أصدقاء الوالد غريبة جدًّا، وسمعته بأذني يحكيها للوالد رحمة الله عليهما، فقد تُوُفِّيا، يقول هذا الرجل -أحسبه من الأخيار والصالحين، وهو رجل كان أميرًا في قومه- أنه كان نازلاً من الطائف إلى مكة في يوم الجمعة، وكان معه ابنه، فأراد الله عز وجل أنه رأى رجلاً ضعيفًا، فقال لابنه: قِف لهذا الضعيف، فكأن الابن رأى رثاثة حال هذا الضعيف، وما هو عليه من الملبس الرثِّ، فكره أن يركب معه في هذه السيارة الفارهة.

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني عن أبي أيوب كما في صحيح الجامع رقم: ٢١٤٤.

ما عرف ربه الشكور من فرَّط بسهولة في فُرص المعروف وسوانح الخير.



يقول الوالد:

فعلِمتُ ما في نفس ابني، فلما ركب الرجل ذكَّرتُ ابني بصنائع المعروف، وأن الله يقي بها مصارع السوء، وأن الله يحفظ بها، وأن الله يلطف بها، فلما دخلنا إلى مكة، ونحن في أشد ما تكون السيارة في السرعة لندرك الجمعة، وإذا بِطِفلٍ أمام السيارة تمامًا لا نستطيع أن نفِرَّ منه، فمرَّت عليه السيارة، فأصابه شيء من الرعب، فتوقفنا على أن الابن قد قضى ومات، وإذا به قائم على رجليه ليس به أي بأس.

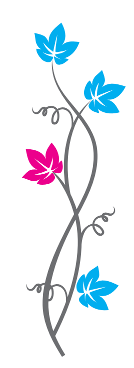
يقول: فلما ركبت السيارة، انكفأت على وجهي، وأنا في حالة لا يعلمها إلا الله، قلت: يا بني، والله ما أعرف لك إلا هذا المعروف الذي فعلته، فحفِظَنا الله وإياك به».

٢) اشكر الناس

يقول الإمام **ابن القيم**: «ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة، كان أحبَّ خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطَّلها، واتصف بضِدِّها.

وهذا شأن أسمائه الحسنى، أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها، ولهذا يبغض: الكفور، والظالم، والجاهل، والقاسي القلب، والبخيل، والجبان، والمهين، واللئيم.

وهو سبحانه جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، جواد يحب أهل الجود، ستار يحب أهل الستر، قادر يلوم على العجز، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو ما يضادها وينافيها»[١].



وإن للناس أحاسيس ومشاعر، تؤثِّر فيهم الكلمة الطيبة، ويحتاجون الثناء الصادق والشكر الفائق، فعلى المدير الناجح أن يشكر الموظف المتميز، فإن الناس ينشطون بالشكر، والنفس البشرية تتعطَّش للثناء، والناس جوعى تُشبِعهم الكلمة، وكم من عاملٍ أهمل في عمله بسبب غفلة مديره عن ملاحظته والثناء عليه، وليس من شيء يقتل الطموح مثل كثرة التأنيب والعتاب، فشكر الناس على المعروف الذي يبذلونه من أهمِّ الحوافز المؤثرة، ومن سمات القيادة الناجحة؛ ولهذا أذن الله به لما فيه من بث الألفة بين الناس، فقال رسول الله ﷺ:

«أشكرُ الناس لله أشكرهم للناس»[٢].

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ٣٣٧.
(٢) صحيح: رواه أحمد والطبراني والبيهقي عن الأشعث بن قيس، والطبراني والبيهقي عن أسامة بن زيد كما في صحيح الجامع رقم: ١٠٠٨، والسلسلة الصحيحة رقم: ١٤٥٨.

عرف ربه الشكور من لم يستصغِر حسنة ولم يحتقِر معروفًا.

فلا تكتمل أخلاق المؤمن بحسن علاقته بربه فحسب، وإنما بأن يكون في نفس المستوى في التعامل مع الناس.

وحين ظنَّ المهاجرون أن الأنصار ذهبوا بالأجر كلَّه لما جادوا بأموالهم؛ كشف لهم رسول الله ﷺ عن باب من أبواب الخير يقرِّبهم من نفس أجر الأنصار، فعن **أنس** رضي الله عنه أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله، ذهبت الأنصار بالأجر كله. قال:

«لا.. ما دعوتُم الله لهم، وأثنيتم عليهم»[(١)].

فعلَّمهم أن يكافئوا المحسن بالدعاء له أو الثناء عليه، وليس أمام الفقير المعدم الذي لا يملك المال من وسيلةٍ لمكافأة المحسن غير هاتين.

وحين اقترض رسول الله ﷺ من **عبد الله بن أبي رَبيعة المخزومي** قبل حُنَين ردَّ إليه القرض بعد الغزوة، وقال له:

«بارَك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السَّلف الوفاء والحمد»[(٢)].

وكلمة شكر وعبارة حمد لن يخسر قائلها شيئًا، ولا تُكلِّفه جهدًا، ولكنها تعود عليه بكسب وُدِّ المحسن، وتأليف قلبه، وتحريضه على مزيد الخير، وحتى الإدارة الحديثة التفتت إلى أهمية هذا، فترى كتاب (مدير الدقيقة الواحدة One minute manager) يشير إلى ضرورة اهتمام المدير بدقيقة واحدة، يثني فيها خيرًا على الفعل الحسن من الموظف مع إظهار ما أجادوا فيه ليكرِّروه.

ولقد كانت المكافأة بالسوء مستنكرة حتى مع البهائم، فحينما فرَّت امرأة من المسلمين من العدو على ناقة مسلوبة كانت لرسول الله ﷺ؛ نذَرت إن وصلت إلى المدينة ناجية أن تنحرها، فلما ذُكر ذلك لرسول الله ﷺ قال بحِسِّه الإنساني الرائع ورحمته الشاملة:

«بِئْسما جزَيْتِها، أو بِئْسما جزتْها، إنِ الله نجَّاها لتنْحَرَنَّها! لا وفاء لِنَذْرٍ في معصية الله، ولا في ما لا يملِك ابن آدم»[(٣)].

ومنعها من نحرها لهذا السبب.

٣) اشكر الله على قليل النعم

فلا يشكُرُ الله على الكثيرِ من قصَّر في شُكرِ القليلِ.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي كما في مشكاة المصابيح رقم: ٣٠٢٦ وأورده الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم: ٢١٧.
(٢) مسند أحمد ٤/ ٣٦، ورواه النسائي وابن ماجة وابن السني وسنده جيد.
(٣) صحيح: رواه الدارمي في مسنده المعروف باسم سنن الدارمي رقم: ٢٥٤٧.



ومن لم يحمد الله على الماء البارد، لن يحمده على البيت الآمن، والزوجة المؤنسة، والمركبة الفارهة، والصحة والعافية.

ومن لا يشكر الله على الخبزِ الساخن، لا يشكرهُ على الوجباتِ الشَّهيَّة؛ لأنَّ الكنُود الجحُود يرى القليل والكثير سواءً، وهذه طبيعة الإنسان بصورة عامة ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾، فهو فصيحٌ في بسط الشكوى، وأعجمي في التحدُّث بالنِّعم!

٤) اشكر النعمة بالإنفاق منها

كل نعمة أنعم الله بها عليك شكرها بالإنفاق منها على من حولك، وكلنا ذو نِعم، لكنها تخفى على بعضنا.

فصاحب المال يتصدق منه.

وصاحب الجاه والسلطان يسعى بعلاقاته في قضاء حوائج الناس والشفاعة فيهم.

وصاحب القوة يحمل بذراعيه الضعيف المحتاج.

والعالم ينفق من علمه بتعليمه.

وهكذا مع كل نعمة بما يناسبها.

٥) عوِّد لسانك (الحمد الله)

وكثرة ذكر الشكور باللسان، وذلك في جميع الأحوال، ويستوي في ذلك السراء والضراء، وعندها ستجد أحلى الطعم والأثر على قلبك، ولك خير أسوة في نبينا ﷺ:

«كان إذا أتاه الأمر يَسُرُّه قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: الحمد لله على كل حال»[١].

وما أروع قول **محمود الورَّاق!**، وقد احتار بين ثواب شكرة وثواب صبره، فانطلق مُنشِدًا:

عطيَّتُـه إذا أعطــى ســـرورٌ ... وإن أخَــذَ الذي أعطــى أثابا

فأيُّ النِّعمتيـن أعَــمُّ فضلاً ... وأكــرَمَ فــي عواقبها إيابــا

أنعْمَتُه التـــي أهدت ســـرورًا ... أم الأُخرى التي أهْدَت ثوابا؟!

بل الأُخرى التي نَــزَلَتْ بِكُرْهٍ ... أحقُّ بِصَبْرِ مَن صَبَر احتسابا

(١) صحيح: رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة والحاكم عن عائشة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٦٤٠ والكلم الطيب رقم: ١٣٩.

عرف ربه الشكور من عوَّد لسانه (الحمد لله) في كل الأحوال.



٦) لا تعامل إلا الشكور

فهو الذي يعطيك أعلى الأرباح بِلُغَة التجار، فهل هناك من يعطيك أكثر؟!

فكيف تجرِّب أرباح التعامل مع الشكور ثم تفارقه لغيره؟! فإياك أن تشرك مع الشكور أحدًا في الدعاء أو الثناء، وقد يتأخر عطاؤه حينًا؛ ليختبر صدقك في الطلب وإخلاصك له، فإياك أن تفشل في اختبار المنع فتُحرَم العطاء، فإنك تعامل الرب الشكور المعطاء.

وفي أسلوب القرآن إعجازٌ بياني وعظمة، وروعة كفيلة بأن تغريك بمداومة معاملة الشكور بالشكر الجزيل وعدم الكفر. قال تعالى في سورة لقمان:

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

ففي الشكر قال سبحانه ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾، وأما في الكفر فقال بصيغة الماضي: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [لقمان: ١٢] ولم يقل: ومَنْ يكفر، وفارقٌ دقيق بين الأسلوبين، والكلام هنا للرب سبحانه، وليس كلام لقمان.

في الشكر جاء بصيغة المضارع ﴿يَشْكُرْ﴾ الدال على الحال والاستقبال، فالشكر دائمًا متجدِّد ودائم، وشأن الشاكرين دومًا تذكر نعم الله عليهم؛ ومن ثَمَّ شكرها.

وفي الكفر جاء بصيغة الماضي ﴿كَفَرَ﴾ [لقمان: ١٢]، فالله سبحانه وتعالى لا يريد من عبده الاستمرار في الكفر، بل يريد له أن يتوب ويرجع، أي يكون كفره في الماضي فحسب، ولا يريد الله لأحد أن يعود لكفره في المستقبل، وفي هذا إشعارٌ بأنه لا ينبغي لعاقل أن يكفر نعمة الله عليه، بل عليه أن يجعل من الكفر ماضيًا زائلاً في خبر كان، بعد أن تاب عنه وأناب.

رابعًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

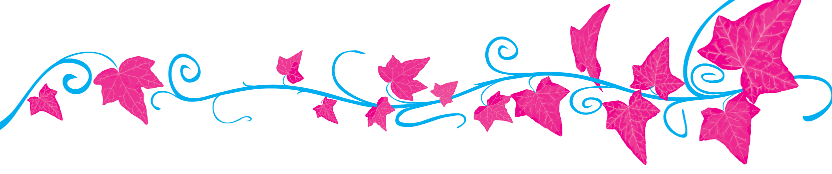
«اللهمَّ أعِني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسنِ عِبادَتك».

«اللهمَّ إني أسألكَ الثبَات في الأمر، وأسألكَ عزيمَة الرُّشدِ، وأسألكَ شُكْرَ نِعْمَتك وحُسن عِبادَتك، وأسألكَ لسَانًا صَادِقًا وقلبًا سَليمًا، وأعُوذ بكَ مِن شرِّ مَا تعْلم، وأسألكَ مِن خيْر مَا تعلم، وأستغفِرُكَ مِمَّا تعْلم، إنك أنت علام الغُيُوب».

«اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

ما عرف ربه الشكور من استعمل ماله وصحته وسلطانه في ما يُغضب الله.





أسألك باسمك الشكور..

لا تجعلنا ممن سخَّر نعمتك في معاصيك، واستعان بها يحب في ما تكره.

أسألك باسمك الشكور..

اجعلنا أشكر الناس للناس.

أسألك باسمك الشكور..

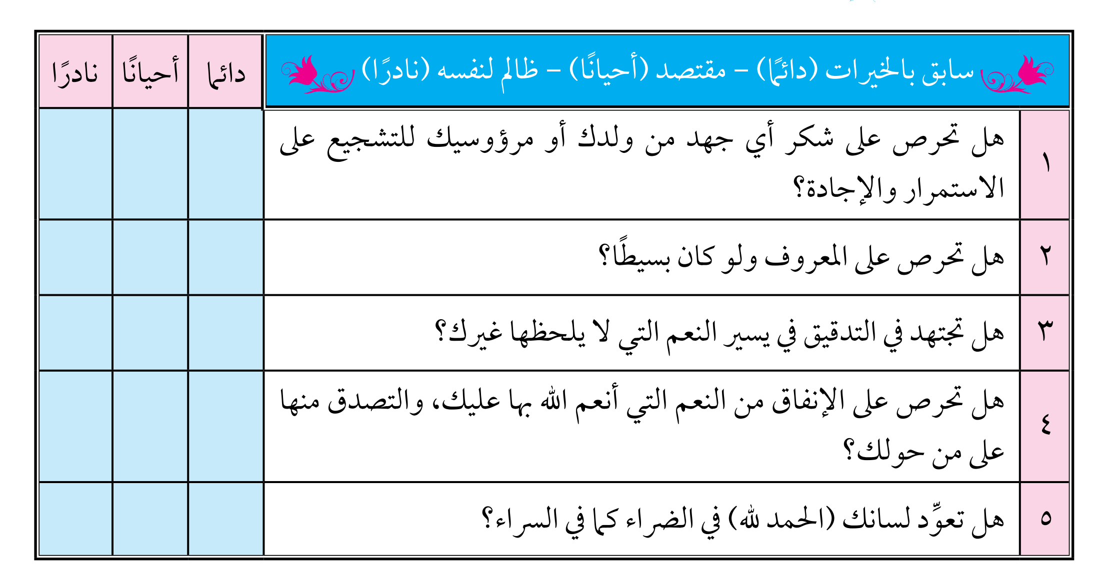
ارزقنا الشكر على قليل النعم فضلاً عن كثيرها.

أسألك باسمك الشكور..

عوِّد ألسنتنا (الحمد لله)، ولا تعوِّدها الشكوى لغير الله.

خامسًا: حاسِبْ نفسك تعرِف ربَّك





	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تحرص على شكر أي جهد من ولدك أو مرؤوسيك للتشجيع على الاستمرار والإجادة؟			
٢	هل تحرص على المعروف ولو كان بسيطًا؟			
٣	هل تجتهد في التدقيق في يسير النعم التي لا يلحظها غيرك؟			
٤	هل تحرص على الإنفاق من النعم التي أنعم الله بها عليك، والتصدق منها على من حولك؟			
٥	هل تعوِّد لسانك (الحمد لله) في الضراء كما في السراء؟			

عرف ربه الشكور من شكر قليل النعم فضلاً عن كثير.



ناداك: فَإِنِّي قَرِيبٌ، فلا تبتعِد عنه يا حبيب

القريب ممن ناجاه، وتقرَّب منه ودعاه، وهو قرب لا تُدرَك له حقيقة، وإنما تُعلم آثارُه من لطفه بِعبده، وعنايته به وتوفيقه وتسديده، ومن آثاره: إجابة الدَّاعين وإثابة العابدين.

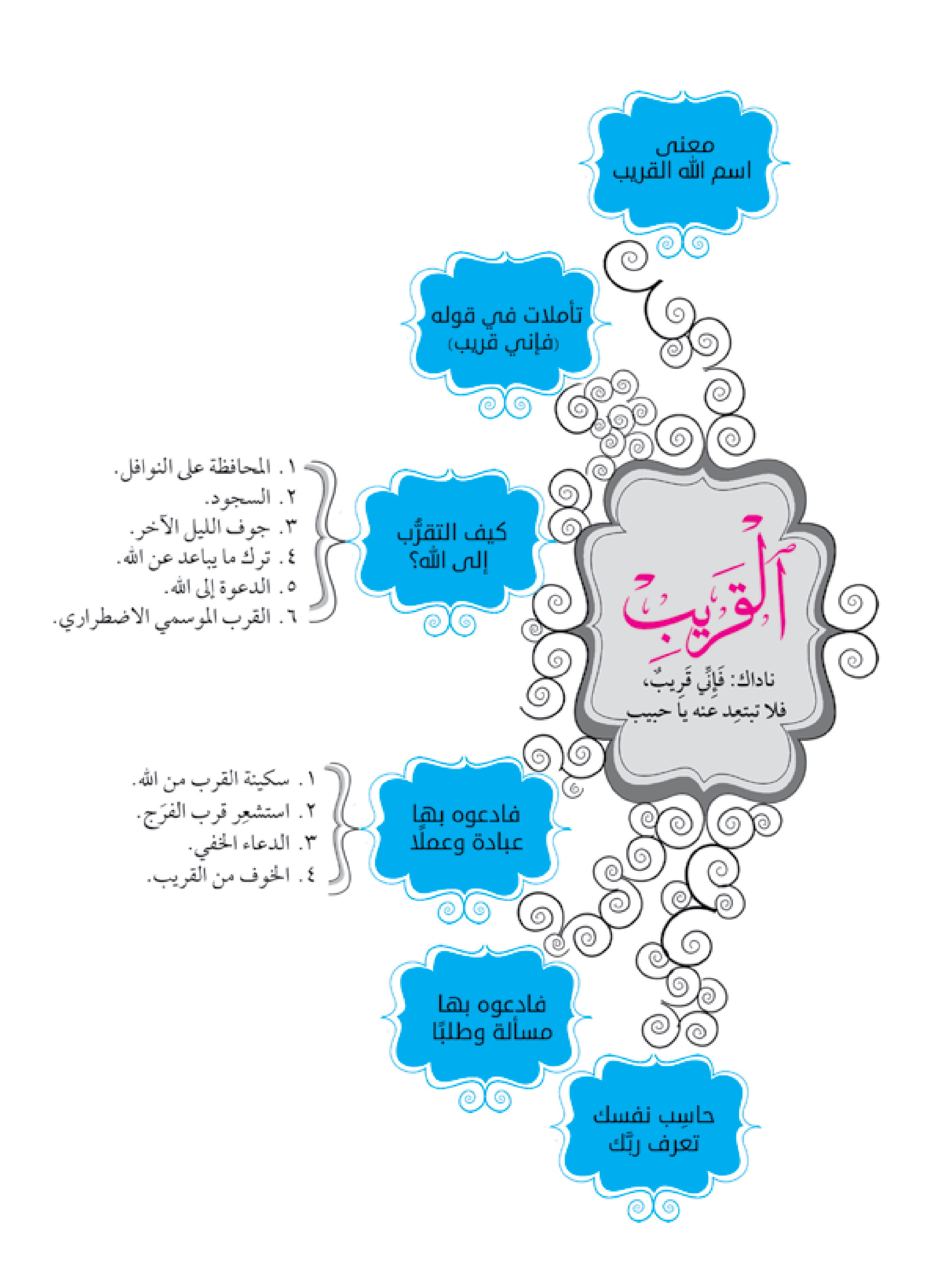
وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِى

عَنِّى

فَإِنِّى

قَرِيبٌ



الْقَرِيبُ
ناداك: فَإِنِّي قَرِيبٌ،
فلا تبتعِد عنه يا حبيب
معنى
اسم الله القريب
تأملات في قوله
(فإني قريب)
كيف التقرُّب
إلى الله؟
١. المحافظة على النوافل.
٢. السجود.
٣. جوف الليل الآخر.
٤. ترك ما يباعد عن الله.
٥. الدعوة إلى الله.
٦. القرب الموسمي الاضطراري.
فادعوه بها
عبادة وعملًا
١. سكينة القرب من الله.
٢. استشعِر قرب الفرَج.
٣. الدعاء الخفي.
٤. الخوف من القريب.
فادعوه بها
مسألة وطلبًا
حاسِب نفسك
تعرف ربَّك



ورد هذا الاسم في القرآن ثلاث مرات، وجاء بمعناه في أكثر من آية، كما في قوله تعالى:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.

أولاً: معنى اسم القريب

قال الشيخ **السعدي**:

«القريب أي هو القريب من كل أحد، وقربه نوعان:

قربٌ عام من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته ومشاهدته، وإحاطته، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

وقربٌ خاص من عابديه، وسائليه، ومجيبيه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول، والإثابة.

وهذا النوع قربٌ يقتضي ألطافه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم؛ ولهذا يقرن باسمه القريب اسمه (المجيب)، وهذا القرب قرب لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره من لطفه بعبده، وعنايته به وتوفيقه، وتسديده، ومن آثاره الإجابة للداعين والإثابة للعابدين»[١].

وقرب الله قرب علم، وقرب قدرة..

فعلم الرب أقرب إلى العبد من قلبه الذي بين جنبيه؛ ولذا قال الله عز وجل:

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾.

وهو تمثيلٌ لشدة قربِ الله تعالى من العبد، وتنبيهٌ على أن الله مطلعٌ على مكنونات القلوب التي يغفل عنها صاحبُها، وفيه حثٌّ على المبادرة إلى إخلاص القلوبِ، وتصفيتِها قبل أن يباغتنا ملك الموت، فإنها حائلةٌ بين المرء وقلبِه، أو أن ذلك تصويرٌ لتملُّك الرب من قلبِ العبد، بحيث يفسخ عزائمهُ ويغيِّر نياتِه ومقاصدَه، ويحول بينه وبين الكفر إن إراد سعادتَه، أو بينه وبين الإيمان إن أراد شقاوته..

ولذا قال **القشيري**:

«في هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم، وروحٌ وأُنسٌ وسكون قلب لقوم»[٢].

(١) الحق الواضح المبين ٦٤٠، والتفسير ٥/ ٦٣٠.
(٢) لطائف الإشارات للقشيري ٣/ ٤٥٠.

عرف الله القريب مَن لمح قربه منه، فحرص على التقرب منه بالنوافل بعد الفرائض.



ثانيًا: تأملات في قوله (فإني قريب)

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾

وفي سبب نزول الآية قولان:

أَحدهما: أن الصَّحابة قالوا: يا رسول الله، أَقَريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزلت الآية.

والثَّاني: أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.. قالوا: يا رسول الله، كيف ندعوه ومتى ندعوه؛ فنزَلت الآية.

وفي الآية تأملات مفيدة:

- أتى الله سبحانه بكلمة ﴿ وَإِذَا ﴾ المفيدة للمستقبل، فهي ظرف لما يُستَقبَل من الزمان، والسر في ذلك -والله أعلم- أن الله يستجيب لعبده في كل وقت، وليس في الماضي فحسب، فإن باب إجابته مفتوح، وخيره وَجودُه للسائل ممنوح.

- أن الله أضاف العباد إليه؛ لأن كل من في السموات والأرض عبيدٌ له، وتحت قهره وسلطانه.

ومن شأن العباد شدة حاجتهم ورغبتهم وطلبهم إلى ربهم، فلا غنى لهم عنه طرفة عين.

- ولأن الصوم مظنة إجابة الدعاء؛ فقد جاءت هذه الآية عقب آيات الصيام.

- والعبودية نوعان:

عبودية عامة: وهي عبودية جميع المخلوقات لله، وخضوعها له فهي تحت تصرفه ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾.

وعبودية خاصة: وهي عبودية أنبيائه ورسله وعباده الصالحين، فيعبدونه حقًّا وصدقًا.

- وفي الآية قربٌ ما بعده قرب، وملاطفة ما مثلها ملاطفة، وكأن الله يقول: وإذا سألك عبادي عني يا محمد، فلا تجبهم بلسانك، فإنك وإن كنت الرسول بيننا، فهذا الجواب لي وحدي، فأنا الذي أتولاه: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾.. أو كأنه قال:

عبدي، إنما تحتاج إلى الواسطة في غير الدعاء، أما في الدعاء فلا واسطة بيني وبينك!

- وفي قوله: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ مجازٌ عن سرعةِ إجابته لدعوةِ من دعاه، وإلا فإنه سبحانه متعالٍ عن القُرْبِ الحسي لتعاليه عن المكان.

ما عرف ربه القريب مَن انشغل عن التقرب من الله، ففرَّط في النوافل بعد انتهاك الفرائض.

قال **السعدي**:

«وقربه تعالى نوعان: قربٌ عام من كل أحد، بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، وإحاطته. وقربٌ خاص، من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو قربٌ لا تُدرَك له حقيقة، وإنما تُعلَم آثاره، من لطفه بعبده، وعنايته به، وتوفيقه وتسديده»[1].

- واقتران اسم **القريب** باسم المجيب واضحٌ ظاهر، فمن آثار القرب: (الإجابة للداعين، والإثابة للعابدين، فهو المجيب إجابة عامة للداعين مهما كانوا، وأين كانوا، وعلى أي حال كانوا كما وعدهم بهذا الوعد المطلق، وهو المجيب إجابة خاصة للمستجيبين له المنقادين لشرعه، وهو المجيب أيضًا للمضطرين، ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين وقوي تعلقهم به طمعًا ورجاءً وخوفًا)[2].
- وقول ربنا ﴿إِذَا دَعَانِ﴾: أي إذا صدق في دعائه إياي، بأن شعر بشدة افتقاره إليَّ، وأني قادر على إجابته، وأخلَصَ لي الدعاء، فلم يتعلق قلبه بغيري.
- والآية تتناول نوعي الدعاء دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ودعاء العبادة شامل لكل القُرُبات الظاهرة والباطنة؛ لأنَّ المتعبِّدَ لله طالبٌ وداعٍ بلسان مقاله وحاله، وأما دعاء المسألة فهو أن يطلب الدَّاعي ما ينفعه، وكشفَ ضُرَّه.
- وشرط إجابة الدعاء هنا: استجابتهم لأمر الله، فمن استجاب لله فليبشر بالزياده من فضل الله ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى:٢٦].

سمِع القريبُ دعاءها

قال الشيخ الأديب **علي الطنطاوي**:

«وقد وقع لي مرة (وذكرت هذا في بعض أحاديثي من قبل) أن دعانا كبير أسرتنا، الدكتور **طاهر الطنطاوي** الذي توفي من زمن بعيد رحمة الله عليه، إلى جمع في بيته يضم أفراد الأسرة جميعًا، وأعدَّ لهم مائدة وضع لهم فيها كل ما يلذ ويطيب، وهيَّأ لهم كل ما يسرُّهم ويُرضيهم، وذهبتُ إلى الاجتماع وكنتَ منشرح الصدر، فما لبثت فيه إلا نصف ساعة حتى ضاق صدري، وأحسست كأن دافعًا يدفعني إلى الخروج، وأنني إن بقيت اختنقت.

واستأذنت بالانصراف فعجِبوا مني، وكنت أنا أعجب من نفسي! ولا أعرف سببًا لهذا الذي حلَّ بي.

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٩٤٩.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٩٤٩.

عرف ربه القريب مَن اغتنم سجوده، فرفع فيه حاجاته، وطلب مغفرة زلاته.

وفسد الاجتماع وضاع ما كانوا يتوقعونه من المسرَّة والانبساط، وألقوا اللوم عليَّ، وأنا أعذرهم ولا أدري لم فعلت سببًا! وكانت داره في سفح جبل قاسيون في منطقة اسمها حي العفيف، وخرجتُ، ومرَّ بي الترام وكان فارغًا، وهممت بأن أصعد إليه، ثم أحسست كأن يدًا قوية، تصدُّني عنه وتمنعني من ركوبه، فمشيت على رجلي، ولا أعرف إلى أين أنا ذاهب.

وثقوا أني أصف لكم ما وقع كأنه وقع بالأمس، وقد مرَّ عليه الآن أكثر من ثلاثين سنة. ما مشيت إلا قليلاً، وكان الطريق مقفرًا والليل ساكنًا، فوجدت امرأة تحمل ولدًا، وتسحب بيدها ولدًا، وهي تنشج وتبكي وتدعو دعاء خافتًا لم أتبينه، فاقتربت منها، وسألتها:

ما لك يا أختي؟

فنفرت مني وحسبتني أبتغي السوء بها، ونظرَت إليَّ، فلما رأت أنني كهل، وأنه لا يبدو عليَّ ما تخشاه نفضَت لي صدرها وشرحت لي أمرها، وإذا قصتها أنها من حلب، وأن زوجها يعمل موظفًا في دمشق، وأنه طردها من بيته، وهي لا تعرف أين تذهب، وما لها إلا خالٌ، لا تستطيع الوصول إلى مكانه.

فقلت لها: أنا أوصلك إلى بيت خالك، واذهبي من الغد إلى المحكمة فارفعي شكواك إلى القاضي، فازداد بكاؤها، وقالت: وكيف لي بالوصول إلى القاضي وأنا امرأة مسكينة، والقاضي لا يستقبل مثلي، ولا يستمع إليه؟!

وكنت أنا يومئذٍ قاضي دمشق، فقلت لها: لقد استجاب الله دعاءك يا امرأة؛ لأنك مظلومة، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، وأنا القاضي، وقد استخرجني الله من بين أهلي، وجاء بي إليك لأقضي إن شاء الله حاجتك، وهذه بطاقتي تذهبين بها غدًا إلى المحكمة فتلقينني!»[1].



فلا تَشكُ بعد اليوم إلى فقير، ولا ترفع حاجتك إلى محتاج، وهل يقود الأعمى الأعمى؟! وردِّد قول القائل، واجعله لك شعارًا:

ويمنعُني شكواي للناس أنني	عليلٌ وَمَنْ أشكو إليه عليــلُ
ويمنعنـــي شكوايَ لله أنــــه	عليمٌ بما أشكوه قبل أقـــولُ

ثالثًا: كيف التقرُّب إلى الله؟

من صفات القريب أن من تقرب منه شبرًا تقرب منه ذراعًا، ومن تقرب منه ذراعًا تقرب منه باعًا، ومن

(١) نور وهداية ١/ ٨٤، ٨٥ - علي الطنطاوي- ط دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية.

ما عرف ربه القريب مَن نقر سجوده نقر الغراب، فلا تلذَّذ، ولا نال المراد.





أتاه يمشي جاءه يهرول، سبحانه! هو القريب، فهل يبتعد عنه إلا كل شقيٍّ طريد!

ألا إن بعدك عنه عذاب، وقربك منه إلى الجنة أسهل باب..

فيا من استوحش من طول بعده عن الله، إليك طريق القرب ومفتاح النجاة:

الأول: المحافظة على النوافل

قال تعالى: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه».

فالمواظبة على النوافل دليل صدق المحبة، وبوابة القرب من القريب.

وكلما كان العبد عليها أدوم كان إلى الله أحب؛ لأن «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ»، ومن بلغ درجة الحب أسبغ الله عليه عطايا القُرب.

الثاني: السجود

قال رسول الله ﷺ:

«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[(١)].

قال القرطبي:

«هذا أقرب بالرتبة والكرامة، لا بالمسافة؛ لأنه مُنزَّه عن المكان والمساحة والزمان»[(٢)].

ويشمل الحديث حث العباد على تكثير الطلب من الله لكل حاجة مهما صغرت عند السجود، ويشمل كذلك التكرار والإلحاح في السؤال الواحد.

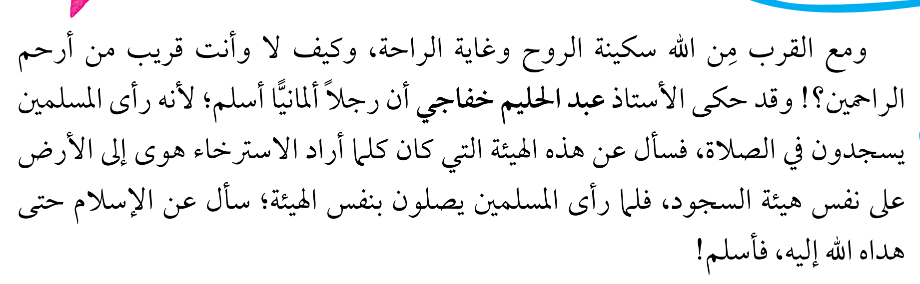
«فأكثروا الدعاء»: ولأنك قريب من الله في هذا الموضع، وهو مظنة الإجابة، فاغتنم الفرصة وأكثر من الطلب، وهذا الإكثار داعٍ إلى الإطالة، ومن الإطالة يأتي الخشوع، وقد أعاننا الله على هذا بأن نهانا عن الإسراع في السجود، وعبَّر عن السجود الخاطف الخالي من الخشوع بوصف: (نقر الغراب).

قال ابن تيمية:

«وإذا كان الخشوع في الصلاة واجبًا، وهو متضمِّن للسكون والخشوع، فمن نقر نقر الغراب لم يخشع في سجوده.. فمن لم يطمئن لم يسكن، ومن لم يسكن لم يخشع في ركوعه ولا سجوده، ومن لم يخشع كان آثمًا عاصيًا»[(٣)].

(١) صحيح: رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة كما في صحيح أبي داود رقم: ٨١٩.
(٢) حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع السنن) ٢/ ٢٢٦ - جلال الدين السيوطي - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.
(٣) مجموع الفتاوى ٢٢/ ٥٥٨.

عرف ربه القريب مَن حرص على أن يكون قريبًا منه في وقت الأسحار بالاستغفار والقيام.



ومع القرب مِن الله سكينة الروح وغاية الراحة، وكيف لا وأنت قريب من أرحم الراحمين؟! وقد حكى الأستاذ **عبد الحليم خفاجي** أن رجلاً ألمانيًّا أسلم؛ لأنه رأى المسلمين يسجدون في الصلاة، فسأل عن هذه الهيئة التي كان كلما أراد الاسترخاء هوى إلى الأرض على نفس هيئة السجود، فلما رأى المسلمين يصلون بنفس الهيئة؛ سأل عن الإسلام حتى هداه الله إليه، فأسلم!

لكن ماذا كان يقول رسول الله ﷺ في سجوده؟

الدعاء الأول: روى **مسلم** في صحيحه عن **عائشة** رضي الله عنها، قالت:

فَقَدْتُ رَسُولَ الله ﷺ لَيْلَةً مِنَ الفراش، فالْتَمَسْتُه فوَقَعَتْ يدي على بَطْنِ قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول:

«اللهُمَّ أعوذ بِرضاك من سخطِك، وبِمعافاتِك من عقوبتك، وأَعُوذ بِكَ منك، لا أُحْصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسِك»(١).

وقد التبس على البعض قول: «**أعوذ بك منك**»، ومعناه:

أعوذ بصفات جمالك من صفات جلالك، فلن يحميني من صفات الجلال إلا صفات الجمال، وصفات الجلال مثل أنه القهار والجبار وذو انتقام وشديد البطش، وصفات الجمال مثل أنه الغفور والرحيم واللطيف، فإذا ما أذنب العبد ذنبًا، فالمناسب في هذه الحال أن يُعاقَب بمقتضى صفات الجلال، فلا يقيه من صفات الجلال إلا صفات الجمال.

فتعوَّذْ بِكلِّ صفة جمال مرغوب فيها من صفات ربك من كل صفة جلال مرهوب منها، واستعِذ به ليُجيرك بِرضاه من تبعات سَخطه، وبمعافاته مِن شدة عقوبته، حتى إذا وصلت في الدعاء إلى ذِكْر ما لا ضِدَّ له، وهو الله سبحانه، فاستعِذ به منه، وهو شبيهٌ بقولك في الدعاء عند النوم: **(لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك)**.

فإذا أراد بعبده سوءًا لم يُعِذْه منه إلا هو، فالمهرب منه إليه، والفرار منه إليه.

الدعاء الثاني: في حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ كان يقُولُ في سجوده(٢):

«اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، أَوَّلَهَ وَآخِرَهُ، وَعَلاَنِيَتَهُ وَسِرَّهُ».

---

(١) صحيح: رواه مسلم عن عائشة كما في كتاب الصلاة باب أذكار الركوع والسجود رقم: ٤٨٦.

(٢) وربما توهم العبد في سجوده قرب المسافة من الله، فندبه الله لهذا القول دفعًا لذلك الوهم، فقرب الله عز وجل ثابت له وهو في علوه؛ فهو قريب منا، وهو عال مستوٍ فوق عرشه، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون معنا في المكان الذي نكون فيها، وعلى هذا فيجب الجمع بين القرب والعلو، فهو العلي القريب، ويمكن أن تقول: هو قريب في علوه، عَليٌّ في دنوه.

ما عرف ربه القريب مَن لم يحرص على لقائه في الأسحار بعيدًا عن الأنظار والأغيار.



ألا ما أَمَرَّ الْبُعدَ بعد الْقرب، وما أشد الهجر بعد الوصل.. فيا مطرودًا بعد التَّقْرِيب:

أتدري ماذا صنعت؟!

بِعْتَ القرب بالبعد، والعقل بالهوى، والدين بالدنيا.

ألا وإن أبلغ الشافعين فيك اليوم: دموعك في الساجدين.

الثالث: جوف الليل الآخر

قال رسول الله ﷺ:

«أقربُ ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممَّن يذكر الله في تلك الساعة، فَكُن»[1].

لأن العبد يقترب فيه من ربه، ويخلو به في الأسحار؛ لذا يكسوه الله من نوره..

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** في أفضلية هذا الوقت:

«والناس في آخر الليل يكون في قلوبهم من التوجُّه والتقرُّب والرِّقةِ ما لا يوجد في غير ذلك الوقت، وهذا مناسبٌ لنزوله إلى سماء الدنيا، وقوله: هل من داعٍ، هل من سائل، هل من تائب»[2].

وفي رواية رائعة **مسلم**:

«...، ثم يبسط يديه ويقول: من يُقرِضِ غير عَدوم ولا ظلوم؟ حتى ينفجر الفجر»[3].

نعم..

ينادي ربنا كل ليلة:

من يقدِّم عبادته إليَّ على سبيل الإقراض حتى أُنعِم عليه بالعوض؟

من يتاجر معي ولن يندم؟

ووصف الله نفسه بقوله:

«غيرَ عدوم» أي ربًّا غنيًّا، غير فقير.

«ولا ظلوم» أي لا يظلم بعدم وفاء الدَّيْنِ الذي اقترضه أو بتأخير أدائه عن وقت سداده المستحق.

(١) صحيح: رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن عمرو بن عبسة كما في صحيح الجامع رقم: ١١٧٣.
(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٤١.
(٣) صحيح: رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه رقم: ٧٥٨.

عرف ربه القريب مَن تقرَّب إليه بكل ما يُرضيه.



وخصَّ الله هاتين الصفتين بالذكر؛ لأنهما في الغالب ما يمنعان العبد من إقراض غيره، فانظر إلى تلطُّف الله في الطلب من عباده وكأنهم يقرضونه! ومخاطبته لهم بما يفهمونه ويعايِشونه، مع كمال غناه عنهم وشدة افتقارهم إليه؛ وخصَّ هذا النداء بوقت السَّحَر المبارك، وفيه إغراءٌ بجزيل ثواب الطاعة فيه مع عظمة العطاء!

وفي جوف الليل زاد المؤمن ومصدر قوته ونبع عزيمته، كما رآه **عبد الرحمن العشماوي**، فقال:

في جُنح هذا الليـل أشعر أنني ... بك يا عظيم الشأن أقوى موقفا
وأُحِسُّ أَني حين أسجد أرتقي ... وأرى القوِيَّ من الطغاة الأضعفا

وسبب هذه القوة أن المؤمن يعلم أن هذا الوقت أسمع للدعاء وأرجى لقبول ما يتمنى العبد.

قال **عمرو بن عَبَسَة السّلَمِيُّ** رضي الله عنه:

قلت: يا رسول الله، أيُّ الليلِ أسمع؟ قال:

«جَوْفُ الليل الآخر، فَصلِّ ما شئت»[1].

فكيف بقرب ربِّ البشر؟!

قال **أبو موسى الأشعري** رضي الله عنه:

«استمع رسول الله ﷺ قراءتي من الليل، فلما أصبحت قال:

يا **أبا موسى**، استمعتُ قراءتك الليلة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود.

قلت:

يا رسول الله، لو علمتُ مكانك لحبَّرتُ لكَ تحبيرًا»[2].

أي لحسَّنت قراءتي لك تحسينًا وزيَّنتُها، فلو علم **أبو موسى** رضي الله عنه قرب رسول الله ﷺ منه لبالغ في تحسين قراءته وتجويدها، فكيف بمن علِم قرب الله منه؟!

كيف تكون قراءته؟!

وأي سقف يبلغ تدبُّره؟!

وهل ينطلق الكلام إلا من قلبه ليفيض على لسانه؟

(١) صحيح أبي داود رقم: ١١٥٨.
(٢) صحيح: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان رقم: ٧١٩٧- ط مؤسسة الرسالة، بيروت.





الرابع: ترك ما يباعد عن الله

قال **الحارث المحاسبي**:

«من كان يحب القرب من الله، فليترك مَا يباعد من الله تعالى»[١].

فالقرب من الله في الآخرة يظهر في تفاوت الدرجات والمنازل، والمحبون أقربهم إليه إذ كانوا في الدنيا أشدهم حبًّا له وأقرب إليه، فكافأهم بأن قرَّبهم في الآخرة، والقرب من الله في الدنيا تكليف، لكنه في الآخرة أعظم مكافأة وتشريف.

الخامس: الدعوة إلى الله

قال **ابن الجوزي**: «ألستَ تبغي القرب منه؟! فاشتغل بدلالة عباده عليه»[٢].

فكلما قرَّبت عبدًا من الله كلما قرَّبك الله منه، وكلما جذبت عبدًا إلى دائرة هداه؛ كلما جذبك لجواره وهدي مصطفاه.

السادس: القرب الموسمي الاضطراري

عند نزول الظلم على العبد يكون الله قريبًا منه ولو كان فاجرًا أو كافرًا، فيسمع الله دعاءه، ويستجيب له.

وعند وقوع الاضطرار ونفاد الأسباب يكون الله أقرب إليك وينفتح لك الباب!

وقد استجاب للمشركين حين ركبوا في الفلك، وأحاطت بهم الأمواج والأعاصير؛ لَمَّا دعوه مخلصين.

وهذا قرب جمالٍ ورحمة بعباده، ولو كانوا بالعصيان قد بارزوه، وعاندوه وخالفوه!

قريبٌ من المضطر.. ولو كان كافرًا!

يقول أديب الفقهاء الشيخ **علي الطنطاوي** في واحدة من روائع قصصه الواقعية:

«أسرد عليكم قصة أسرة أميركية فيها ستة أولاد، أبوهم فلاح متين البناء، قوي الجسد ماضي العزم، وأمهم امرأة عاقلة مدبِّرة حازمة، فتربَّى الأولاد على الصبر والاحتمال حتى صاروا رجالاً قبل أوان الرجولة.

وخرج الصغير يومًا يلعب، وكان في الثالثة عشرة، فقفز من فوق صخرة عالية قفزة وقع منها على ركبته، وأحسَّ بألم فيها، ولكنه احتمله وصبر عليه، ولم يخبر به أحدًا، وأصبح فغدا على مدرسته يمشي على رجله، والألم يزداد وهو يزداد صبرًا عليه، حتى مضى يومان، فظهر الورم في رجله، وازْرَقَّ وعجز عن أن يخطو

(١) آداب النفوس ١/ ١٨١ - الحارث المحاسبي - ط دار الجيل - بيروت - لبنان.
(٢) صيد الخاطر ١/ ٥٢.

عرف ربه القريب مَن سعى في تقريب عباده منه.

عليها خطوة واحدة، فاضطربت أمه وجزع أبوه، فأضجعوه في فراشه وجاؤوا بالطبيب، فلما رآها علِم أنه قد فات أوان العلاج، وأنها إن لم تُقطَع فورًا مات الولد من تسمُّم الدم!

فانتحى بأبيه ناحية، وخبَّره بذلك همسًا يحاذر أن يسمع الولد قوله، ولكن الولد سمع وعرف أنها ستقطع رجله، فصرخ: لا، لا تقطعوا رجلي، لا تقطعوا رجلي! أبي، أنقذني.

وحاول أن يقفز على رجل واحدة ويهرب منهم، فأمسك به أبوه وردَّه إلى فراشه، فنادى أمه نداءً يقطع القلوب: أمي، أمي، أنقذيني! أمي، ساعديني! لا تقطعوا رجلي.

ووقفت الأم المسكينة حائرةً تحس كأن كبدها تتمزق، قلبها يدعوها إلى نجدة ابنها، ويفيض حنانًا عليه وحبًّا له، وعقلها يمنعها ويناديها أن تفتدي حياته برجله، فلما رآها لا تتحرك يئس منها كما يئس من أبيه من قبل، وجعل ينادي أخاه (**إدغار**) بصوتٍ يختلط فيه النداء بالبكاء بالعويل: إدغار، إدغار! أين أنت يا إدغار؟ أسرِع فساعِدْني، إنهم يريدون أن يقطعوا رجلي!

وسمع أخوه إدغار (وهو أكبر منه بقليل) صراخه فأقبل مسرعًا، فشدَّ قامته ونفخ صدره، وأعلن أنه لن يدع أحدًا يقترب منه، وكلَّمه أبوه ونصحته أمه، وحاول أبوه أن يزيحه بالقوة، فهجم على أبيه وعلى الطبيب الذي جاء يساعده، واستأسد واستيأس، وصار رجلاً قويًّا وحارسًا ثابتًا، وتركوه آملين أن يملَّ، أو يكلَّ فيبتعد عن أخيه، ولكنه لم يتحرك، وبقي يومين كاملين واقفًا على باب أخيه يحرسه، لم يأكل في اليومين إلا لُقَيمات قرَّبوها إليه، ولم ينم إلا لحظات، والطبيب يجيء ويروح، ورجل الولد تزداد زُرقة وورَمًا، فلما رأى الطبيب ذلك نفض يده، وأعلن أنها لم تبقَ فائدة من العملية الجراحية، وأن الولد سيموت، وانصرف.

ولما ذهب الطبيب واستحكم اليأسُ، وملأ قلوبَ الجميع، واستشعروا العجز، ولم تبقَ في أيديهم حيلة، وبلغوا مرتبة المضطر، مدّوا أيديهم إلى الله يطلبون منه الشفاء وحده، يطلبونه بلا سبب يعرفونه؛ لأنها قد تقطَّعت بهم الأسباب، مدّوا أيديهم وجعلوا يقولون: «يا الله»، يدعون دعاء المضطر، والله يجيب دعوة المضطر ولو كان فاسقًا، ولو كان كافرًا.

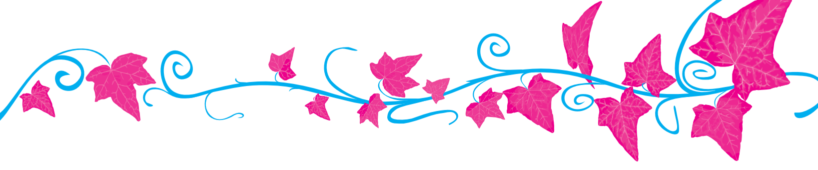
يا أيها القراء، إنهم لما دعوا نظروا فإذا الورم بدأ يخِفُّ، والزُّرقة تـمَّحي، والألم يتناقص، ثم لم يمضِ يومان حتى شُفِيتْ الرِّجْل تمامًا، وجاء الطبيب فلم يكد يصدق ما يراه.

ستقولون: هذه قصة خيالية أنت اخترعتها وتخيلتها، فما قولكم إن دللتكم على صاحبها؟

إن هذا الولد صار مشهورًا ومعروفًا في الدنيا كلها، وهو الذي روى القصة بلسانه، هذا الولد هو آيزنْهاور، القائد العام لجيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، ورئيس أميركا بعد ذلك»[1].

(١) نور وهداية ١/ ٧٧-٨١ بتصرف - ط دار المنارة للنشر والتوزيع.







رابعًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

١- سكينة القرب من الله

قرب الله يستلزم معيته، هي غير معيَّة المراقبة التي قال الله فيها: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد ٤]، وإنما هي معيَّة النُّصرة والتأييد والتسديد والإعانة والهداية كما جاء على لسان **إبراهيم** عليه السّلام ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء ٦٢].

وقوله سبحانه **لموسى وهارون** ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه ٤٦].

وكما جاء على لسان نبينا ﷺ **لأبي بكر** في قوله تعالى ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة ٤٠].

لكن المعية الربانية ليست حكرًا على الأنبياء بل تَعمُّ الصالحين، فقد جعلها الله للمتقين والصابرين والمحسنين والذاكرين، فقال عزَّ وجلَّ عن المتقين: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

وقال عزَّ من قائل عن الصابرين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

وقال عن المحسنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

وقال عن كل ذاكر: «وأنا معه إذا ذكرني».

قال **ابن القيم**: «والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء، وهي أخصُّ من المعِيَّة الحاصلة للمحسن والمتقي، وهي معِيَّة لا تُدرِكها العبارة ولا تنالها الصِّفة، وإنما تُعلَم بالذوق»[١].

وكيف لا يسكن ويطمئن، والله **القريب** قريبٌ منه؟!

قال قتادة:

«من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله عز وجل معه فمعه الفئة التي لا تُغلَب، والحارس الذِي لا ينام، والهادي الذِي لا يضل»[٢].

ولذا كتب بعض السَّلَف إلي أخ له:

أما بعد.. إن كان الله معك فمن تخاف، وإن كان عليك فمن ترجو؟! والسلام.

وهي مع هذا معية لطيفه لا تشعر معها بثقل وجوده، بل بالراحة مع وجوده.

(١) الوابل الصيب ١/ ٦٦.
(٢) المقصد الأسنى ص ٦٩.

عرف ربه القريب من قرَّب العُصاة إلى جنابه والضالين إلى رِحابه.

٢- استشعر قُربَ الفرَج

قال **الأوزاعي**:

«رأيتُ رجلاً في الطواف وهو متعلِّق بأستار الكعبة، وهو يقول:

يا رب إني فقير كما ترى..

وصِبْيَتي قد عَرَوا كما ترى..

وناقتي قد عجفت كما ترى..

فما تَرى فيها تَرى..

يا من يرى ولا يُرَى.

فإذا بصوت من خلفه:

يا عاصم.. يا عاصم.. الحق عَمَّك، فقد هلك بالطائف، وقد خلَّف ألف نعجة، وثلاثمائة ناقة، وأربعمائة دينار، وأربعة أعبد، وثلاثة أسياف يمانية، امض فخُذْها فليس له وارث غيرك.

قال **الأوزاعي**: قلت له: يا عاصم! إن الذي دعوته لقد كان قريبًا منك.

قال: يا هذا، أما سمعت قوله ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦]»[١].

وصدق من قال:

ما ضرَّنا بُعدُ السماء وإن علَت ... ما دُمتَ يا ربَّ السماء قريبُ

أتَضُرُّنا أبوابُ خَلقٍ أُغلقَتْ ... والله نطرقُ بابه فيُجيبُ

٣- الدعاء الخفي

قال **ابن القيم**:

«فكلما استحضر القلب قرب الله تعالى منه، وأنه أقرب إليه من كل قريب وتصوَّر ذلك؛ أخفى دعاءه ما أمكنه، ولم يتأتَّ له رفع الصوت به، بل يراه غير مستحسن، كما أنَّ من خاطب جليسًا له يسمع خفي كلامه، فبالغ في رفع الصوت استهجن ذلك منه، ولله المثل الأعلى سبحانه، وقد أشار النبي ﷺ هذا المعنى بعينه بقوله في الحديث الصحيح لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر، فقال: اربِعوا على

(١) المستغيثون بالله تعالى عند المهمّات والحاجات ١/ ٤٦ - ابن بشكوال الأندلسي - المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي.

ما عرف ربه القريب من جزع في المصائب وانكسر في الشدائد.





أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمًا ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا؛ أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[1].

ومعنى «اربِعوا»: هوِّنوا عليها والطفوا بها، ولا تشقوا على أنفسكم، ولا شك أن الدعاء الخفي أبعد عن الرياء، وأقرب للقلب إلى الصفاء.

٤- الخوف من القريب

سؤال هام:

ما وجه خوف الملائكة، وهم معصومون من الذنوب التي هي سبب الخوف؟ وما سبب شدة خوف النبي ﷺ مع علمه بأن الله غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، وأنه أقرب الخلق إلى الله؟!

والجواب على لسان **جمال الدين القاسمي**:

«أن هذا الخوف على حسب القرب من الله والمنزلة عنده، وكلما كان العبد أقرب إلى الله كان خوفه منه أشد؛ لأنه يُطالَب بما لا يُطالَب به غيره، ويجب عليه من رعاية تلك المنزلة وحقوقها ما لا يجب على غيره.

ونظير هذا:

أنَّ الماثل بين يدي أحد الملوك المشاهد له أشد خوفًا منه من البعيد عنه؛ بحسب قربه منه ومنزلته عنده ومعرفته به وبحقوقه، وأنه يطالَب من حقوق الخدمة وأدائها بما لا يُطالَب به غيره؛ فهو أحقُّ بالخوف من البعيد»[2].

ولذا قالها **الجيلاني** من زمن يعلِّمها غلامَه:

«كلما قرُب العبد من ربه عز وجل كثر خطره واشتد خوفه، ولهذا أخطر الناس من الملك: وزيره، لأنه أقربهم منه»[3].



خامسًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

إلهنا.. ضعفت قوتنا، وقلَّت حيلتنا، فلا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك.

أسألك باسمك القريب..

إن أوحَش قلوبَنا البعدُ عنك، فآنسِها بطاعتك ولذة القرب منك..

(١) بدائع الفوائد ٣/ ٧.
(٢) سر الاستغفار عقب الصلوات ص ٢٩، ٣٠ - محمد جمال الدين القاسمي - ط دار البشائر الإسلامية ببيروت - لبنان.
(٣) الفيض الرباني ص ٢١٠.

عرف ربه القريب من لم يجزع في المصائب وصمد في الشدائد.

أسألك باسمك القريب..

نشكو إليك قسوة قلوبنا، وجمود أعيننا، وكثرة ذنوبنا، وضعف توبتنا، وكثرة الكلام، وقلة العلم، وضعف العمل، وأفول الهمة، وخور العزيمة.

أسألك باسمك القريب..

ما من دابة إلا أنت آخذ بناصيتها؛ فخذ بأيدينا ونواصينا إليك أخذ الكرام عليك..

أسألك باسمك القريب..

ارزقنا القرب منك في أحب الأوقات إليك، ولا تحرِمنا عطاءك بالليل من أثر ذنوب النهار..

أسألك باسمك القريب..

أقرب إلى كل عبد من حبل الوريد. امنن علينا بلحظة من لحظات القُرب، فلا نشكو بعدها وحشة البعاد وألم الطريد.

سادسًا: حاسب نفسك تعرِف ربّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تتقرب إلى الله بنافلة ثابتة من صدقة أو صوم أو صلاة بنية نيل القرب منه؟			
٢	هل تكثر الدعاء في السجود؟			
٣	هل تحفظ الأدعية المأثورة في السجود؟ وهل تحافظ عليها؟			
٤	هل تدعو إلى الله بنية تقريب العباد منه؟			
٥	هل تدعو ربك سرًّا في خفاء؛ ليكون أقرب للصفاء، وأبعد عن الرياء؟			
٦	هل تحرص على قيام الأسحار، وتتقرب فيه إلى الله بالدعاء؟			

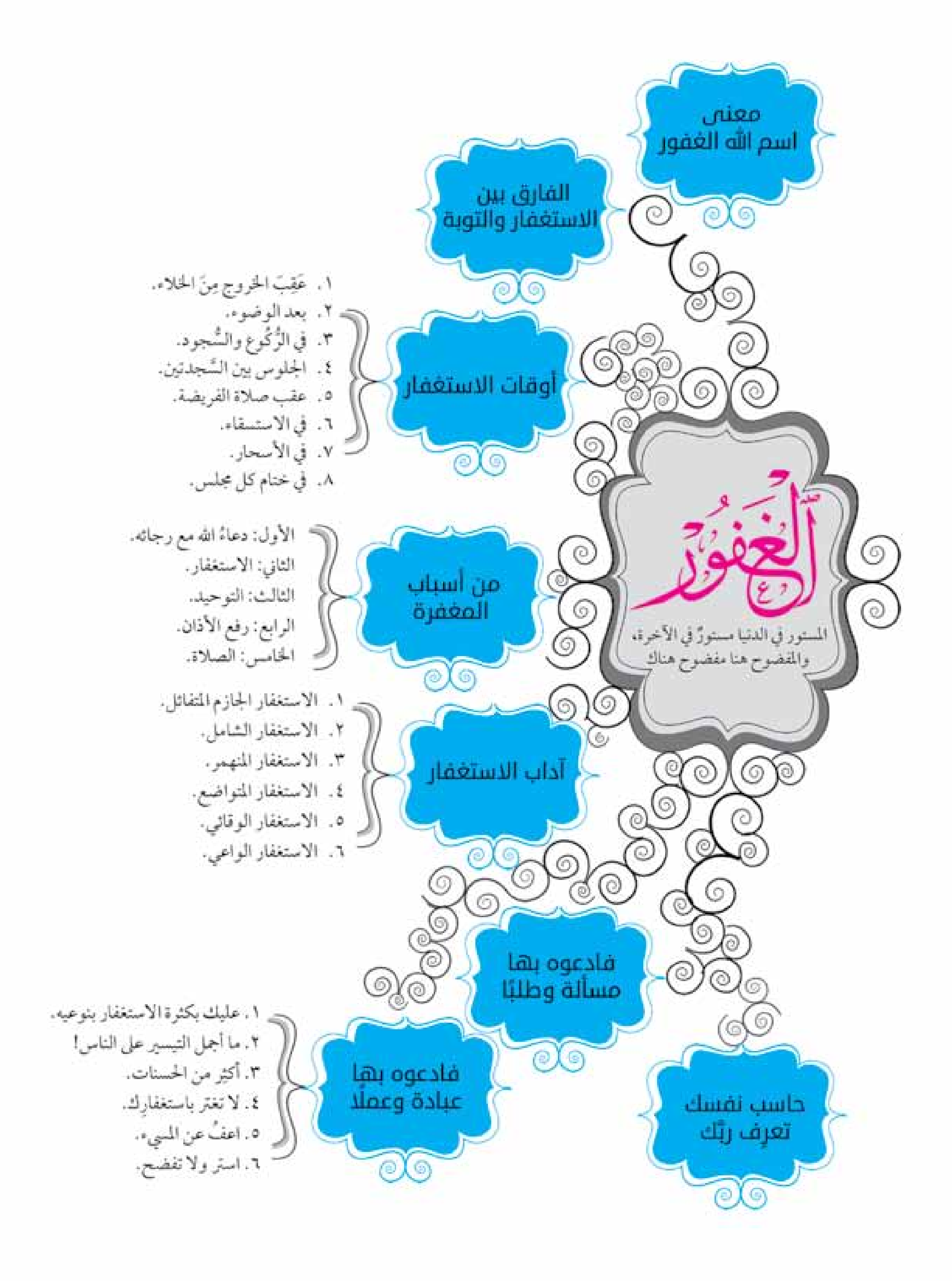
ما عرف ربه القريب من لم يلتمس القُرب منه في أحب الأوقات إليه.



المستور في الدنيا مستورٌ في الآخرة، والمفضوح هنا مفضوح هناك.

الذي لم يَزَلْ يغفر ذنوب العبد مهما عظمت وتكرَّرت، فيسترها ويغطيها عن عيون الخلق، ولا يهْتِك سِترَه بالفضيحة.


يا ابن آدم
لو بلغت ذنوبك
عنان السماء
ثم استغفرتني
غفرت لك ولا أبالي
أستغفر الله



الْغَفُورُ
المستور في الدنيا مستورٌ في الآخرة،
والمفضوح هنا مفضوح هناك
معنى
اسم الله الغفور
الفارق بين
الاستغفار والتوبة
أوقات الاستغفار
١. عَقِبَ الخروج مِنَ الخلاء.
٢. بعد الوضوء.
٣. في الرُّكُوع والسُّجود.
٤. الجلوس بين السَّجدتين.
٥. عقب صلاة الفريضة.
٦. في الاستسقاء.
٧. في الأسحار.
٨. في ختام كل مجلس.
من أسباب
المغفرة
الأول: دعاءُ الله مع رجائه.
الثاني: الاستغفار.
الثالث: التوحيد.
الرابع: رفع الأذان.
الخامس: الصلاة.
آداب الاستغفار
١. الاستغفار الجازم المتفائل.
٢. الاستغفار الشامل.
٣. الاستغفار المنهمر.
٤. الاستغفار المتواضع.
٥. الاستغفار الوقائي.
٦. الاستغفار الواعي.
فادعوه بها
مسألة وطلبًا
فادعوه بها
عبادة وعملًا
١. عليك بكثرة الاستغفار بنوعيه.
٢. ما أجمل التيسير على الناس!
٣. أكثِر من الحسنات.
٤. لا تغتر باستغفارك.
٥. اعفُ عن المسيء.
٦. استر ولا تفضح.
حاسب نفسك
تعرِف ربَّك



جاء اسم **الغفور** في القرآن في إحدى وتسعين آية، وأما اسم (الغفار) فقد جاء في خمس آيات.

وهو اسم من أسماء الجمال يزرع الحب في قلوب العباد، فاسم الغفور يقتضي مغفورًا، لديه من الذنوب ما يحتاج للمغفرة، فلو لم يكن في عباد الله من يخطيء ويذنب ليتوب الله عليه ويغفر له، لما ظهر أثر أسمائه التواب والغفور، وهو مثل الرزاق الذي يُجري رزقه على المرزوقين، والرحمن الذي يقسِم رحمته للمرحومين، ومثلها من بقية الأسماء.

أولاً: معنى اسم الله الغفور

المعنى اللغوي:

«أصل الغفر التغطية والستر، والمغفرة: التغطية، والمِغفر: هو حِلق يتقنع به المتسلح يقيه ويستره»[1].

المعنى في حق الله:

قال **الخطابي**:

«فالغفار: الستار لذنوب عباده، والمُسدِل عليهم ثوب عطفه ورأفته، ومعنى الستر في هذا: أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تُشهِره في عيونهم»[2].

وقال **الغزالي** في مزيد إيضاح وتفصيل لمعنى الستر:

«وأول ستره على العبد: أن جعل مفاتح بدنه التي تستقبحها الأعين مستورة في باطنه، مغطاة في جمال ظاهره، وكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقذارة، وفي القبح والجمال، فانظر ما الذي أظهره، وما الذي ستره؟!

وستره الثاني: أن جعل مستقر خواطره المذمومة وإرادته القبيحة ستر قلبه، حتى لا يطلع أحد على ستره، ولو انكشف للخلق ما يخطر بباله في مجاري وساوسه، وما ينطوي عليه ضميره من الغش والخيانة وسوء الظن بالناس لفتوه، بل سعوا في روحه وأهلكوه، فانظر كيف ستر أسراره وعورته.

وستره الثالث: مغفرته ذنوبه التي كان يستحق الافتضاح بها على ملأ الخلق، وقد وعد أن يُبدِّل سيئاته حسنات؛ ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته»[3].

(١) انظر لسان العرب ٥/ ٣٢٧٣، ٣٢٧٤.
(٢) تفسير الأسماء ص ٣٨.
(٣) المقصد الأسنى ص ٧٦.

ولأن المغفرة تتضمن الستر، فقد كان من دعاء **داود** عليه السلام:

«..، وأعوذ بك من جار سوء، ترعاني عيناه، وتسمعُني أذناه، إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيِّئة أذاعَها»[١].

ثم فصَّل **أبو حامد** في توضيح الفارق بين العفو والغفور فأجاد:

«العفُوُّ الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريبٌ من الغفور، ولكنه أبلغ منه، وإن الغفران ينبني عن الستر، والعفو ينبني عن المحو، والمحو أبلغ من الستر»[٢].

واجتماع اسمي (الغفور والعفو) فيه أجمل الكمال، فهو سبحانه يمحو أثر الذنوب نهائيًّا حتى يعفو أثرها، وأما تقديم الغفور على الرحيم في أكثر الآيات، فيقول عنه **ابن القيم**:

«وأما تقديم الغفور على الرحيم فهو أولى بالطبع؛ لأن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة تُطلَب قبل الغنيمة، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال **لعمرو بن العاص**:

«أبعثك وجهًا يسلِّمك الله فيه، ويُغنِّمك، وأرغب لك رغبة من المال».

فهذا من الترتيب البديع، بدأ بالسلامة قبل الغنيمة، وبالغنيمة قبل الكسب»[٣].

المبالغة في الغفران

في الحديث:

«إن ربك ليعجب من عبده إذا قال: ربِّ اغفر لي ذنوبي، وهو يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري»[٤].

فهو تعجب استحسان لإيمانه وقصره للغفران على ربه واعترافه بذنبه، لا تعجُّب اندهاش، كالذي ينشأ عند البشر من شيء غير متوقع أو غير معلوم، فالله تعالى يعلم ما كان وما يكون.

وهذا القول عملٌ يسير من العبد، لكن الغفور يستحسنه من العبد ويُعجَب به.

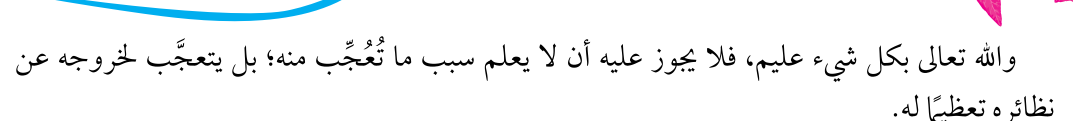
قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**، وهو يشرح معنى التعجب في حق الله:

«وأما قوله: (التعجب استعظام للمتعجب منه)، فيقال: نعم، وقد يكون مقرونًا بجهل بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره.

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني رقم: ٦١٨٠ - دار الحرمين - القاهرة.
(٢) المقصد الأسنى ص ١١٧.
(٣) بدائع الفوائد ١/ ٦٤.
(٤) صحيح: رواه أبو داود عن علي كما في السلسلة الصحيحة رقم: ١٦٥٣ وصحيح الجامع رقم: ٢٠٦٩.





والله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تُعُجِّب منه؛ بل يتعجَّب لخروجه عن نظائره تعظيمًا له.

والله تعالى يُعظِّم ما هو عظيم، إما لعظمة سببه، أو لعظمته، فإنه وصَفَ بعض الخير بأنه عظيم، ووصَفَ بعض الشر بأنه عظيم»[1].

هذا عملٌ يسير من العبد مرَدُّه إلى علمه بأن الله يغفر الذنوب، وهو علم بدَهي! ومع ذلك فالثواب رائعٌ سخيٌّ!

«قال الله تعالى: من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب، غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئًا»[2].



ثانيًا: الفارق بين الاستغفار والتوبة

الاستغفار نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة، فالمفرد: كقول **نوح** عليه السلام لقومه ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]، والاستغفار المفرد مثله مثل التوبة، بل هو التوبة بعينها مع تضمنه من طلب المغفرة من الله.

والاستغفار يشمل أمرين:

الأول: الستر، فلا يفضحك **الغفور** بالذنوب مهما كان قدرها وتكرارها، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

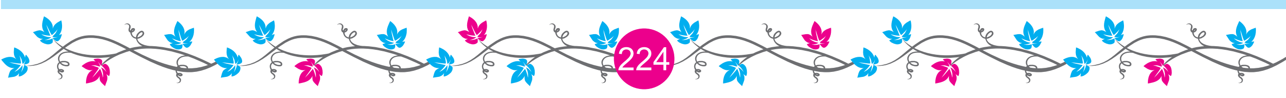
والثاني: إزالة أثر الذنب ووقاية شره في الدنيا والآخرة، ومن هنا قال **ابن تيمية**:

«المغْفِرَةَ معناها وِقاية شَرِّ الذَّنْب؛ بحيث لا يُعاقَبُ على الذَّنْب، فمن غُفِرَ ذَنْبُه لم يُعَاقَبْ عليه، وأما مجرد ستره فقد يُعاقَب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذنب باطنًا أو ظاهرًا، فلم يُغفَر له»[3].

الاستغفار هو طلب المغفرة، وهي الترياق الذي يعالج به العبد سموم الذنوب، وسموم الذنوب تربو على المائة، أحصاها **ابن القيم** في كتابه الداء والدواء، لكن الاستغفار يحصِّنك منها ويحميك؛ ولأن حقيقة الاستغفار تشمل الوقاية من شرِّ الذنب، فمن هنا جاء اسم (المِغْفَر)، وهو ما يضعه المقاتل على رأسه؛ ليتقي به ضربات السيوف في القتال.

والمغفرة أغلى أمنية عند عالي الهمة!

(١) الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال ص ٥٧ – ابن تيمية – ط مطبعة المدني.
(٢) حسن: رواه الطبراني والحاكم عن ابن عباس كما في المشكاة رقم: ٢٣٨٥.
(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣١٧.



قال **عبد الله بن عمر** رضي الله عنه:

«اجتمع في الحجر **مصعب بن الزُّبير، وعروة بن الزُّبير، وعبد الله بن الزُّبير، وعبد الله بن عمر**، فقالوا: تمنَّوا!، فقال **عبد الله بن الزبير**: أمَّا أنا، فأتمنَّى الخلافة، وقال **عروة**: أمَّا أنا، فأتمنَّى أن يؤخذ عنِّي العلم، وقال **مصعبٌ**: أمَّا أنا، فأتمنَّى إمرة العراق، والجمع بين **عائشة بنت طلحة وسُكينة بنت الحسين**، وقال **عبد الله بن عمر**: «أمَّا أنا، فأتمنَّى المغفرة»، قال: فنالوا كلُّهم ما تمنَّوا، ولعلَّ **ابن عمر** قد غفر له»(١).

وعند اجتماع لفظتي الاستغفار والتوبة، يكون المعنى مختلفًا، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى من السيئات، والتوبة: طلب وقاية شر ما يُستَقبل منها، لأننا هنا في مواجهة ذنبين:

ذنب مضى، والواجب: الاستغفار منه، أي طلب وقاية شره.

وذنب يخاف العبد وقوعه في المستقبل، والواجب: التوبة منه، أي العزم على أن لا يقع فيه.

وقالوا: تشترك التوبة والاستغفار في السعي لإزالة السيئات، إلَّا أنَّ الاستِغفار طلبٌ من الله لإزالتها بالقول، وأما التوبة فسَعْيٌ من العبد في إِزالتها بالفعل.



وقد شبَّهوا الفارق بين الاستغفار والتوبة، بأن المذنب بمنزلة من سلك طريقًا تؤدي لهلاكه، فلا بد له من أمرين إن أراد النجاة: أن يتوقف عن متابعة السير في طريق الهاوية عن طريق الاستغفار، ثم أن يرجع إلى طريقٍ غيره بالتوبة، ولهذا جاء الأمر الرباني مرتَّبًا: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]، فهو يمثِّل الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة طريق الباطل.

ثالثًا: أوقات الاستغفار

١- عَقِبَ الخروج مِنَ الخلاء

«كان إذا خرج من الغائط قال: غفرانك»(٢).

فإن قيل: ما الحكمة في هذا الدعاء عقيب الخروج من الخلاء؟

ففيه وجهان، الأول: أنه قد استغفر من تركه ذكر الله مدة لُبثه على الخلاء، فكأنه رأى ذلك تقصيرًا، وعدَّه على نفسه ذنبًا، فتداركه بالاستغفار.

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٠٩.
(٢) حسن: رواه أحمد وابن حبان والحاكم عن عائشة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٧٠٧.

والثاني: التوبة من تقصيره في شكر هذه النعمة؛ ولو منع الله عنه خروج الأذى لاشترى ذلك بكل ما يملك.

٢- بعد الوضوء

عن **أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ** ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«من توضَّأ فقال: سُبْحَانَكَ اللهُم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك، وأتوب إليك، كُتِبَ في رَقٍّ، ثُمَّ جُعِلَ في طابع، فلم يُكْسَر إلى يوم القيامة»[١].

وما جاور العبد في قبره من جار.. خيرٌ من كثرة استغفار! وإن الله لا يَمَلُّ من المغفرة حتى تملوا من الاستغفار.

٣- في الرُّكُوع والسُّجود

يُسنُّ الدُّعاء بالمغفرة في الرُّكوع، فقد روت **عائشة** ﷺ قالت: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأوَّل القرآن»[٢].

أي يُحقِّق قول الله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾.

٤- الجلوس بين السَّجدتين

روى **حذيفة** أنه صلَّى مع النَّبِيِّ ﷺ، فكان يقول بين السَّجْدتين:

«رَبِّ اغفر لي، رَبِّ اغفر لي»[٣].

وكذلك كان يقول في الجلسة بين السجدتين:

«رَبِّ اغْفِرْ لي وارْحَمْنِي واجْبُرْني وارفعني وارْزُقْني واهْدِني»[٤].

٥- عقب صلاة الفريضة

والاستغفار هو أول كلمة كان ينطق بها النبي ﷺ بعد الصلاة، وهو الاستغفار ثلاثًا، وذلك تعليمًا لأمته لجبر الكسر فيها، وتعويض فوات الخشوع وانشغال القلب الذي يعتريها.

وهي وصية **ابن تيمية** لكل عبد، وإن كان في الطاعات مجتهدًا، فقال يوصيه بالاستغفار كعلاج لعجز

(١) صحيح: رواه الحاكم رقم: ٢٠٧٢، والسنن الكبرى للإمام النسائي رقم: ٩٨٢٩ وصحيح الجامع رقم: ٦١٧٠.
(٢) صحيح: رواه الشيخان عن عائشة كما في مشكاة المصابيح رقم: ٨٧١.
(٣) صحيح: تخريج الكلم الطيب رقم: ٩٩.
(٤) صحيح: صحيح أبي داود رقم: ٧٩٦.

عرف ربَّه الغفور مَن استغفر ربه الاستغفار الشامل بالصيغ النبوية الجامعة.

العبد عن القيام بحقوق الغفار:

«فإن العَبْد لو اجتهد مهما اجْتهد لا يستطيع أن يقوم لله بِالْحَقِّ الذِي أوجبه عليه، فما يَسعه إلا الاستغفار والتَّوبة عقيب كل طاعة»[1].

٦- في الاستسقاء

لأن حبس المطر قد يكون بسبب ذنوب العبد، فيلزمه الاستغفار إن أراد أن يُغاث!

خرج **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه يستسقي يومًا، فصعد المنبر، فقال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾، ثم نزل، فقيل له: يا أمير المؤمنين، لو استسقيت، فقال: «لقد طلبت بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر»[2].

٧- في الأسحار

لقول ربنا في وصف المؤمنين: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

حين ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فينادي عباده: «مَنْ يستغفِرني فأغْفِر له؟!».

وهي عادة الصحابة التي لم تتخلف.

كان **عبد الله بن عمر** رضي الله عنه يحيي الليل ثم يقول: يا نافع، أسْحَرنا؟! فأقول: لا، فيعاود الصلاة ثم يسأل، فإذا قلت نعم، فهو يستغفِر.

ومثله **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه، فقد روى **إبراهيم بن حاطب** عن أبيه قال: سمعتُ رجلاً في السَّحر في ناحية المسجد، يقول: يا رب، أمرتني فأطعتك، وهذا سَحَرٌ؛ فاغفر لي. فنظرت، فإذا هو **ابن مسعود**[3].

٨- في ختام كل مجلس

من أكثر المعاصي عددًا، وأيسرها فعلاً، وأعظمها إهلاكًا للعبد: معاصي اللسان؛ ولهذا أهدى لنا رسول الله ﷺ هدية من أثمن الهدايا حين قال:

«من قال: سبحان الله وبحمده سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فإن قالها في مجلس ذِكرٍ كانت كالطابع يطبع عليه، ومن قالها في مجلس لغو، كانت كفارة له»[4].

---

(١) صحيح: تخريج الكلم الطيب رقم: ٩٩.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٦١ رقم: ٢٩٤٨٥.
(٣) تفسير القرطبي ٤/ ٣٩، ٤٠.
(٤) صحيح: رواه النسائي والحاكم عن جبير بن مطعم كما في الصحيحة رقم: ٨١.

ما عرف ربه الغفور مَن لم يستغفر الله عن كل ذنوبه استغفارًا عامًّا شاملاً.





رابعًا: من أسباب المغفرة

ثلاثية أسباب المغفرة

في الحديث القدسي:

«قال الله تعالى:

يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك، ولا أبالي..

يا ابن آدم، لوبلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي..

يا ابن آدم، لوأنك أتيتَني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»[1].

الأول: دعاءُ اللّه مع رجائه

فمِن أعظم أسباب المغفرة أنَّ العبدَ إذا أذنبَ ذنبًا لَم يرج مغفرته من غير ربِّه، ويحسن الظن بالله..

ويثق أنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فكيف بذنبه؟!

وأنه غفر لمن كان أثقل منه حملاً وأعظم وزرًا وأشد كفرًا..

وأنَّ أنين المذنبين أحب إليه من زجل المسبحين.

الثاني: الاستغفار

فإنَّ الذنوبَ ولو عظُمت وبلغت من الكثرةِ عنانَ السماء، فإنَّ اللهَ يغفرُها إذا طلبَ العبدُ من ربِّه المغفرة.

وأفضل الاستغفار ما اقترن به تركُ الإصرار، وهو حينئذ توبةٌ نصوح.

أستغفــرُ الله مِــنْ «أستغفرُ الله» ... من لفظة بدرت خالفتُ معناها

وكيفَ أرجو إجاباتِ الدعاء وقد ... سَدَدتُ بالذَّنب عند الله مجراها

الثالث: التوحيد

وهو السببُ الأعظمُ للمغفرة، فمَن فقده فقد المغفرة، ومَن جاء به فقد أتى بأعظمِ أسباب المغفرة.

الرابع: رفع الأذان

كما في الحديث:

«إن الله وملائكته يُصلّون على الصَّفِّ المقدَّم، والمؤذِّن يُغفَر له مَدَّ صوته، ويُصدِّقه من سَمِعَه مِنْ رَطْبٍ

(١) حسن: رواه الترمذي عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٤٣٣٨، والصحيحة رقم: ١٢٧.

عرف ربه الغفور مَن ستر غيره، ولم يسعَ لفضحه؛ رجاء أن يعامله اللّه بالمثل.



ويابس، وله مثل أجر من صلى معه»[١].

فمقدار المغفرة يكون بِحسب ما يبلغه صوت المؤذِّن، وكأن ما بين مكان أذانه وما يبلغ صوته ذنوبًا له متراكمة، فيأتي الأذان؛ لينسفها، ويمحو أثرها ويغفرها، فأي فضل وأي شرف مع أبسط عمل وأيسر سبب.

الخامس: الصلاة

كما في الحديث:

«إن كل صلاة تَحُطُّ ما بين يديها من خطيئة»[٢].

أي ما بين كل صلاة إلى الصلاة الأخرى، وشواهد معناه كثيرة، والمراد هنا الصغائر ما اجتُنِبَت الكبائر.



خامسًا: آداب الاستغفار

١- الاستغفار الجازم المتفائل

قال رسول الله ﷺ:

«إذا دعا أحدكم فلا يقُلْ: اللهم اغفر لي إن شئت، وليعزِم المسألة، وليُعَظِّمْ الرَّغْبَة، فإن الله لا يعظم عليه شيء أعطاه»[٣].

وعزم المسألة سببه أنه مهما عظمت ذنوبه وكثرت، فلا يُستبعَد على (الغفور) أن يغفرها، وأما تعظيم الرغبة فسببه أن العرب كانت قديمًا إذا سألَتَ الرجل منهم الشيء القليل، فكأنما تستبخِله أي تتهمه بالبخل، فقد دخل رجل على **مَعْنٌ بن زيد** يومًا، فقال: أريدك في حُويجة، فقال: اطلب لها رُجَيلاً!

كانت قصائد الشاعر **محمد بن أحمد يورة الديماني** (توفي عام ١٣٤٢ للهجرة) لا تتجاوز البيتين فقط، فكان آخر بيتين قالهما، ووجدوهما عند رأسه بعد موته:

أيا غافر الذنب العظيم وساترَه ... ويا من له ذلَّت رقاب الجبابرة
فَعلتَ بنا من أول الأمر كلِّه ... جميلاً فأتبِع أوَّلَ الأمرِ آخرَه

(١) صحيح: رواه أحمد والنسائي والضياء عن البراء كما في صحيح الجامع رقم: ١٨٤١.
(٢) صحيح: رواه أحمد والطبراني عن أبي أيوب كما في صحيح الجامع رقم: ٢١٤٤.
(٣) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي سعيد ومسلم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٣٠.



٢- الاستغفار الشامل

كان من دعاء النبي ﷺ:

«**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدَّمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، وأنت على كل شيء قدير**»[١].

وهو كما ترى يشمل كل ما يخطر ببالك أو لا يخطر.

وقد قالها النبي ﷺ تواضعًا أو تعليمًا لأمته.

وقوله: «**أنت المقدِّم وأَنت المؤخِّر**» أي تقدِّم بعض العباد إليك بالتوفيق لما ترضاه، وتؤخِّر بعضهم بخذلانهم وعدم توفيقهم.

٣- الاستغفار المنهمِر

ولكي يؤتي الاستغفار أثره المرجو فليكن كثيرًا، وكلما زاد الاستغفار أصبح أقرب إلى إزالة آثار الأوزار.

روى **مكحول** عن **أبي هريرة** قال:

ما رأيت أكثر استغفارًا من رسول الله ﷺ.

وقال **مكحول**:

ما رأيتُ أكثر استغفارًا من **أبي هريرة**.

وكان **مكحول** كثير الاستغفار[٢].

فانظر كيف يُعدي القوم بعضهم بعضًا بهذه العدوى المباركة، والتي أسأل الله أن ينالني وينالك بعد قراءة خبرهم بعض خيرهم، فنسير في نفس طريقهم.

أما عن عدد مرات استغفارهم الكثير، فقال عنه **أبو هريرة** رضي الله عنه:

«إِنِّي لأستغفِر الله عز وجل وأتوب إليه كل يوم اثني عشر ألف مرة، وذلك على قَدْرِ دِيَتي»[٣].

والاستغفار الكثير سببه معرفة العبد أن بذنوبه الكثيرة، لكن ماذا نفعل، وأذكر الناس اليوم ناسٍ، وأرقُّ القلوب قلبٌ قاس!

(١) صحيح: رواه الشيخان عن أبي موسى كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٦٤.
(٢) تفسير القرطبي ٤/ ٢١٠.
(٣) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني ٤/ ١٨٩١ رقم: ٤٧٦٢. الدية: مال يعطى لولي المقتول مقابل النفس، أو مال يعطى للمصاب مقابل إصابة أو تلف عضو من الجسم.

عرف ربه الغفور من استغفر بلسانه، وصدَّق ذلك بجوارحه وأركانه.

قال الحكيم عن سبب الاحتياج إلى الاستغفار الكثير:

«الآدمي لا يخلو من ذنبٍ أو عيب ساعةً فساعة، والعذابُ عذابان: أدنى وأكبر، فالأدنى عذابُ الذنوب والعيوب، فإذا كان العبد مستيقظًا على نفسه، فكلَّما أذنبَ أو أعتبَ أتبعهما استغفارًا، فلم يبق في وبالها وعذابها، وإذا لهى عن الاستغفار تراكمت ذنوبه، فجاءت الهمومُ والضيقُ والعُسر والعناء والتعب، فهذا عذابُه الأدنى، وفي الآخرة عذابُ النار، وإذا استغفر تنصَّلَ من الهمِّ، فصار له من الهمومِ فرجًا، ومن الضيقِ مخرجًا، ورزقَه من حيثُ لا يحتسبُ»[١].

٤- الاستغفار المتواضع

إن الاستغفار النافع ما كان بِذِلَّةٍ وانكسار، وما فائدة استغفارُ متكبِّرٍ مع صولة طائع؟!

في الحديث التالي كيف أن قولاً واحدًا قد يودي بصاحبه.

قال رسول الله ﷺ:

«إن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان. قال الله: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟! فإني قد غفرت لفلان وأَحْبَطتُ عملك»[٢].

وفي حديث آخر.. أنزل الله الوحي برسالة خاصة موجَّهة إلى أمثال هذا المتكبِّر:

«قال رجلٌ: لا يغفر الله لفلان! فأوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من الأنبياء: إنها خطيئة، فليَستقْبِل العمل»[٣].

٥- الاستغفار الوقائي

وهو الاستغفار لما لا تعلم من الذنوب التي تفرط منك دون أن تشعر، وكثيرة هي.

قال رسول الله ﷺ:

«الشركُ في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل».

فقال أبو بكر: فكيف الخلاصُ منه يا رسول الله؟ قال: أن تقول:

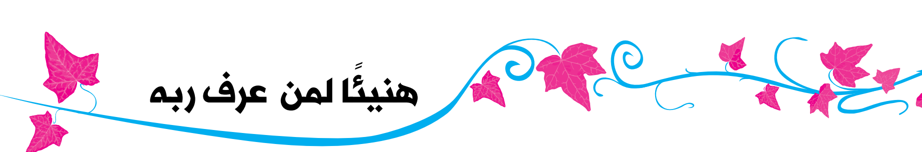
«اللهمَّ إنِّي أعوذ بك أن أُشركَ بك وأنا أعلمُ، وأستغفرُك لِما لا أعلم»[٤].

---

(١) فيض القدير ٦/ ٨٢.
(٢) صحيح: رواه مسلم عن جندب البجلي كما في الصحيحة رقم: ١٦٨٥ ومختصر مسلم رقم: ١٧٨٨.
(٣) صحيح: رواه الطبراني عن جندب كما في صحيح الجامع رقم: ٤٣٤٧.
(٤) صحيح: المسند ٤/ ٤٠٣، والأدب المفرد ٧١٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم: ٥٥١.

ما عرف ربه الغفور من كرَّر الاستغفار مع الإصرار على الأوزار.





٦- الاستغفار الواعي

قال **جمال الدين القاسمي**:

«واعلم أنه ليس كل استغفار نافعًا، ففي الخبر: المستغفر من الذنب وهو مُصِرٌّ عليه كالمستهزئ بآيات الله، وقال بعض السلف: (الاستغفار باللسان توبة الكذابين)، وقالت **رابعة**: (استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير)؛ وذلك لأن الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شَرِكَة، كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة: (أستغفر الله)، وكما يقول إذا سمع صفة النار: (نعوذ بالله منها) من غير أن يتأثَّر به قلبه، وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان، ولا جدوى له»[١].

ثم تابع نافيًا أن يكون مقصده التوقف عن الاستغفار بغفلة:

«الاستغفار باللسان حسنة؛ إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعات بغيبة مسلم أو فضول كلام، **فرابعة** بقولها: (استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير) لا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث أنه ذكر الله، بل تذم غفلة القلب، فهو محتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه»[٢].

سادسًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

الأول: عليك بكثرة الاستغفار بنوعيه

كان الإمام **أحمد** مرةً يمشي في الوحل ويتوقَّى، فغاصت رجله فخاض، فقال لأصحابه:

«هكذا العبد لا يزال يتوقَّى الذنوب، فإذا واقعها خاضها»[٣].

إن مثَل أول معصية كمَثَل الزُّحْلوقَةُ، التي يتدحرج بها العبد إلى أسفل بسرعة ودون أن يشعر، وهكذا رآها الإمام **أحمد**، فحذَّرنا.

وإن المعاصي قيود إبليس وحباله التي يأسرك بها، وهي سجن تسلطه عليك، وإذا قيَّد الشيطان قلبك حاصرته الآفات من كل جانب فأهلكته، وتمكَّنت منه، ومن هنا اشتدت حاجة العبد إلى الاستغفار؛ لأنه خطَّاء.

والاستغفار نوعان: الاستغفار الوقائي العام، والاستغفار العلاجي الخاص.

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ١/ ٢٧٨ - محمد جمال الدين القاسمي - دار الكتب العلمية.
(٢) السابق ١/ ٢٧٩.
(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/ ٨٢.

عرف ربه الغفور من استغفر فور الزلل ومحاه بصالح الأعمال.

الاستغفار العام: هو الذي يحتاط به العبد من الذنب قبل وقوعه، ويقضي به على خواطر النفس وهواها، ويكبحها عن طغيانها.

أما الاستغفار الخاص: فيبادر فيه العبد فور الوقوع في العصيان، أو إذا استجاب للشيطان في لحظة شهوة أو نسيان، فمهما بلغت عظمة الذنب، فإن باب الغفور لا يُغلَق.

استغفار الحبيب

ولِمَ الاستغفار، وهو ﷺ المعصوم من الذنوب؟!

سببان:

أحدهما: تعليمًا لأمته لأهمية الاستغفار، وضرورة المداوامة عليه.

الثاني: أنه كان يستغفر لِنَفسه عن تقصير الطَّاعاتِ لا الذُّنوب، فرُبَّما شُغِل بِطاعة عن طاعة، كما شُغِلَ ﷺ عن الرَّكعتين بعد الظُّهْر بِوفد تميم، فصلَّاهما بعد العصر، فكان استغفاره لِلتقصير في طاعة انشغالاً بطاعة أخرى.

وإليك نماذج من استغفاره:

في حديث **الأغرِّ المُزَني** رضي الله عنه:

«إنه ليَغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[1].

قال **العارف الشاذلي**:

«هذا غين أنوار لا غين أغيار؛ لأنه كان دائم الترقي، فكلما توالت أنوار المعارف على قلبه ارتقى إلى رتبة أعلى منها، فيعُدُّ ما قبلها كالذنب، فليس ذلك الغين غين حجابٍ ولا غفلة»[2].

في حديث **عبد الله بن عمر** رضي الله عنه: «إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس يقول:

«رب اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الغفور مائة مرة»[3].

وفي رواية **أبي داود**:

«رب اغفر لي وتُبْ عليَّ؛ إنك انت التواب الرحيم »[4].

(١) صحيح: رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن الأغر المزني كما في صحيح الجامع رقم: ٢٤١٥.
(٢) فيض القدير ٣/ ١١.
(٣) صحيح: رواه ابن ماجة عن ابن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ٣٤٨٦ والصحيحة رقم: ٥٥٦.
(٤) صحيح: رواه أبو داود عن ابن عمر كما في صحيح أبي داود رقم: ١٣٥٧.

ما عرف ربه الغفور من لم يحافظ على ورد استغفاره اليومي.





وفي الحديث: «استغفروا ربكم، إني استغفر الله وأتوب إليه كل يوم مئة مرة»[1].

وعند النوم: «كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: بسم الله وضعت جنبي.. اللهم اغفر لي ذنبي، واخسأ شيطاني، وفكَّ رِهاني، وثقِّل ميزاني، واجعلني في الندِيِّ الأعلى»[2].

«واخسأ شيطاني»: أي اجعله خاسئًا مطرودًا، وامنعه من الوسوسة لي، وتثبيطي عن طاعتك.

«وفكَّ رهاني»: أي خلِّصني من آثار ما اقترفت نفسي من الأعمال التي لا ترتضيها بأن تعفو عنها، والرِّهان هو الرَّهن الذي يُجعَل لضمان سداد الدَّيْن، والمراد هنا نفس الإنسان؛ لأنها مرهونة بعملها ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾.

«والندِيِّ الأعلى»: هو النادي وهو المجلس المجتمع؛ لأن القوم يجتمون فيه، فإذا تفرقوا لم يكن نديًّا، ويريد به الملأ الأعلى من الملائكة، أي اجعلني من المجتمعين في الملأ الأعلى مع الملائكة.

قال **المناوي**:

«وهذا دعاءٌ يجمع خير الدنيا والآخرة، فتتأكَّد المواظبة عليه كلما أريد النوم»[3].

وأتمُّ صيغ الاستغفار أنْ يبدأ العبدُ بالثَّناء على ربِّه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة، وأكملها ما ثبت في صحيح **البخاري** عن **شدَّاد بن أوس** رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال:

«سيِّدُ الاستغفار أن يقول العبدُ: اللهمَّ أنت ربِّي لا إله إلاَّ أنت، خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِك ووعدِكَ ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمَتِك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلاَّ أنتَ»[4].

ولأنه دعاءٌ عظيم كان ثوابه عظيمًا، فمن قال هذا الدعاء نهارًا، فمات من يومه دخل الجنة، ومن قاله حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة.

وظل ديدن النبي ﷺ الاستغفار حتى وهو على فراش الموت! فقد روى **البخاري** عن **عائشة** رضي الله عنها أنَّها سمعت رسول الله ﷺ وأصْغَت إليه قبل أن يموت وهو مسنِدٌ إليها ظهرَه، يقول:

«اللهمَّ اغفر لي وارحمني وألحِقني بالرفيق الأعلى»[5].

(١) صحيح: رواه البغوي عن الأغر كما في الصحيحة رقم: ١٤٥٢ وصحيح الجامع رقم: ٩٤٤.
(٢) صحيح: رواه أبو داود والحاكم عن أبي الأزهر كما في صحيح الجامع رقم: ٤٦٤٩.
(٣) فيض القدير ٥/ ٩١.
(٤) صحيح: رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار رقم: ٦٣٠٦.
(٥) صحيح: رواه الشيخان عن عائشة كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٦٧.

عرف ربه الغفور من حافظ على وِرد استغفار يومي بالمأثورات.



استغفار الصدِّيق الأشهر

سأل **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه النبي ﷺ دعاء يدعو به في صلاته (وهو دعاء قيَّده بعض العلماء بعقب التشهد)، فقال له:

«قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»[1].

فعلَّمه النبي ﷺ هذا الدعاء من جوامع الدعاء، ومن أفضل صيغ الاستغفار، وأكثرها تأثيرًا على القلب وتهذيبًا له، وأرجاها للفوز بالمغفرة والرحمة.

وهو من أكمل الدعاء وأشرفه، والسبب في ذلك يفصِّله **ابن القيم**، فيقول:

«والدعاء ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته، وهذا أحد التأويلين في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف ١٨٠].

والثاني: أن تسأله بحاجتك وفقرك وذُلِّك، فتقول أنا العبد الفقير المسكين البائس الذليل المستجير، ونحو ذلك.

والثالث: أن تسأل حاجتك، ولا تذكر واحدًا من الأمرين، فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة، كان أكمل.

وفي الدعاء الذي علَّمه **صديقَ الأمة** رضي الله عنه ذكَر الأقسام الثلاثة، فإنه قال في أوله «ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا» وهذا حال السائل، ثم قال «وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» وهذا حال المسؤول، ثم قال «فاغفر لي» فذكَر حاجته، وختم الدعاء باسمين من الأسماء الحسنى تُناسِب المطلوب وتقتضيه»[2].

وفي هذا الدعاء خمس إشارات وخمس فوائد:

فالإشارات الخمسة:

الأولى: اعتراف العبد بظلمه لنفسه، مؤكدًا ذلك بقوله «إني»، والذي يقتضي ثبوت ظلمه وتحققه منه.

الثانية: أكَّد الظلم مرة ثانية بذكر المصدر «ظلمًا» ليأكِّد وقوع الظلم منه بغير عذر مقبول ولا حُجَّة واضحة.

(١) صحيح: رواه الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن ابن عمر وأبي بكر كما في صحيح الجامع رقم: ٤٤٠٠.
(٢) جلاء الأفهام ١/ ١٥٣.

ما عرف ربه الغفور من لم يغفر زلات البشر واستقصاها.





الثالثة: وصف هذا الظلم بالكثرة «كثيرًا».. إشاراة إلى تعدد أشكال الظلم وتكرره.

الرابعة: نسب الفضل في المغفرة إلى الله، فقال: «فاغفر لي مغفرة من عندك» أي من مَحْض فضلك، ومن غير سابِقة استحقاق مني، فلا أنالها بعملي ولا سعيي؛ بل عملي كله لا يصلح أن يكون ثمنًا لمغفرتك. قال **ابن الجوزي:**

«المعنى: هب لي المغفرة تفضلاً، وإن لم أكن لها أهلاً بعملي»[1].

ومعنى ثانٍ لقوله «من عندك»:

أي مغفرة تليق بعظمتك وكرمك.

ومعنى ثالث:

وإن كان الكل من عند الله، إلا أنني أطلب هنا مغفرة عظيمة خاصة غير مغفرة عموم الخلق.

ونكَّر كلمة «مغفرة» للتعظيم؛ لأنه لا يمحو الذنب الكبير إلا مغفرة واسعة عظيمة.

وفيه إظهار الافتقار والاضطرار، فليس للعبد حيلة في دفع الذنوب إلا بالله، وفيه هضم النفس والاعتراف بالتقصير.

الخامسة: طلب الرحمة «وارحمني»: أي ليس اعتمادي إلا على رحمتك، فإن رحمتني وإلا هلكتُ!

ولماذا كان طلب الرحمة بعد المغفرة؟!

لأن المغفرة في اللغة -كما مرَّ بك- هي التغطية والستر، وقد يُغطَّى الشيء ولا يُمحى، فلما أتبع سؤال المغفرة بطلب الرحمة كان طلبًا لمحو السيئات، وتطييب أثرها.

وقالوا: المغفرة ستر الذنوب، والرحمة إيصال الخيرات، ففي الأول طلب الزحزحة عن النار، وفي الثاني طلب دخول الجنة، وذلك هو الفوز العظيم.

وأما الفوائد الخمسة:

الأولى:

في الدعاء دليلٌ على أن الواجب على العبد أن يكون على خوف دائم في جميع أحواله، ولو كان من أهل الاجتهاد في العبادة، فإذا كان **الصديق** رضي الله عنه مع عظيم فضله وسبقه لم يسلم مما يحتاج معه إلى الاستغفار، فكيف بِمَن دونه من أصحاب الأوزار والآثام؟!

(١) فتح الباري لابن حجر ٢/ ٣٢٠.

الثانية:

استحباب إظهار الافتقار والاضطرار؛ ليستحق العبد عطاء ربه وتنزل رحماته، مع تبرُّئه من الفخر بالاستقامة والعجب بالطاعة والركون إلى العبادة.

الثالثة:

أن الإنسان لا يخلو من تقصير ولو كان صدِّيقًا، فالإنسان عظيم التَّقْصِير؛ لأن نعم الله عليه لا نهائية، وطاقته لا تطيق أداء أقل القليل من شكر هذه النعم، بل شكره من جملة النعم التي تحتاج إلى شكر، فما بقي له إلا العجز والاعتراف بالتقصير.

الرابعة:

هذا الدعاء مفتاح عطاء؛ لأنك إذا تطهرت من ظلم نفسك، وغفَر الله لك ورحمك، كان هذا مقدمات إجابة دعائك وتلبية طلباتك، فلا حاجز من ظلم أو ذنب يمنعك من العطاء، فكأن رسول الله ﷺ يهتف فيك:

هذا الدعاء يزيل كافة الحواجز بينك وبين العطاء، فاطلب بعده ما تشاء، واطمع معه في حسن الجزاء.

الخامسة:

هذا الدعاء مفتاحٌ للتفكر في ذنوبك الكثيرة!

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**، وهو يذكِّرك بذنوبك؛ لتستغفر الله منها:

«الذنوب تتنوع، وهي كثيرة لها شعب:

فمنها:

من باب الضلال في الإيمان: كالفخر، والخيلاء، والحسد، والكبر، والرياء، وتوجد في الناس الذين هم متعففون عن الفواحش.

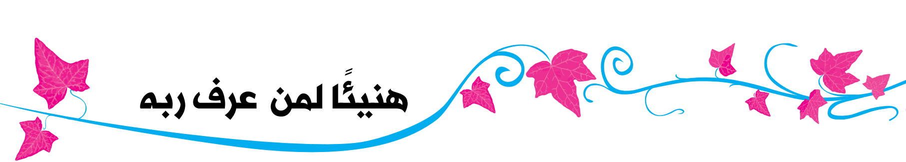
وكذلك الذنوب التي هي ترك الواجبات، والإخلاص، والتوكل على الله، ورجاء رحمته، وخوف عذابه، والصبر على حكمه، والتسليم لأمره، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونحوه، وتحقيق ما يجب من المعارف والأعمال مما يطول ذكره.

فإذا علم ذلك، فظلم العبد نفسه، يكون بترك ما ينفعها، وهي محتاجة إليه، أو بفعل ما يضرها.

كما أن ظلم الغير كذلك، إما بمنع حقه، أو التعدي عليه.

والنفس إنما تحتاج من العبد إلى فعل ما أمر الله به، وإنما يضرها فعل ما نهى عنه، فظلمها لا يخرج عن ترك





حسنة، أو فعل سيئة»[١].

الثاني: ما أجمل التيسير على الناس

فمن يسّر على الناس نال أجره في الآخرة: مغفرة الذنوب من ستّار العيوب.

عن **ربعي بن حراش** قال: جلست إلى **حذيفة وأبي مسعود الأنصاري**، فقال أحدهما لصاحبه:

حدِّث ما سمعت من رسول الله ﷺ، فقال الآخر:

بل حدِّث أنت وأُصدِّقك أنا.

فحدَّث أحدهما وصدَّقه الآخر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يؤتى برجلٍ يوم القيامة، فيُقال: انظروا في عمله، فيقول: ربِّ ما كنت أعمل خيرًا، غير أنه كان لي مال وكنت أخالِط الناس، فمن كان موسرًا يسَّرتُ عليه، ومن كان معسرًا أنظَرْتَه إلى ميْسَرَتِه، فقال الله تعالى: «أنا أحق من يسَّر، فغفر له».

قال: صدقت، سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك[٢].

وقد ورد في شمائله ﷺ أنه:

«كان يُحِبُّ ما خَفَّ على الناس»[٣].

والمحب يحب ما أحب حبيبه، وعن **عائشة** رضي الله عنها:

«وإن كان رسول الله ﷺ لَيَدعُ العملَ -وهو يحبُ أن يعمل به-؛ خشية أن يَعملَ به الناس، فيُفْرَضَ عليهم»[٤].

وهذا التيسير على المعسرين سبب من أسباب المغفرة خاصة ما كان في السوق وعند الصفقات والتجارات.

قال رسول الله ﷺ:

«غَفَرَ الله لرجل ممن كان قبلكم، كان سهلاً إذا باع، سهلاً إذا اشترى، سهلاً إذا اقتضى»[٥].

(١) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام ٣/ ٨ - شمس الدين السفاريني الحنبلي - زارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر - سوريا.
(٢) معجم الطبراني رقم: ٦٤٥.
(٣) مسند أحمد رقم: ٢٥٣٥٠، ورواه الترمذي والبيهقي وحسنه البخاري (انظر بلوغ الأماني ١٥/ ٢٣).
(٤) صحيح: صحيح سنن أبي داود عن عائشة رقم: ١١٧٠.
(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذي والبيهقي عن جابر كما في صحيح الجامع رقم: ٤١٦٢.



الثالث: أكثِر من الحسنات

وذلك إن أردت حصول المغفرة؛ لأنها من أسباب حصول مغفرة الله للسيئات السالفة ومحوه للذنوب المهلكة، قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

قال **الرافعي** في ضوء فهمه لدور الحسنات الفعال في محو السيئات:

«إن كنتَ أصبتَ في الساعات التي مَضَت، فاجتهِد للساعات التي تتلو، وإن كنت أخطأت، فكفِّر وامْحُ ساعة بساعة، الزمن يمحو الزمن، والعمل يُغيِّر العمل»(١).

الرابع: لا تغتر باستغفارك

إن معرفتك لاسم الله **الغفور** ليس معناه أن يسرف العبد في الخطايا والذنوب ويتجرأ على العصيان؛ لأن المغفرة لا تكون إلا بشروطها وانتفاء موانعها، قال سبحانه: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٢٥]، وقال ﷻ: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النمل: ١١].

والأمر كما قال **أبو حامد الغزالي** في تمييزه بين الرجاء الكاذب والصادق:



«كل من طلب أرضًا طيبة، وألقى فيها بذرًا جيدًا غير عفن ولا مسوس، ثم أمده بما يحتاج إليه، وهو سوق الماء إليه في أوقاته، ثم نقى الشوك عن الأرض والحشيش، وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده، ثم جلس منتظرًا من فضل الله تعالى، ودفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع، ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء..

وإن بثَّ البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصبُّ إليها الماء، ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً، ثم انتظر الحصاد منه؛ سُمِّي انتظاره حمقًا وغرورًا لا رجاء، وإن بثَّ البِذر في أرض طيبة، ولكن لا ماء لها، وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضًا سمي انتظاره تمنيًا لا رجاء»(٢).

الخامس: اعفُ عن المسيء

ومن عرف ربه **الغفور** غفر للآخرين، وعفا عن المسيئين.

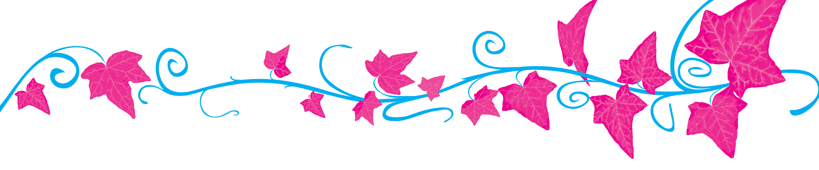
قال سبحانه في صفات المتقين: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

---

(١) وحي القلم ١/ ٢٨٦، ٢٨٧.
(٢) الإحياء ٤/ ١٤٣.

ما عرف ربه الغفور من فضح ولم يستر، وأفشى السرَّ ولم يكتم.





يقول **ابن القيم** في سرده لبعض حِكَم التخلية بين العبد وبين الذنب:

«الحادي عشر: أن يعامل عباده في إساءتهم إليه وزلاتهم معه، بما يحب أن يعامله الله به»[1].

جلس **ابن مسعود** في السوق يبتاع طعامًا فابتاع، ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حُلَّت، فقال:

لقد جلست وإنّها لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها، ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كذا، فقال **عبد الله**:

«اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارِك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذَّنب، فاجعله آخر ذنوبه»[2].

ودخل رجل على **عمر بن عبد العزيز**، فجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه ويقع فيه، فقال له **عمر**:

«إنَّك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خيرٌ لك من أن تلقاه وقد اقتصَصْتها»[3].

ولذا خرج الراشد الخامس بهذه النتيجة التي استقاها من معايشته لصحابة رسول الله ﷺ:

«أحب الأمور إلى الله ثلاثة: العفو في القدرة، والقصد في الجدة، والرفق في العبادة، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة»[4].

وقد سبق وأن تعلَّم هذا العفو من جدِّه **الفاروق عمر بن الخطاب** رضي الله عنه الذي كان يُعلِن:

«كلُّ النّاس منّي في حِلٍّ»[5].

وبقي أن نتعلم ذلك منهما إن أردنا اللحاق بهما.

السادس: استر ولا تفضح

المؤمن يعامل الناس بما يعامله به ربه، فيحب الستر، ويكره أن يكون سببًا في فضيحة غيره، ويستر المذنب بطرف ثوبه، ويتمنى لو أحسن وتاب في السر كما أساء في السر.

قيل **لأبي تميمة الهُجَيْمِيِّ**:

كيف أصبحت؟

(١) طريق الهجرتين ص ١٦١ – ط دار الحديث.
(٢) الإحياء ٣/ ١٩٦.
(٣) الإحياء ٣/ ١٨٣.
(٤) روضة العقلاء ١/ ١٦٧.
(٥) الآداب الشرعية ١/ ٧١.

عرف ربه الغفور من عفا عند المقدرة، وقابل السيئة بالمغفرة.

قال:

«أصبحتُ بين نعمتين أميل بينهما، لا أدري أيتهما أفضل ما ستره الله علي، فلا أخاف أن يرميني به أحد، ومودة رزقني من الناس بعزة ربي ما بلغه عملي»[1].

وقد اعترف الإمام الكبير حافظ العصر **سُفْيان بن عُيَيْنة** بستر الغفور له؛ والذي لولاه لانفضح:

«لولا سِتر الله عزَّ وجلَّ ما جالسَنا أَحدٌ»[2].

وما أجمل قول القائل:

إذا أُخْبِرْتَ عن رَجُل بـريءٍ ... من الآفات ظاهُرُه صحيحُ
فَسَلْهُم عنه هل هو آدمـيٌّ ... فإنْ قالوا نعم فالقول رِيْحُ
ولكن بعضُنـا أهلُ اسْتِتـارٍ ... وعنـد الله أجمعُنـا جريحُ
ومن إنْعَـام خالقنـا علينـا ... بأَنَّ ذنوبَنـا ليست تفـوح
فلو فاحَت لأصبحنـا هروبًا ... فُرادى في الفَلا ما نستريحُ
وضاق بِكُلِّ مُنْتَحِلٍ صلاحًـا ... لِنَتْنِ ذنوبه البلدُ الفَسيحُ

ثامنًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تُبْتُ إليك منه ثم عُدت إليه.

وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أُوَفِّ لك به.

وأستغفرك من كل عملٍ أردتُ به وجهك فخالطه غيرك.

وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها عليَّ فاستعنت بها على معصيتك.

وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته في ضِياء النهار وسواد الليل؛ في ملأ أو خلاء؛ وسِرٍّ وعلانية.

أسألك باسمك الغفور..

شفيعي لديك إقراري بذنبي، وحجتي لديك انقطاع حجتي! يا كريمًا واسع المغفرة إذا ضاقت بالمسيء المعذرة.

(١) شعب الإيمان ٦/ ٢٨٨.
(٢) شعب الإيمان ٦/ ٢٩٠.

ما عرف ربه الغفور من أصر على الأوزار فأهمل الاستغفار.





أسألك باسمك الغفور..

أخرست المعاصي لساني، فما لي وسيلةٌ عن عملٍ ولا شفيعٍ سوى الأمل.

أسألك باسمك الغفور..

لم تُبقِ ذنوبي لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها، ولكنك أكرم الأكرمين والغفور الرحيم.

أسألك باسمك الغفور..

ذنوبي وإن كانت عظاما ولكنها صغارٌ في جنب عفوك، فهَبْها لي يا خير الغافرين.

أسألك باسمك الغفور..

أنا العوّاد إلى الذنوب، وأنت العوّاد بالمغفرة.. أنا العبد وأنت الرب!

أنا الهاتك سترك بالسيئات، وأنت المسبل عليَّ سترك في الخلوات..

أسألك باسمك الغفور..

ما أمرْتَنا بالاستغفار إلا وأنت تريد المغفرة، ولولا كرمك علينا ما ألهمتَنا المعذرة.

أسألك باسمك الغفور..

استغفاري مع إصراري لؤم، وتركي الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك عجز، فأنا بين اللؤم والعجز أتقلَّب، وأنت بالمغفرة والرحمة تتفضَّل.

أسألك باسمك الغفور..

يا مبتدئ النوال قبل السؤال، وواهب الإفضال فوق الآمال، ونحن لا نرجو إلا غفرانك، ولا نطلب إلا إحسانك...

أسألك باسمك الغفور..

أنت المحسن وأنا المسيء، وعادة المحسن إتمام الإحسان، وعادة المسيء الاعتراف بالعدوان.

أسألك باسمك الغفور..

إن كنا لا نقدر على التوبة والاستغفار، فأنت تقدر على الرحمة ومغفرة الأوزار.

أسألك باسمك الغفور..

كما مننت علينا بالستر والعافية حَال الذَّنب والأوزار، فلا تَحْرِمنَا المغفرة والرَّحمة حال الذُّلِّ والافتقار.

عرف ربه الغفور من لم يُصِرّ على الأوزار بإهمال الاستغفار.





تاسعًا: حاسب نفسك تعرف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تُسرِع إلى التوبة والاستغفار فور وقوع الذنب، أم يتأخر ذلك منك؟			
٢	هل تستغفر الله لما لا تعلمه كما تستغفره لما تعلمه؟			
٣	هل تذكر دعاء كفارة المجلس في ختام كل مجلس؟			
٤	هل تستغفر ربك بحضور قلب، واستجلاب دمع؟!			
٥	هل تتجاوز عن المعسرين طمعًا في أن يعاملك الله بالمثل؛ فيتجاوز عنك؟			
٦	هل تنوي بكل عملٍ صالح محو ذنب وتكفير خطيئة؟			
٧	هل تحافظ على سيد الاستغفار كل يوم وليلة؛ طمعًا في الفوز بالجنة؟!			

ما عرف ربه الغفور من استعظم ذنبه، فاستمَرأ بُعدَه وأغضب ربَّه.

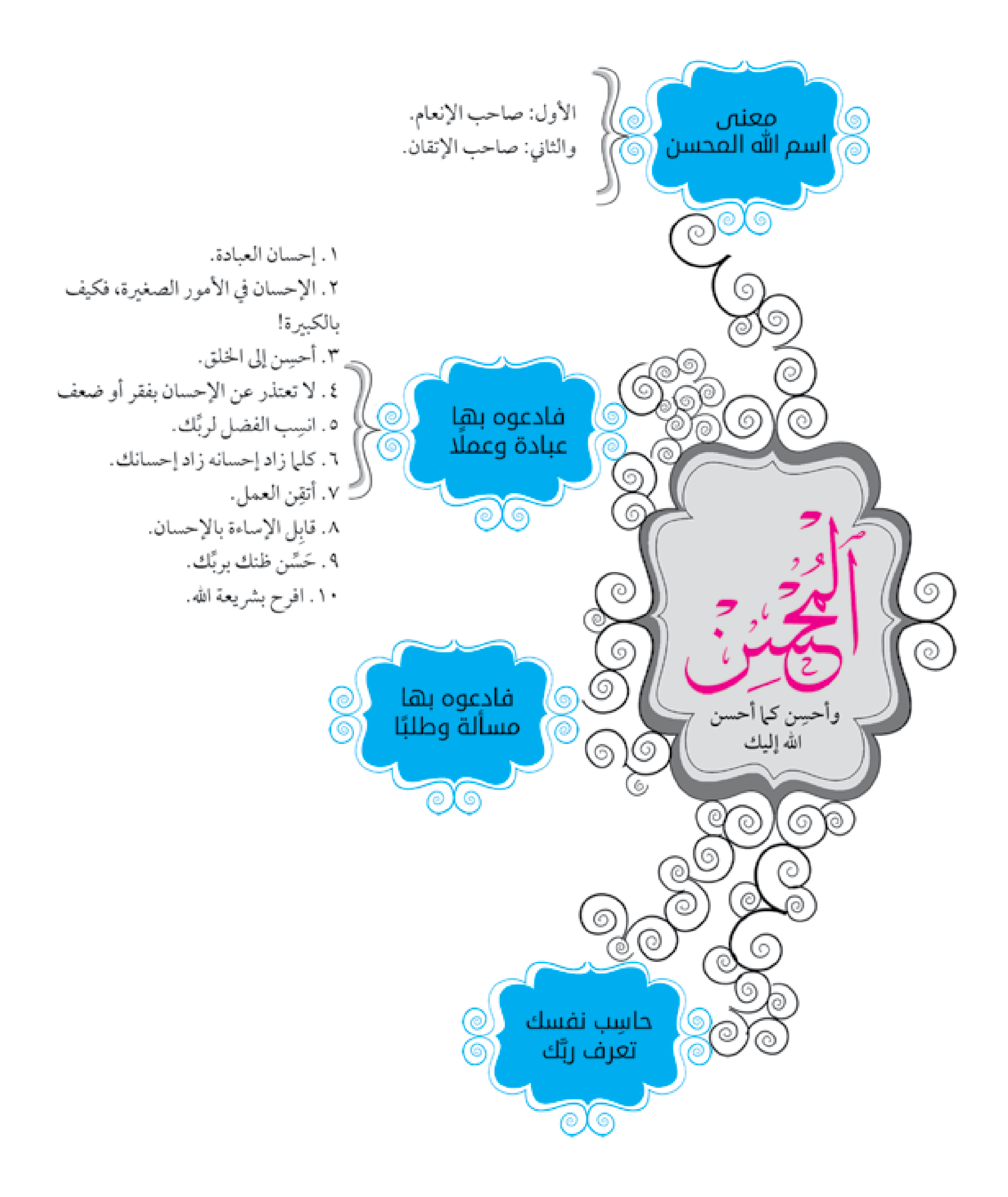


وأحسِن كما أحسن الله إليك

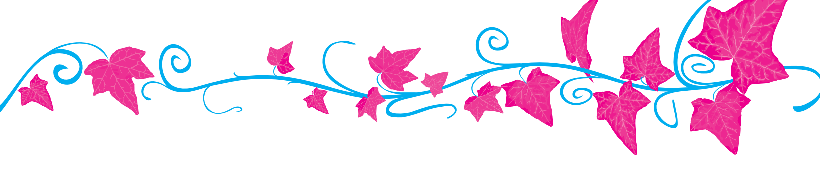
هو من الإتقان (الذي أتقن كل شيء خلقَه)، وهو صاحب الإنعام البالغ على عباده.

وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ

- [x] الصلاة.
- [ ] الصيام.
- [x] إخلاص النية.
- [x] بر الوالدين.
- [ ] طلب العلم.
- [ ] قيام الليل.
- [ ] صدقة السر.
- [ ] حسن الخلق.
- [ ] الصدقة.
- [ ]



معنى اسم الله المحسن
الأول: صاحب الإنعام.
والثاني: صاحب الإتقان.
فادعوه بها عبادة وعملًا
١. إحسان العبادة.
٢. الإحسان في الأمور الصغيرة، فكيف بالكبيرة!
٣. أحسِن إلى الخلق.
٤. لا تعتذر عن الإحسان بفقر أو ضعف
٥. انسِب الفضل لربِّك.
٦. كلما زاد إحسانه زاد إحسانك.
٧. أتقِن العمل.
٨. قابِل الإساءة بالإحسان.
٩. حَسِّن ظنك بربِّك.
١٠. افرح بشريعة الله.
المُحسِن
وأحسِن كما أحسن الله إليك
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسِب نفسك تعرف ربَّك



أولاً: معنى اسم الله المُحسن

لم يرد ذكر اسمه سبحانه المحسن في القرآن الكريم، وإنما ورد بصيغة الفعل، فقال الله تعالى: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القصص: ٧٧]، ولكن ورد اسم المحسن في السُّنة المطهرة، فعن **أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا حكمتم فاعدِلوا، وإذا قُلتُم فأحسِنوا، فإن الله محسنٌ يُحِبُّ الإحسان»(١).

قال **المناوي** في قوله ﷺ: «إن الله محسنٌ»:

«أي: الإحسان له وصفٌ لازم، لا يخلو موجودٌ عن إحسانه طَرفَة عين، فلا بد لكل مُكوِّن من إحسانه إليه بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد»(٢).

وفي حديث **شداد بن أوس** رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسِنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُحِدَّ أحدكم شفرته، وليُرِحْ ذبيحته»(٣).

وقوله «كل شيء».. إشارة إلى تعدُّد وجوه الإحسان، وعدم حصرها أو إمكان عدِّها كما تشير إليه كلمة «كل شيء»، فكل عمل مهما ظهر بسيطًا أو لا قيمة له داخل في دائرة الإحسان.

لكن.. أي إحسان في القتل والذبح؟!

والجواب: عليك أن تُحِدَّ شفرتك عند الذبح، ولا تقوم بذلك أمام حيوان آخر كي لا يتأذَّى، وقد مرَّ رسول الله ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يُحِدُّ شفرته، وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال:

«أفلا قَبل هذا! أتُريد أن تُميتَها موتتين»(٤).

في الرجم مثلاً.. يُسَنُّ أن تكون الحجارة التي سيتم بها الرجم وسطًا، لا كبيرة تُهلِك بضربة واحدة، ولا صغيرة تؤذي وتطيل وقت إزهاق الروح..

وفي الجلد ضربٌ بين ضربين، فلا ضرب يهلك، ولا خفيف لا يؤلم.

ووقته بين وقتين، فلا في وقت البرد شديد، ولا في الحر الشديد.

---

(١) صحيح: رواه ابن عدي في الكامل ٦/ ٢١٤٥، وأبو نعيم في أخبار أصبهان ٢/ ٢١٣، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ٤٧٠.
(٢) فيض القدير ٢/ ٢٦٤.
(٣) صحيح: رواه أحمد ومسلم والأربعة عن شداد بن أوس كما في صحيح الجامع رقم: ١٧٩٥.
(٤) صحيح: رواه الطبراني والبيهقي كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٤.

عرف ربه المحسن مَن أحسن عبادته، وسأله العون عليها باستمرار وافتقار.

والخلاصة: إن استحكام خلق الإحسان في النفس يجعلها تعتاد الإحسان والإتقان في كل الأمور، في صغائرها وعظائمها.

والإحسان على وجهين:

الأول: الإنعام على الغير، فيقال: أحسن إلى فلان، ومنه ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾..

والثاني: الإتقـان في الفعل، ومن ذلك قوله تعـالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، وقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

من عظيم إحسان الله

إحسان اللّه إليك فاق كل الحدود، يا جحود!

حتى المصيبة التي تُبتَلى بها لا تخلو من إحسان، فما أصيب عبدٌ بمصيبة إلا وكان له فيها أربع نِعَم، أرشدنا إليه **الفاروق بن الخطاب** رضي الله عنه فقال:

«ما ابتُليتُ ببلاء إلا كان لله تعالى عليَّ فيه أربع نعم:

إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم، وإذ لم أُحرَم الرِّضا به، وإذ أرجو الثواب عليه»[1].

ولذا قالوا:

«العطاء من الخلق حرمان، والمنع من الله إحسان».

إحسان كل لحظة

قال **ابن القيم**:

«لا أحد أعظم إحسانًا من الله سبحانه، فإن إحسانه على عبده في كل نَفَس ولحظة، وهو يتقلَّب في إحسانه في جميع أحواله، ولا سبيل له إلى ضبط أجناس هذا الإحسان، فضلاً عن أنواعه أو عن أفراده، ويكفي أن من بعض أنواعه: نِعمة النَّفَس التي لا تكاد تخطر ببال العبد، وله عليه في كل يوم وليلة فيه أربعة وعشرون ألف نعمة، فإنه يتنفس في اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفَس، وكل نفَسٍ نعمة منه سبحانه، فإذا كان أدنى نعمة عليه في كل يوم أربعة وعشرين ألف نعمة! فما الظن بما فوق ذلك وأعظم منه؟! ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

هذا إلى ما يصرف عنه من المضرات وأنواع الأذى التي تقصده، ولعلها توازن النعم في الكثرة، والعبد

(١) مختصر منهاج القاصدين ٢٩٣.

ما عرف ربه المحسن مَن لم يحسن عبادته، ولم يسأل ربه العون على ذلك.





لا شعور به بأكثرها أصلاً، والله سبحانه يكلؤه منها بالليل والنهار كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء:٤٢]»[١].

المضادة في المعاملة

والمح دوَام إِحْسَان **المحسن** إليك رغم مخالفتك لأمره، وحلمه عَنْك مَعَ إعراضك عَن ذكره، وستره عَلَيْك مَعَ قلَّة حيائك منه، وغناه عنك مع شدة افتقارك إليه، وقد مرَّ بك حديث:

«ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدَّعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم»[٢].

فإحسان الله لهؤلاء على كفرهم وعلى ضلالهم لم ينقطع، وقد امتنَّ الله على كفار قريش بنعمة الأمن، فقال:

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾

وما أعظم قول **أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي** في كتاب الفنون عن بعض ملامح إحسان الله:

«لقد عظَّم اللهُ ابنَ آدم؛ حيث أباحَه الشِّركَ عند الإكراه، فمَن قدَّم حُرمةَ نفسِك على حُرمتِه حتى أباحَك أن تتوقَّى عن نفسِك، بذِكره بما لا ينبغي له سبحانه لحقيقٌ أن تُعظِّم شعائرَه، وتُوقِّر أوامرَه وزواجرَه، وعصَم عِرضَك بإيجابِ الحدِّ بقذفِك..

وعصَم مالَك بقطع يدِ مسلم في سرقته، وأسقط شطرَ الصلاة في السفر؛ لأجل مشقَّتك، وأقام مسحَ الخُفِّ مقامَ غسْل الرِّجل؛ إشفاقًا عليك من مشقة الخَلع واللبس، وأباحك المَيتةَ سدًّا لرمَقك، وحفظًا لصحتك، وزجرَك عن مضارِّك بحدٍّ عاجل، ووعيدٍ آجل، وخرَقَ العوائد لأجلك، وأنزل الكتبَ إليك..

أيَحسُن لك مع هذا الإكرام أن يرَاك على ما نهَاك عنه مُنهمِكًا؟! ولِمَا أمَرك تاركًا؟!

وعلى ما زجَرك مُرتكبًا؟!

وعن داعِيه مُعرِضًا؟!

ولداعي عدُوه فيك مُطيعًا؟!

يَعِظ وهو.. هو! وتُهمل أمرَه، وأنت.. أنت!

حَطَّ رُتبةَ عبادِه لأجلك، وأهبط إلى الأرض مَن امتنع مِن سجدةٍ يَسجدها لأبيك، فإن لم تعتَرف اعترافَ العبد للمَوالي، فلا أقلَّ مِن أن تقتضِيَ نفسَك للخالق سبحانه، اقتضاء المُكافي المُساوي.

(١) طريق الهجرتين ١/ ٣١٥.
(٢) صحيح: البخاري ٦٠٩٩، مسلم ٢٨٠٤.

ما أوحشَ زوال النِّعم، وتغيُّر الأحوال، والحَور بعد الكَور، لا يليق بهذا الحيِّ الكريم، الفاضل على جميع الحيوانات أن يُرَى إلَّا: عابدًا لله في دار التكليف، أو مجاورًا لله في دار الجزاء والتشريف، وما بين ذلك فهو واضعٌ نفسَه في غير مَوضعها».



ثانيًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

١- إحسان العبادة

جاء في حديث جبريل في تعريف الإحسان:

«أن تعبد الله تعالى كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وقد بيَّن النبي ﷺ أن الإحسان هنا على مرتبتين: واحدة أعلى من الأخرى:

المرتبة الأولى الأعلى: أن تعبد الله كأنك تراه، بأن يبلغ بك اليقين كأنك تشاهد الله عيانًا، فليس عندك أدنى تردد أو شك، بل كأن الله أمامك تراه بعينيك، والله جل وعلا لا يُرَى في هذه الدنيا، وإنما يُرى في الآخرة، ولكنك تراه هنا ببصيرة قلبك حتى كأنك تنظر إليه بعينك، ولذلك يُجازَى أهل الإحسان الذين رأوه ببصائرهم في الدنيا بأن يروا ربهم في الآخرة ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾، فقد عبدوه في دنياهم وكأنهم يرونه، فمنَّ عليهم برؤيته حين يلقونه!

المرتبة الثانية الأدنى: إذا لم يبلغ العبد هذه المرتبة العظيمة، فليعبد ربه بالمراقبة، بأن يعلم أن الله يراه، ويعلم كل أحواله وما في نفسه، فلا يليق به أن يخالف أمره وهو يراه مطلعًا عليه، وهذه حالة جيدة لكنها أقل من الأولى.

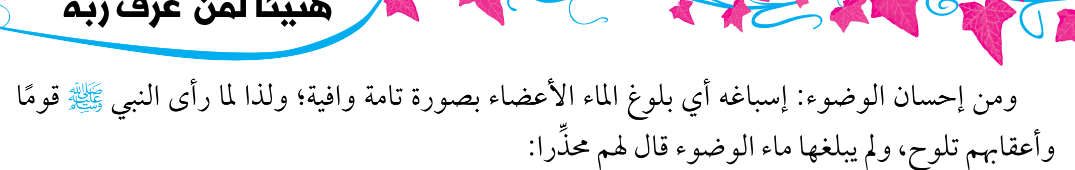
والمتأمِّل في عبادة النبي ﷺ يَجِد أنَّ عِبادته في غاية الإتقان والإحسان، ففي حديث **عائشة** رضي الله عنها في صفة قيام النبي ﷺ وركعاته بالليل، قالت: «فلا تَسألْ عن حُسْنهنَّ وطولِهنَّ».

وحثَّ على إحسان العبادات وعظَّم أجرها؛ لذا تجد أعمالاً يسيرة صارت بالإحسان ذات أجور عظيمة، ونأخذ الوضوء هنا كمِثال:

من ثواب إحسان الوضوء مغفرة الذنوب، كما في الحديث:

«من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»[1].

(١) صحيح: رواه أحمد ومسلم عن عثمان كما في صحيح الجامع رقم: ٦١٦٩.



ومن إحسان الوضوء: إسباغه أي بلوغ الماء الأعضاء بصورة تامة وافية؛ ولذا لما رأى النبي ﷺ قومًا وأعقابهم تلوح، ولم يبلغها ماء الوضوء قال لهم محذِّرًا:

«ويْل للأعْقاب من النار، أسْبِغُوا الوُضُوء»(١).

ورغَّبك الحبيب في إحسان الوضوء بأبلغ العبارات، وعرض عليك أعظم المكافآت؛ حتى تبلغ بالماء قدر استطاعتك، فقال: «تبلغ الحِلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»(٢).

والمقصود بها حِليتك التي ترتديها في الجنة، وقبلها جعل من ثواب إحسان الوضوء فتح أبواب الجنة في استقبالك:

«من توضأ فأحسن الوضوء،.. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فُتِحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»(٣).

ولضعف العبد وشدة افتقاره إلى معونة ربه في تحقيق الإحسان، فقد أمدَّه النبي ﷺ بمدَدٍ دعائي؛ يستعين به على نفسه كل يوم خمس مرات، وعلَّمه **لمعاذ** رضي الله عنه وجعله من علامات محبته له، فقال:

«يا معاذ، والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ، لا تدعَنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعِني على ذِكرك وشكرك وحُسنِ عبادتك»(٤).

٢- الإحسان في الأمور الصغيرة فكيف بالكبيرة؟!

إن اهتمام الإسلام بالإحسان في دقائق الأمور يفرض عليك الإحسان في عظائمها، وقد مرَّ بك الأمر بإتقان الذبح، وقد روى **مسلم** في صحيحه في شأن تكفين المسلم أن النبي ﷺ قال:

«إذا ولي أحدكم أخاه فليُحَسِّن كفنه، فإنهم يُبعَثون في أكفانهم، ويتزاورون في أكفانهم»(٥).

وحتى في شأن حفر القبر أوصانا النبي ﷺ بالإحسان!، فعن **هشام بن عامر** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم أُحُد:

«احفروا وأوسعوا وأعمقوا وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وقدِّموا أكثرهم قرآنًا»(٦).

---

(١) صحيح: رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب: غسل الأعقاب رقم: ١٦٦، ومسلم: كتاب الطهارة، باب: وجوب غسل الرجلين بكمالهما رقم: ٢٤١.
(٢) صحيح: رواه مسلم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٩١١ ومختصر مسلم رقم: ١٣٤.
(٣) صحيح: رواه ابن ماجة والحاكم عن عمر كما في صحيح الترغيب رقم: ٢١٩.
(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن معاذ بن جبل كما في صحيح الجامع رقم: ٧٩٦٩.
(٥) صحيح: رواه سمويه عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٨٤٥.
(٦) صحيح: رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي كما في مشكاة المصابيح رقم: ١٧٠٣.

وهي كلها إشارات لا تخفى على عاقل أن التنبيه على الإحسان ولو في صغائر الأمور؛ دالٌّ على أهمية الأمر في عظائمها.

٣- الإحسان إلى الخلق

قال الشيخ **عبدالرحمن السعدي**:

«وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان بالمال كما تقدم، ويدخل فيه الإحسان بالجاه والشفاعات، ونحو ذلك.

ويدخل في ذلك الإحسان: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع.

ويدخل في ذلك: قضاء حوائج الناس من تفريج كرباتهم، وإزالة شدائدهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة من يعمل عملاً، والعمل لمن لا يحسن العمل، ونحو ذلك في الإحسان الذي أمر الله به...».

ويشمل هذا الإحسان التعامل مع الخلق بأحسن الأخلاق اقتداءًا بالنبي ﷺ الذي «كان أحسنَ الناس خلُقًا»[(١)]، فقد كان ﷺ «كان أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس»[(٢)].

وأوْلى الناس بإحسانك: القريب منك سكنًا أو نسبًا، فجار السكن أوصى به النبي ﷺ كما في حديث **أبي شُريح الخزاعي** رضي الله عنه:

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»[(٣)].

وقريب النسب كذلك أَوْلى بإحسانك.

قال **عطاء**:

«لَدِرهمٌ أضعه فى قرابتي أحبُّ إليَّ من ألف أضعها في فاقة.

قال له قائل: يا أبا محمد، وإن كان قرابتي مثلي في الغنى؟

قال: وإن كان أغنى منك»[(٤)].

وقد أجمَلَ قول **ابن أبي جمرة** كيف تكون صلة الأرحام ولمن تكون، فقال:

«تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء.

(١) صحيح: رواه مسلم وأبو داود عن عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٤٦٣٢ ومختصر مسلم رقم: ١٤١٤.
(٢) صحيح: رواه الشيخان والترمذي وابن ماجة عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٤٦٣٤.
(٣) صحيح: رواه الشيخان والنسائي وابن ماجة عن أبي شريح وأبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٦٥٠١.
(٤) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ٦٢.

ما عرَف ربه المحسن مَن اعتذر عن الإحسان بضعف إمكاناته.



وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفارًا أو فجّارًا، فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وَعظهم، ثم إعلامهم إذا أصرّوا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى»[1].

٤- لا تعتذر عن الإحسان بفقر أو ضعف

هذا **يوسف** عليه السلام يخاطب صاحباه في السجن: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فلم يتعلل بقلة إمكاناته، وفقر أملاكه، بل أحسن إليهم وهو في سجنه، وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئًا، فلا أهل يزورونه، ولا أصحاب يُمِدّونه، ولاحظ أنهم لم يقولوا في وصف يوسف: رأيناك تحسن، بل رأوا حالته الدائم وإحسانه المتكرر فاستحق أن يصفوه بأنه من ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾.

فما هو نوع هذا الإحسان الذي قام به **يوسف** السجين؟!

قال **الماوردي**:

«فيه ستة أقاويل:

أحدها: أنه كان يعود مريضهم، ويُعزّي حزينهم، ويوسِّع على من ضاق مكانه منهم.. قاله **الضحاك**.

الثاني: أنه كان يأمرهم بالصبر، ويعِدُهم بالثواب والأجر.

الثالث: إنا نراك ممن أحسن العلم. حكاه **ابن جرير الطبري**.

الرابع: أنه كان لا يرُدُّ عذر معتذر (أي يقبل الأعذار).

الخامس: أنه كان يقضي حق غيره، ولا يقضي حق نفسه.

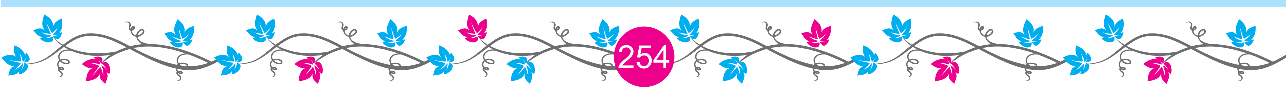
السادس: إنا نراك من المحسنين إن أنبأتنا بتأويل رؤيانا هذه. قاله ابن **إسحاق**»[2].

فالإحسان أن تحسن بما لديك ولو كان قليلاً، وتبذل المشاعر والأحاسيس إذا عدِمت الأموال والأملاك، واسمع خبر **ابن الجوزي** عن **هارون الرِّقِّي**:

«كان **هارون الرِّقِّي** قد عاهد الله أن لا يسأله أحدٌ كتاب شفاعة إلا فعل، فجاءه رجل فأخبره أن ابنه قد أسر بالروم، وسأله أن يكتب إلى ملك الروم في إطلاقه، فقال له: ويحك! ومن أين يعرفني؟! وإذا سأل عني قيل هو مسلم، فكيف يقضي حقي؟!

(١) فتح الباري ١٠/ ٤١٨.
(٢) تفسير الماوردي النكت والعيون ٣/ ٣٦، ٣٧ - دار الكتب العلمية.

عرف ربه المحسن من أحسن إلى غيره بشفاعة وسعي في حاجتهم.



فقال له السائل: اذكر العهد مع الله تعالى، فكتب له إلى ملك الروم، فلما قرأ الكتاب، قال: من هذا الذي قد شفع إلينا؟

قيل: هذا رجل قد عاهد الله لا يسأل كتاب شفاعة إلا كتبه إلى أي من كان.

فقال ملك الروم: هذا حقيقٌ بالإسعاف، أطلِقوا أسيره، واكتبوا جواب كتابه، وقولوا له: اكتب بكل حاجة تعرض، فإنا نُشفِّعُك فيها»[١].

٥- انسب الفضل لربك

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾

هل تذكر هذه الآية في حياتك، وخاصة ساعة تباهيك وافتخارك؟!

اسمع فعل الصحابة، وحلِّق مع القدوات:

أقبل **بلال بن رباح** وأخوه **أبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخَثْعَمي** إلى قوم، فقالا:

«إنا قد أتيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين فهدانا الله، ومملوكين فأعتقنا الله، وفقيرين فأغنانا الله، فإن تُزَوِّجونا فالحمد لله، وإنْ تردّونا فلا حول ولا قوة إلا بالله، فزوَّجوهما»[٢].

فغنى **بلال** رضي الله عنه لم يمنعه من تذكُّر حالته الأولى، مع ما انتقل إليه من خيرٍ بفضل المحسن سبحانه، وهذا شأن المحسنين من عباد الله، ينسبون الفضل في كل ما هم فيه إلى وَلِيِّ النعم وموجِدها.

٦- كلما زاد إحسانه زاد إحسانك

إن زاد إحسان المحسن لك، فأعطاك ما لم يُعطِ غيرك، فقد وجب عليك من الشكر ما لا يجب على غيرك.

وعظ **شبيب بن شيبة أبا جعفر المنصور**، فقال:

«إن الله عز وجل لم يجعل فوقك أحدًا، فلا تجعل فوق شكرك شكرًا»[٣].

٧- أتقِن العمل

كل خلق الله يتجلى فيه إحسان المحسن وإتقانه ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ فلا تجاوز ولا قصور، ولا زيادة ولا نقصان، ولا إفراط ولا تفريط، فكلُّ شيء بحكمة بالغة، من أصغر الذرات إلى أكبر الأجرام،

(١) الآداب الشرعية ٢/ ١٨٠، ١٨١.
(٢) تاريخ الإسلام ٣/ ٢٠٤، ٢٠٥.
(٣) الآداب الشرعية ١/ ١٧٧.



وكلها مقدَّرة تقديرًا دقيقًا في موعدها، وفي عملها، وفي مآلها.

وهذه الدقة والإتقان هي ما يجب أن تسير عليه في حياتك، وهذا مما يحب الله منك.

قال **ابن القيم**:

«وهو يحب أسماءه وصفاته، ويحب ظهور آثارها في خلقه، فإن ذلك من لوازم كماله، فإنه سبحانه وترٌ، يحب الوتر، جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، جواد يحب الأجواد،...... محسن يحب المحسنين»(١).

وفي الحديث:

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»(٢).

وتنكير كلمة «**عملاً**» إشارة إلى كل الأعمال دنيوية أو أخروية.

قال **المناوي** مشيرًا إلى سبق المحسنين ورجحان كفة المتقنين:

«وذلك لأنَّ الإمداد الإلهي ينزل على العامل بحسب عمله؛ فكل من كان عمله أتقن وأكمل، فالحسنات تُضاعَف أكثر، وإذا أكثر العبد أحبَّه الله تعالى»(٣).

وقال، وهو يقصُّ قصة عجيبة عن أهمية الإتقان:

«ذُكِر أن صانعًا عمل عملاً تجاوز فيه ودفعه لصاحبه، فلم ينم ليلته كراهة أن يظهر من عمله عملاً غير متقن، فشرع في عمل بدله، حتى أتقن ما تعطيه الصنعة، ثم غدا به لصاحبه، فأخذ الأول وأعطاه الثاني، فشكره، فقال: لم أعمل لأجلك، بل قضاءً لحقِّ الصنعة؛ كراهة أن يظهر من عملي عملٌ غير متقن، فمتى قصَّر الصانع في العمل لنقصِ الأجرة، فقد كفر ما علَّمه الله، وربما سُلِبَ الإتقان»(٤).

وكم منا اليوم من يتذرَّع بضعف راتبه؛ ليكون مبرِّرا لإهماله وعدم إحسانه، ويستسيغ بذلك أكل الحرام وإطعامه عياله.

٨- قابِل الإساءة بالإحسان

من عرف ربَّه **المحسن** رأى إحسانه إلى خلقه رغم إساءاتهم وعصيانهم، فسار في نفس الطريق رادًّا إساءات الخلق له بالإحسان إليهم، وبذا يستلُّ مشاعر العداوة، ويقلِّم أظافر الحقد، فتَحِلَّ المحبة بدلاً منها.

وللمحسن الذي يلقى الإساءة في مقابل الإحسان عزاءٌ في أن الله ناصره ومؤيِّده، وهو وعد الله الذي لا

(١) روضة المحبين ١/ ٦٤.
(٢) حسن: رواه البيهقي عن عائشة كما في صحيح الجامع رقم: ١٨٨٠.
(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٥٢٤.
(٤) فيض القدير ٢/ ٢٨٦.

عرف ربه المحسن من أحسن عمله وأتقن مهنته مُحتسبًا الأجر.

يتخلف، كما في قصة الصحابي الذي جاء يشكو إلى رسول الله ﷺ:

يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأُحسِن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عليهم ويجهلون علي، فقال:

«لئن كنت كما قلت، فكأنما تُسِفُّهم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دُمتَ على ذلك»[١].

فهذا المحسن كمن يرمى فى وجوه الجاحدين التراب والرماد الحار، والمعنى: إذا لم يشكر هؤلاء خيرك وإحسانك، فإن عطاءك لهم مؤلم، ويضعهم في موقف الخزي والعار، وكأنه نار تشوي بطونهم، وهذا دلالة على أن هذا الرجل بإحسانه منتصر عليهم، ثم وعَده الصادق المصدوق بأنه لا يزال معه من الله ظهير -أي معين وناصر- ما دام على إحسانه، واستمروا هم على إساءتهم.

وحين سأل صحابيٌ رسول الله ﷺ قائلاً:

يا رسول الله، الرَّجُل أَمُرُّ به فلا يقْرِيني ولا يُضَيِّفُني، فيَمُرُّ بي، أفأُجْزِيه؟!

قال: «لا.. قِرْهُ»[٢].

أي لا تعامِله بالمثل، وقدِّم له القِرى -وهو طعام الضيف-، وإن لم يُضِفْكَ أولاً.

وتعلمها الفاروق عمر فقال:

«ليس الوصل أن نصل من وَصَلك، ذلك القصاص، ولكن الوصل أن تصِل من قطعك»[٣].

٩- حسّن ظنَّك بربِّك

قال ابن عطاء الله السكندري:

«من عبر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة، ومن عبَر من بساط إحسان الله إليه لم يصمت إذا أساء».

فمن رأى عظيم إحسان المحسن ودوامه لم ييأس أبدًا من رحمة الله، ولم يستدرجه شيطانه يومًا للهاوية عبر فخ اليأس والقنوط.

١٠- افرح بشريعة الله

وما الأفضل من شريعة المحسن التي كفلت الخير والمصالح العظيمة للناس كلِّ الناس. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

(١) صحيح: رواه مسلم عن أبي هريرة كما في مختصر مسلم رقم: ١٧٦٣، وصحيح الجامع رقم: ٥٠٥٥.
(٢) حسن صحيح: أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم: ٢٠٠٦ باب ما جاء في الإحسان والعفو، ومعنى قوله اقْرِهِ: أَضِفْهُ، والقِرَى: هو طعام الضَّيف.
(٣) شعب الإيمان ١٠/ ٣٣٦.

ما عرف ربه المحسن من قابل الإساءة بالإساءة، والعدوان بالعدوان.



وهو إنكار وتعجُّب من حال أهل الكتاب وتوبيخ لهم في ذات الوقت، ولم يقل لهم إن الأحسن في الحكم هم المسلمون، ولعل سبب هذا جواز انحراف بعض المسلمين عن حكم الله، فردَّ الله الأمر إلى ما لا يتغير وهو حكمه سبحانه، وهو بهذا يعلم ما في الغيب أنه سيأتي زمان ينحرف فيه المسلمون عن المنهج الإلهي ويميلون إلى غيره.

والاستفهام هنا -والله يعلم جوابه- يجعل من السؤال تقريرًا، ولا يَفهمُ هذا الإحسان في شرع الله إلا من نزل قلبه بساحة اليقين، فهو الذي تبين له عدل الله وحكمته في كل أحكامه.

لكن..

هل الانقياد لحكم الله سارٍ فقط على أحكام الميراث والطهارة والنفاس دون غيرها من أحوال الناس؟!

هل نبتغي بنظام الإسلام (الأحسن) بديلاً وضعيًّا قاصرًا عاجزًا عن فهم نفوس الخلق، فضلاً عن التعامل معها؟!

وما معنى إيمان العبد إذا لم يستسلم لحكم ربه ويخضع له؟!

قال **السعدي**:

«دليل على أن الإيمان، ليس هو مجرد القول حتى يقترن به العمل، ولهذا نفى الإيمان عمَّن تولى عن الطاعة، ووجوب الانقياد لحكم الله ورسوله في كل حال، وأن من ينقد له دلَّ على مرضٍ في قلبه، وريب في إيمانه، وأنه يحرم إساءة الظن بأحكام الشريعة، وأن يظن بها خلاف العدل والحكمة»[١].

ثالثًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

- أسألك باسمك المحسن..

«اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

- أسألك باسمك المحسن..

«اللهم كما حسَّنتَ خَلْقي فحسِّن خُلُقي».

- أسألك باسمك المحسن..

اجعلنا ممَّن إذا أحسن الناس أن نحسن، وإذا أساؤوا أن نجتنب إساءتهم.

(١) تفسير السعدي ٥٧١.

عرف ربه المحسن من أحسن إلى من أساء إليه ووصل من قطعه.

أسألك باسمك المحسن..

اجعلنا من المحسنين لكل من حولنا: ممن عرفنا، وممن لم نعرف.

أسألك باسمك المحسن..

ارزقنا الإحسان في القول والعمل، في السر والعلن.

أسألك باسمك المحسن..

أعِنّا على الإحسان لمن أساء إلينا، والعفو عمَّن ظلمنا، وصِلة من قطعنا.

رابعًا: حاسب نفسك تعرف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائما	أحيانًا	نادرًا
١	هل تحرص على تحسين عبادتك دومًا، وتجعل لذلك نصيبًا من دعائك؟			
٢	هل تُحسِن إلى جارك، وتهديه مما تحب؟			
٣	هل ترى نفسك محسنًا على الحقيقة، أم تنسب الفضل لله في إحسانك؟			
٤	هل تقابل إحسان الله لك كلما زاد بمزيد الشكر والإحسان؟			
٥	هل تتقن عملك المهني، وتحرص على تطوير نفسك فيه باستمرار؟			
٦	هل تحرص على أن تقابل الإساءة بالإحسان؛ رجاء أن يعاملك الله بالمثل؟			

ما عرف ربه المحسن من عمت بصيرته عن المحسن الأول فشكر الرسول ولم يشكر المرسِل.

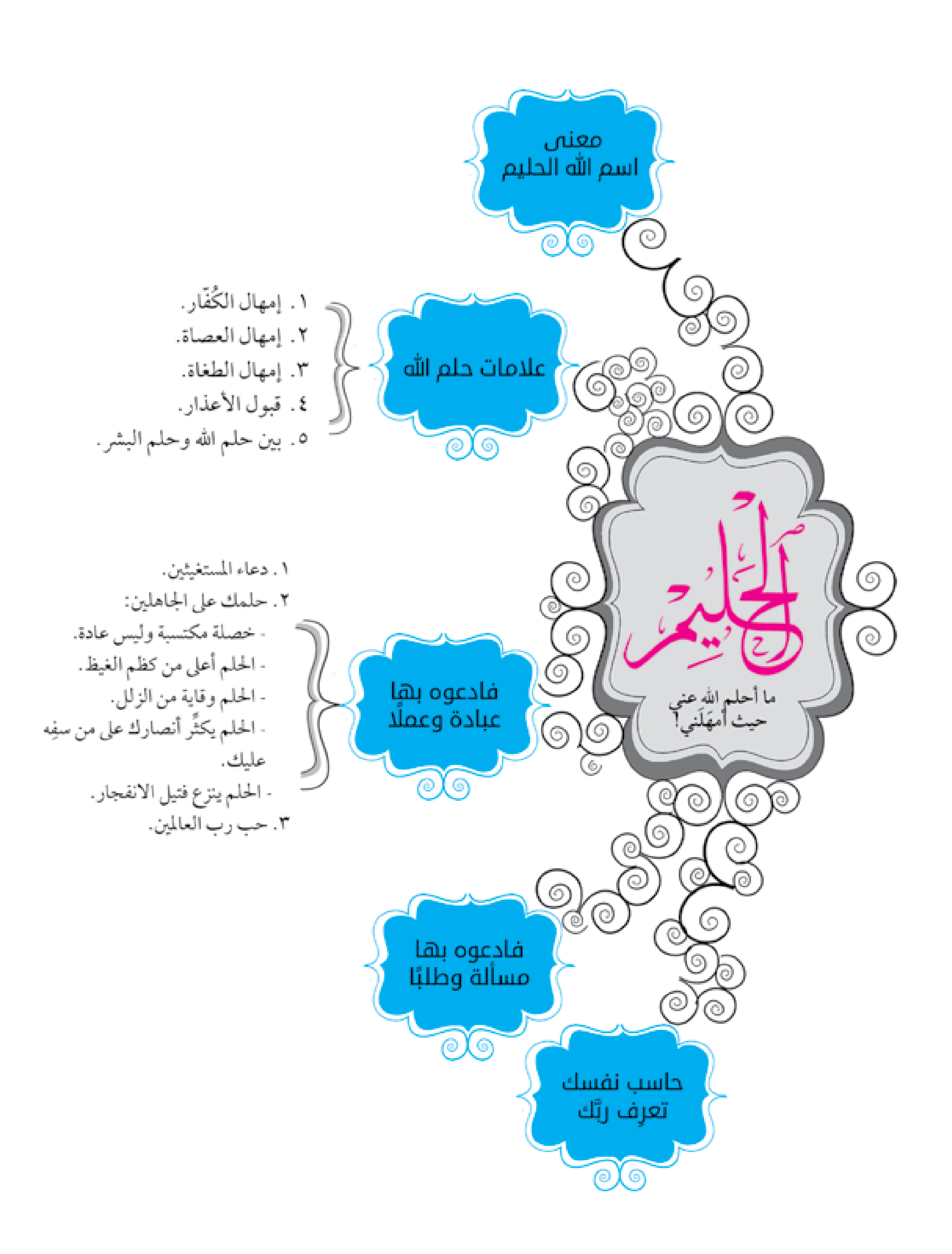


ما أحلم الله عني حيث أمهَلَني!

ذو الصَّفح والأناة، لا يَسْتَفِزُّه غضبٌ، ولا يستخفُّه جهلٌ أو عصيان، فهو حليم على من عصاه، ولا يحبس نعمَه عن عباده بذنوبهم رجاء توبتهم، وحلمه مع علمه وكمال قدرته.

الحَلِيمُ

نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ

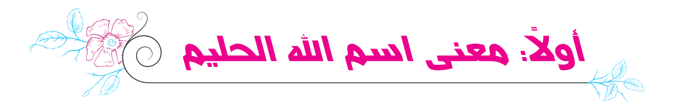

الحليم
ما أحلم الله عني حيث أمهَلَني!
معنى اسم الله الحليم
علامات حلم الله
١. إمهال الكُفّار.
٢. إمهال العصاة.
٣. إمهال الطغاة.
٤. قبول الأعذار.
٥. بين حلم الله وحلم البشر.
فادعوه بها عبادة وعملًا
١. دعاء المستغيثين.
٢. حلمك على الجاهلين:
- خصلة مكتسبة وليس عادة.
- الحلم أعلى من كظم الغيظ.
- الحلم وقاية من الزلل.
- الحلم يكثِّر أنصارك على من سفِه عليك.
- الحلم ينزع فتيل الانفجار.
٣. حب رب العالمين.
فادعوه بها مسألة وطلبًا
حاسب نفسك تعرف ربَّك



ورد هذا الاسم في القرآن الكريم (إحدى عشرة) مرة.

وجاء مرة واحدة في حديث النبي ﷺ:

«إن الله عز وجل حليم حيي ستّير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»[1].



أولاً: معنى اسم الله الحليم

قال **الغزالي**:

«الحليم: هو الذي يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفة أمره، ثم لا يستفِزُّه الغضب، ولا يعتريه الغيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٠]»[2].

فهو الحليم ذو الصفحِ والأناة، فلا يستفِزُّه جهل الجاهلين، ولا عصيان المسرفين.

والحلمُ قرين الحكمة، فلا يكون الحليمُ إلا حكيمًا يضع الأمور في نصابها.

وهو قرين العلم كذلك، فلا يكون حلم الحليم عن جهلٍ بأحوال عباده، حاشاه، ولذا قال في كتابه يربط بين العلم والحلم..

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥١].

والحلم قرين القدرة كذلك؛ لأن الحليم إذا لم يكن قادرًا كان حلمه مُتلبِّسًا بالعجز والضعف، فالعاجز عن المعاقبة لا يُسمَّى حليمًا، بل هو مقهورٌ لا يملك دفع الأذى عن نفسه فضلاً عن غيره؛ ولذا صدق المتنبي حين قال:

كل حِلْمٍ أتى بِغيرِ اقتدار ... حُجَّةٌ لاجِىءٌ إليها اللئامُ

وقد أطلق **الجاحظ** على الحلم مع القدرة لقب (أشرف الحِلْم)، فقال:

«والحِلْم حلمان: فأشرفهما حِلْمك عمَّن هو دونك»[3].

فحلمك عمَّن هو دونك شرف، لكن حلمك مع من هو أقوى منك أو أغنى منك هو في حقيقته ضعف وجُبنٌ وعجز.

(١) صحيح: رواه النسائي في سننه رقم: ٤٠٦ – باب الاستتار عند الاغتسال، وقال الألباني: صحيح.
(٢) المقصد الأسنى ٩٤.
(٣) رسائل الجاحظ ١/ ١٢٥ – تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون– ط مكتبة الخانجي.

عرف ربه الحليم مَن حلم على من قدَر عليه، وعفا عنه.

حِلْم الكرام!

كتب **أحمد خالد توفيق** في صفحته الشخصية تحت هذا العنوان في ٥ من أغسطس لعام ٢٠١٥:

«كانت تلك الطبيبة غاية في الثراء، وهذه الأسرة تملك نفوذًا هائلاً، وقد أدرك رؤساؤها أنها لا تهاب أحدًا ولا شيئًا؛ لذا كانوا حذرين معها؛ لهذا تركوها في سلام، وراحوا يمارسون وقاحتهم وسُلطتهم على من هم أصغر شأنًا، أو أفقر، أو أقل نفرًا..

كانت الحاجة زينب مريضة في القسم في الستين من العمر، ثياب ممزقة رثة، ومرض عضال اسمه تصلب الجلد أدى لتساقط أناملها كمن أصيب بالجذام، كما أن كبدها لم يكن على ما يرام..

ذات يوم كانت الطبيبة مشغولة جدًّا، فلم تقم بالمرور على هذه الحالة، ويبدو أن العجوز طلبت منها أشياء، فلم تفعلها، فراحت تلومها بكل ضيق خُلُق الشيخوخة المعهود.. لقد تعالى صوتها حتى سمعه الجميع، وشتمت الطبيبة، وأهانتها مرارًا.

فوجئتُ بالطبيبة الثرية التي لا تطيق ربع كلمة من مدير المستشفى، والتي يرتجف الرؤساء لدى رؤيتها، فوجئت بها تطرق برأسها في خجل وندم، وتكرر: أنا آسفة يا أمي، سامحيني!

هزَّني هذا المشهد كثيرًا، وظللت أجتره ليلاً ونهارًا. كان بوسعها نسف المريضة، أو طردها في أي لحظة، لكنها أدارت لها خديها تصفعهما كما تشاء.

كلنا ضعيف، متراخٍ، وديع كالأرنب مع رؤسائه أو القادرين على إيذائه، بينما هو قاسٍ، وقح، صارم مع من هم أضعف منه.

المعجزة الحقيقية وذروة النبل هما أن تصير ضعيفًا وديعًا مع من تقدر على إيذائهم وتدميرهم، بينما تعامل الرؤساء بكبرياء وكرامة!

الدرس الثاني المستفاد من هذه القصة أن الحلم يكون نبيلاً فعلاً عندما تستطيع ألا تكون حليمًا».

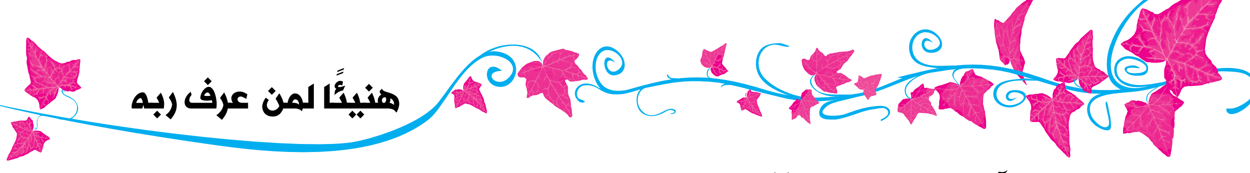
الفارق بين الحليم والصبور

وفارق كبيرٌ بين الحليم والصبور من الخلق، فالحِلمُ يكون مع القدرة، ولايُشترط ذلك في الصبر، فقد يكون الصابر عاجزًا لا حيلة له، بعكس الحليم.

وفارقٌ آخر أورده صاحب روح البيان، فقال:

«وكان الأحنف يُضرَب به المثل في الحلم وهو يقول: إني صبور ولست بحليم، والفرق بين الحليم والصبور أن المذنب لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور، كما يأمنها فى صفة الحليم، يعنى أن الصبور يشعر بأنه

ما عرف ربه الحليم مَن عاقب المسيء إليه، ولم يعفُ عنه إذ قدَر عليه.



يعاقِب في الآخرة بخلاف الحليم»[1].

والله حليم، ولولا حلمه ومغفرته، لزُلزِلت السماوات والأرض من معاصي العباد.

قال ربي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [فاطر: ٤١]

والسؤال:

ما مناسبة ذكر الحلم هنا؟!

والجواب:

لأن السموات والأرض همَّت بعقوبة الكفار بالعقوبةِ التي استوجبوها بجنايتهم، فأمسكهما الحليم سبحانه، مع أنه لو أذِن للسماء لقصفتهم، ولو أذن للأرض لابتلعتهم، ولكن وسعهم حلم الله ومغفرته ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾.

قال ابن القيم:

«وفي الآية إشعار بأن السماوات والأرض تَهِمُّ وتستأذن بالزوال؛ لعِظَمِ ما يأتي به العباد، فيُمسِكُهما الله بحلمه ومغفرته»[2].



ثانيًا: من علامات حلم الله

١- إمهال الكفَّار

في الحديث القدسي من حديث **أبي هريرة** عن النبي ﷺ:

«قال الله: يشتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتِمَني، ويُكذِّبني وما ينبغي له، أما شتْمُه فقوله: إن لي ولدًا، وأما تكذيبه فقوله: ليس يُعيدُني كما بَدَأني»[3].

يقول الإمام **ابن القيِّم** متعجِّبًا من فعل العبد الحقير، وحلم الربِّ الكريم:

«وهو سبحانه مع هذا الشتم له والتكذيب يرزق الشاتم المُكَذِّب ويعافيه! ويدفع عنه، ويدعوه إلى جنته، ويقبل توبته إذا تاب إليه، ويبدِّله بسيئاته حسنات، ويلطف به في جميع أحواله، ويؤهِّله لإرسال رسله،

(١) روح البيان ٧/ ٣٥٨، ٣٥٩.
(٢) عدة الصابرين ص ٢٣٧.
(٣) صحيح: صحيح البخاري رقم ٣١٩٣.

عرف ربه الحليم مَن أدرك حكمته في إمهال الظالمين رغم عدوانهم وفجورهم.

ويأمرهم بأن يلينوا له القول، ويرفقوا به»[1].

وقد قال تعالى في شأن أعدائه الذين حرَّقوا أولياءه وهم أحياء:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]

قال **الحسن البصري**:

«انظروا إلى هذا الكرم والجود! قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إلى التوبة والرحمة»[2].

وقد قيل في مأثور الحكم في شأن سبب الحلم:

«أوكد أسباب الحلم: رحمة الجُهَّال».

وهل هناك أجهل من بني **آدم**؟! ولذا يحلم علينا ربنا **الحليم**.

إن وضعت نفسك في نفس الموقف إن آذى أحدهم أقاربك أو عائلتك وأصبحت المسألة ثأر! فلو عاقبتهم فلك كل الحق، ولا لوم عليك في المعاقبة بالمثل، أما الله فما أحلمه سبحانه، ولا أحد أكثر قبولاً للمعاذير منه؛ ولذا يدعوهم إلى التوبة.

٢- إمهال العصاة

كم أنعم الله على عباده العصاة، فلم يعاجلهم بالعقوبة رغم استحقاقهم لها، ومهما عظمت ذنوبهم وتكرَّرت، ولكنه يؤخِّرهم، ويمهلهم المهلة تلو الأخرى.

قال **ابن القيِّم**:

وهو الحليم فلا يُعاجِل عَبدَه ... بِعقوبـة لِيتـوبَ مِن عِصيـانِ

وقد أخبر سبحانه عن تأخيره عقاب من أذنب من عباده، فقال تعالى:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

فلو آخذ الله عصاة بني **آدم** بمعاصيهم، لما ترك على الأرض مخلوقًا يدِبُّ على الأرض، وقد أشار **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه إلى بعض هذا، فقال:

«إِنَّ الرَّجْفَ مِنْ كثرة الزِّنا، وإِنَّ قحوط المطر مِنْ قضاة السُّوء وأئمَّة الجَوْر»[3].

---

(١) شفاء العليل ١/ ٢٣٨.
(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٨٦.
(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٨٦.

ما عرف ربه الحليم مَن لم يدرك حكمة إمهال الظالمين، فأصابه اليأس والقعود من علو الظلم وأهله.





والإمهال من أجلِّ نعم الله على الخلق، وهو أن لا يعجِّل **الحليم** لهم عقوبات الذنوب؛ ليفتح باب التوبة، فيصلح العبد ما أفسد وارتكب من إثم، وجعل الله من علامات إمهاله أن مَلَك السيئات يرفع القلم ست ساعات لا يكتب خطيئة العبد، فإن تاب، وإلا كتبها سيئة واحدة! قال ﷺ:

«إن صاحب الشِّمال ليَرفَع القلم ستَّ ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن نَدِم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كُتِبَتْ واحدة»[١].

وهذا الحلم لا يشمل العصاة وحدهم، بل يشمل أشرف الأنبياء! فقد قال رسول الله ﷺ:

«لَو يُؤاخِذني الله وابن مريم بما جنَت هاتان -يَعْني الإبهامَ والَّتي تليها- لعذَّبنا، ثُمَّ لم يظلِمنا شيئًا»[٢].

فماذا نقول نحن أصحاب الخطايا والبلايا في حلم **الحليم** بنا؟! ولله درُّ الشاعر حين قال:

أنا عبـدُك الجـاني وأنتَ المالكُ ... إنْ لـم تُسامحنـي فإنِّـي هالكُ
يا مَنْ تَدارَكَ طول جهلي حِلْمُـهُ ... ذُخري لحشري: عفوُك المُتَدارَكُ
مولايَ أسْرَرْتُ القبيح وظاهـري ... حَسَنٌ وأنتَ بحَجْب ستري مَالكُ
حسبي خسـارًا أن تراني مُسْـرفًا ... ويَظُنُّ هـذا الخلقُ أنـي ناسِـكُ

ولهذا كان من جميل دعاء **عبد الله بن ثعلبة البصري**:

«اللهم أنت من حِلْمِك تُعصَى فكأنك لا ترَى، وأنت من جودك وفضلك تُعطِي فكأنك لا تُعصَى، وأيُّ زمان لم تعصِك فيه سكان أرضك فكنت عليهم بالعفو عوَّادًا، وبالفضل جوَّادًا»[٣].

٣- إمهال الطغاة

قال ابن الجوزي:

«لقد تأملت أمرًا عظيمًا: أنه عز وجل يمهل حتى كأنه يُهمِل، فترى أيدي العصاة مطلقة، كأنه لا مانع؛ فإذا زاد الانبساط، ولم تَرعَوِ العقول، أخذَ أَخْذ جبارٍ!

وإنما كان ذلك الإمهال؛ ليَبْلوَ صبر الصابر، وليُملِي في الإمهال للظالم، فيثبت هذا على صبره، ويُجزَى هذا بقبيح فعله»[٤].

(١) حسن: رواه الطبراني وأبو نعيم عن أبي أمامة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٠٩٧ والصحيحة رقم: ١٢٠٩.
(٢) البلاغة العمرية ١/ ٢٢٠ - محمد سالم الخضر - مبرة الآل والأصحاب.
(٣) العقد الفريد ٣/ ١٧٤.
(٤) صيد الخاطر ١/ ٥٩.

عرف ربه الحليم مَن دعاه أن يحلم به عند تقصيره، ويعفو عنه عند تفريطه.

وقال في موضع آخر:

«قد تبغَتُ العقوبات، وقد يؤخِّرها الحلم، والعاقل من إذا فعل خطيئة، بادرها بالتوبة، فكم مغرور بإمهال العصاة لم يمهل!»[(١)].

ويتعجَّب الناس من حلم الحليم على الطغاة الذي أحرقوا أصحاب الأخدود، وساموهم أشدَّ العذاب!

والجواب: أن هذا لا يخلو من حكمة، فلو عجَّل الله للظالمين العذاب بِحرقهم في نار الدنيا لكان هذا في حقِّهم عذابًا مُخَفَّفًا! فهي في النهاية جزء من سبعين جزء من نار الآخرة، وقد ضُرِبت بماء البحر سبع مرات، ولولا ذلك ما انتُفِع بها، كما قال **ابن عباس**.

وهؤلاء الطغاة بظلمهم للمؤمنين يستحقون عذابًا أشد وأبقى! وهذا لا يكون إلا في جهنم ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾

وحكمة أخرى من وراء حلم الله على الطغاة:

مرَّ **عامر بن بهدلة** برجُلٍ قد صَلَبَه **الحجاج**، فقال:

يا ربِّ، إنَّ حلمك عن الظالمين قد أضرَّ بالمظلومين، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وكأنه قد دخل الجنة، فرأى المصلوب فيها في أعلى علِّيِّين، وإذا مُنادٍ ينادي:

«حلمي عن الظالمين أحلَّ المظلومين في أعلى علِّيين»[(٢)].

٤- قبول الأعذار

لأن الحليم أكثر من يقبل الأعذار، ويحب من خلقه مَنْ قَبِل الأعذار، ففي الحديث:

«ليس أحد أحب إليه المدح من الله، ولا أحد أكثر معاذيرًا من الله»[(٣)].

فإن الله يقبل أعذار المسيئين والمذنبين، وقد أعذر إلى عباده ابتداءً بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل لهم من الرغائب والزواجر ما لا حصر لها؛ لئلَّا يكون للناس على الله حجة في عدم استجابتهم لأمره، ثم إنه أعذر إليهم انتهاءً بقبول أعذارهم وتوبتهم بأيسر عمل: ندم وعزم على عدم الرجوع إلى الزلل.

٥- بين حلم الله وحِلم البشَر!

حلم المخلوقين لم يكن معهم في الصغر، ثم اكتسبوه مع العقل عند الكبر، وقد يتغيَّر هذا الحلم بالمرض،

(١) صيد الخاطر ١/ ٣١٤.
(٢) التذكرة الحمدونية ٣/ ١٨٨.
(٣) صحيح: رواه الطبراني عن الأسود بن سريع كما في الصحيحة رقم: ٢١٨٠ وصحيح الجامع رقم: ٥٣٦٩.

ما عرف ربه الحليم مَن تجرَّأ عليه دون أن يطلب حلمه عليه، وعفوه عنه.



أو الغضب، أو الظروف القاسية المتغيِّرة، وفي النهاية يفنى حلم العبد بموته وفنائه، ولكن حلم الله لا يزول؛ لأن الله حي لا يموت.

والمخلوق قد يحلم مع إنسان يحبه دون إنسان، وفي موقف دون موقف، ويحلم أحيانًا عمَّن لا يقدر على عقوبته، و الحليم سبحانه متعالٍ عن كل هذه النقائص وعلامات العجز.



ثالثًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

١- دعاء المستغيثين

وذلك بسؤال المؤمن ربه بهذه الاسم العظيم الحليم قائلاً: يا حليم، اعف عني، واصفح، واستر. هب لي من حلمك ما تكفيني به، وتُنْجيني من عذابك.

٢- حلمك على الجاهلين

يُعامل الله الحليم من عباده بالحلم، فكلما ازددت حلمًا ازداد حلم الله بك، وكلنا يحتاج هذا الغوث؛ لأننا أصحاب ذنوب ومعاصي نخشى معها المعاجلة بالعقوبة، فإذا أحببت أن يحلم الله عليك، ولا يعاجلك بالعقوبة، فاحلم أنت على خلقه، ولا تعجل عليهم بالعقوبة، ومن ذَكَر كثرة عصيانه لربه، وتواتر حلم الله عليه؛ سكن غضبه على من خالف أمره.

كان **عون بن عبد الله بن عتبة** إذا غضب على غلامه، قال:

«ما أشبهك بمولاك! أنت تعصيني وأنا أعصي الله، فإذا شتد غضبه قال: أنت حرٌّ لوجه الله»[١].

والحلم صفة لا تنكشف إلا عند الغضب، أو مع اشتعال نار الخصومة، وقد قيل:

مَن يدَّعي الْحِلْمَ أغْضِبه لِتَعْرِفَه ... لا يُعْرَفُ الْحِلْمُ إلا ساعة الغضَبِ

إن الله حليم يحب الحلم في عباده؛ ولذا صحَّ أن النبي ﷺ قال **لأشجِّ بن عبد القيس**:

«إن فِيكَ لخصْلتيْنِ يُحِبهمَا الله تعالى: الحِلم والأناة»[٢].

وأثبت النبي ﷺ محبة الحليم لعبده الحليم، فقال:

«إن الله يُحِبُّ الغنيَّ الحليم المتعفِّف، ويبغض البذيء الفاجر السائل المُلِحَّ»[٣].

(١) روضة العقلاء ١/ ١٣٩.
(٢) صحيح: رواه مسلم والترمذي عن ابن عباس كما في صحيح الجامع رقم: ٢١٣٦.
(٣) صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٨١٩.

عرف ربه الحليم مَن حلم على السفهاء، ولم يُجارِهم في إساءاتهم وعدوانهم.

قال **الماوردي**:

«فالحلم من أشرف الأخلاق وأحقِّها بذوي الألباب؛ لما فيه من سلامة العرض، وراحة الجسد، واجتلاب الحمد»[١].

ويكفي الحلم فضلاً وشرفًا أن الله سبحانه وتعالى تسمَّى به، فسمّى نفسه الحليم. قال **رجاء بن أبي سلمة**:

«الحلم أرفع من العقل، لأن الله تسمى به»[٢].

الحلم خصلة مكتسبة وليس عادة

روى **الخطيب** في تاريخ بغداد من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«إنَّما العِلم بِالتَّعَلُّم، وإنَّما الحِلم بِالتَّحلُّم، ومن يَتحرَّ الخير يُعطَه، ومن يَتوَقَّ الشَّر يُوقَه»[٣].

الحلم أعلى درجة من كظم الغيظ

قال الغزالي:

«الحلم أفضل من كظم الغيظ؛ لأنّ كظم الغيظ عبارة عن التَّحلُّم أي تكلُّف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعوَّد ذلك صار ذلك اعتيادًا فلا يهيِّجه الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب، وهذا هو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه، وانكسار قوَّة الغضب وخضوعها للعقل، ويكون ابتداؤه التَّحلُّم وكظم الغيظ تكلُّفًا، ويعتاد ذلك حتى يصير خلقًا مكتسبًا»[٤].

الحلم وقاية من الزلل

قال **معاوية** رضي الله عنه لرجلٍ شَهِدَ عنده بشهادةٍ: كذبتَ.

فقال الأعرابي: إن الكاذب لَلْمُتَزَمِّلُ في ثيابك!

فقال **معاوية**:

«هذا جزاء من يَعْجَل»[٥].

(١) أدب الدنيا والدين ١/ ٢٥٢.
(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٤٣٨.
(٣) صحيح: الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٤٢.
(٤) إحياء علوم الدين ٣/ ١٧٦ بتصرف.
(٥) روضة العقلاء ص ٢٩٠.

ما عرف ربه الحليم مَن سفه مع السفهاء، وخاض مع الأشقياء بالخبيث وسيئ الكلام.



وقال **الأوزاعي**:

«كان **عمر بن عبد العزيز** إذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه ثلاثًا، ثم عاقبه؛ كراهيةَ أن يعجل في أول غضبه»[١].

الحلم يكثِّر أنصارك على من سفه عليك

قال **علي** رضي الله عنه:

«حِلمُك على السَّفيه يكثِّر أنصارك عليه»[٢].

والمعنى:

أنَّ الإنسان قد يبتلى بسفيهٍ يرمي كلامًا يجرح، أو يتصرَّف تصرُّفًا يؤذي، فإن قابله الإنسان بسفهٍ، فقد نزل إلى مستواه، وإن سكت عنه وأعرض، تولَّى الناس الدفاع عنه والانتصار له.

ولذا قال **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه:

«أول عِوَض الحليم من حَلِمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل»[٣].

الحلم ينزع فتيل الانفجار

قال **معاوية بن أبي سفيان** رضي الله عنه:

«يا بني أمية، قارِعوا قريشًا بالحِلْم، فوالله إن كنت لألقى الرجل في الجاهلية يوسِعُني شتمًا، وأوسِعُه حلمًا، فأرجع وهو لي صديق أستنجده فيُنجدُني، وأثيره فيثور معي، وما دفع الحلم عن شريف شرفه، ولا زاده إلا كرمًا»[٤].

٣- حب رب العالمين

وكيف لا!

وقد تواتر حلمه على عباده العصاة، فكيف بالطائعين؛ ولذا كان **الحسن** كثيرًا ما يردِّد:

«اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك»[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٣.
(٢) العقد الفريد ٢/ ١٣٨.
(٣) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٤٣٨.
(٤) موسوعة ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩، ٤٠.
(٥) الزهد لأحمد ١/ ٢١٢.

عرف ربه الحليم مَن أحبه لتتابع حلمه عليه، وعدم معاجلته له بالعقوبة عند مخالفة أمره.



رابعًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

يا حليمًا ذا أناة..

احلم على المذنبين، وتجاوز عن المسرفين، ولا تعاجل بعقوبتك عبادك الخاطئين.

يا حليمًا ذا أناة..

حلمك على الظالمين كاد يفتن المستضعفين، فعجِّل بالفرَج يا رب العالمين.

يا حليمًا ذا أناة..

ارزقنا الحلم عند المقدرة، وارزقنا العفو عند القوة.

يا حليمًا ذا أناة..

ارزقنا الحلم على من أساء في حقنا وأذنب، واعتدى علينا وأَغْضَب.

خامسًا: حاسِبْ نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) – مقتصد (أحيانًا) – ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تحلم على غيرك عند إساءته؛ رجاء أن يحلم الله عليك عند إساءاتك؟			
٢	هل تتذكر عند دعائك حلم الحليم عليك؛ فتزداد له حبًّا، وبه تعلقًا؟			
٣	هل تثق في حكمة الله في حلمه على المجرمين، وترى هوانهم عليهم بإمهالهم واستدراجهم؟			
٤	هل حلمك على المسيء عن قوة وتمكن، أم عن ضعف وعجز؟			

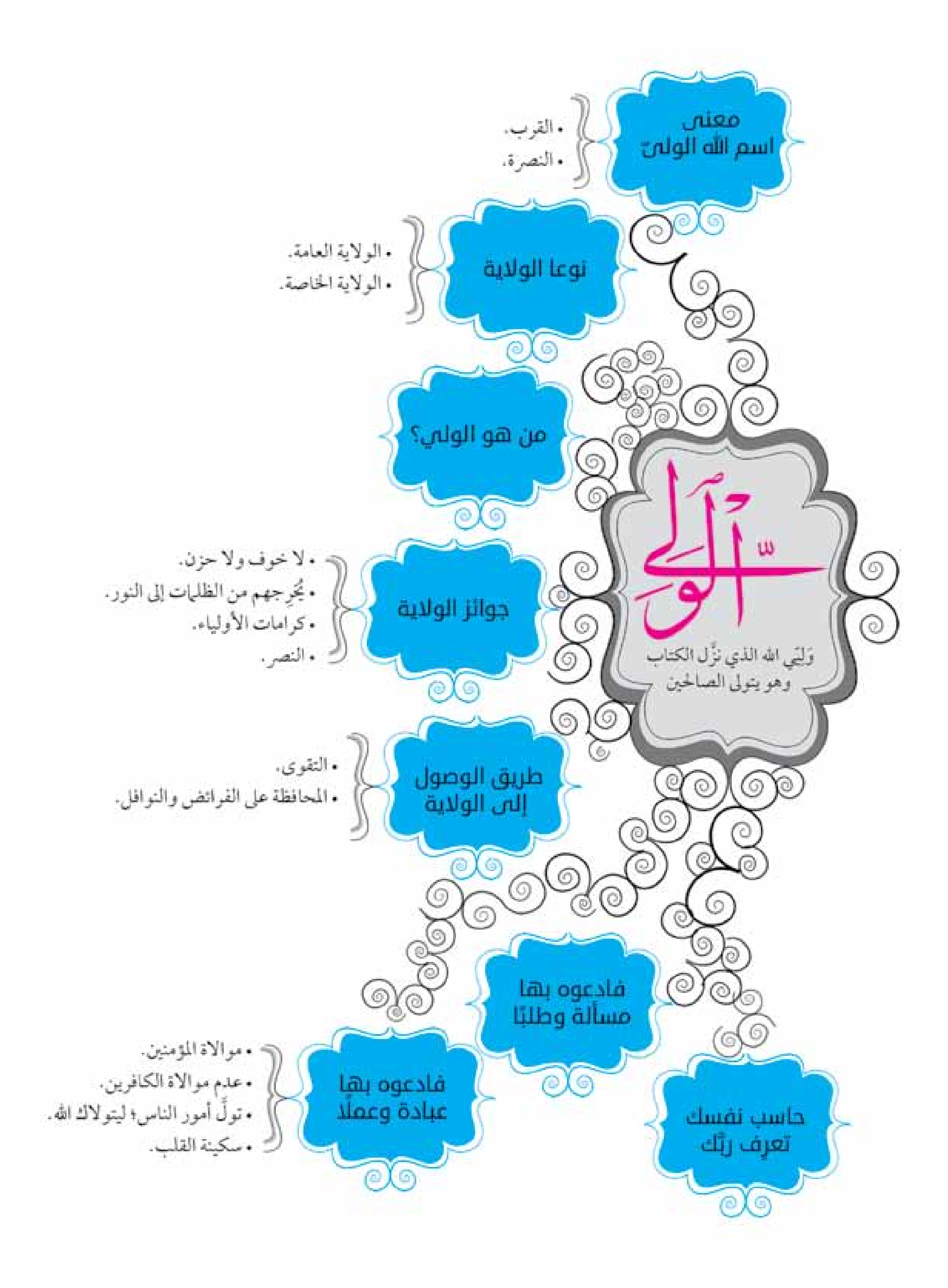
ما عرف ربه الحليم مَن لم يعرف حلمه عليه، ولم يشكر له عدم معاجلته بعقوبته على الذنب.



الله هو الوليُّ، فما تظن أنه فاعلٌ بك؟!
وإذا لم يتولَّ أمرك فكيف تكون حالتك؟!



الولي
وكفى بالله وليا



الوَلِيّ
وَلِيّيَ الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين
معنى اسم الله الوليّ
• القرب.
• النصرة.
نوعا الولاية
• الولاية العامة.
• الولاية الخاصة.
من هو الولي؟
جوائز الولاية
• لا خوف ولا حزن.
• يُخرِجهم من الظلمات إلى النور.
• كرامات الأولياء.
• النصر.
طريق الوصول إلى الولاية
• التقوى.
• المحافظة على الفرائض والنوافل.
فادعوه بها مسألة وطلبًا
فادعوه بها عبادة وعملًا
• موالاة المؤمنين.
• عدم موالاة الكافرين.
• تولَّ أمور الناس؛ ليتولاك الله.
• سكينة القلب.
حاسب نفسك تعرف ربّك



جاء ذكر اسم الله **الوَلِي** في القرآن خمس عشرة مرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ [النساء: ٤٥]، وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقوله عز وجل: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ [الشورى: ٩].

أولاً: معنى اسم الله الولي

معناه في اللغة:

«**الوَلي**: القرب والدنو، يقال: تباعد بعد ولي.

(وكُل مما يَليك) أي: مما يقاربك.

و**الوَلي**: ضد العدو، والموالاة ضد المعاداة، يقال فيه: تولَّاه.

(والمَوْلى): المُعتِقُ والمُعتَقُ، وابن العم، والناصر، والجار، والصديق، والتابع، والمحب، والحليف، والشريك، وابن الأخت.

و**الوَلي**: المولى.

و**الوَلي**: الصِهر، وكل من وَلِيَ أمر أحد، فهو وَليُّه.

والولاية بالكسر: السلطان، والوَلاية والوِلاية: النُّصرة»[1].

وعرَّف العلماء اسم الولي، فقال **الخطابي**:

«والولي أيضًا المتولِّي للأمر والقائم به، كولي اليتيم، وولي المرأة في عقد النكاح عليها، وأصله من الوَلْي، وهو القُرْبُ»[2].

فالولاية هي النصرة، وهي رعاية المصالح، وهي القرب في المكان أو النسب أو المنزلة؛ ولذا تلحظ أن كلمة «مولى» تُطلَق مرة على السيد، وتطلق مرة على الخادم.

ولذا يقول **البحتري**:

مولاك يا مولاي طالب لوعة ... فـي يومه وصبابةٍ فـي أمسه

(١) انظر الصحاح ٦/ ٢٥٢٨، واللسان ٦/ ٤٩٢٠ - ٤٩٢٦.
(٢) شأن الدعاء ص ٧٨.

عرف ربه الولي مَن والى المؤمنين، وأحب الصالحين، وفتح قلبه للمتقين.

أي عبدك يا سيدي يطلب منك معاونته، فإذا كان العبد في حاجة لشيء، فمن أقرب الناس إليه وأول من سيلبي طلبه؟! إنه سيده.

وإذا استغاث السيد بمن حوله، فمن أول من سيستجيب له؟!

إنه خادمه.

فكلمة المولى.. تُطلق على السيد، وعلى العبد؛ لقرب كل منهما من الآخر.

قال الزجاجي:

«الولي في كلام العرب على ضروب عشرة، مخرجها كلها من قولهم: هذا الشيء يلي الشيء، وأوليتُ الشيء الشيء: إذا جعلتُه يليه لا حاجز بينهما»[1].

وأنت لا تقرِّب أحدًا منك إلا إن وثقتَ به، ورأيته الأقرب لنفسك وقلبك، ولا يكون الأقرب إلى نفسك وقلبك إلا إن رأيت منه حرصًا عليك، ونفعًا فوق ما لديك، وقوةً فوق قوتك، وعلمًا فوق علمك، ومعلومٌ أن الولي يفعل لمولاه الأصلح له والأحسن.

في علاقاتنا اليومية وواقعنا الحياتي نعرف أثر الولي جيدًا، الوليِّ من البَشر، فلا يخاف الطفل في مدرسته إذا احتمى بوليِّ أمره، وأما الطفل اليتيم فمنكسِر؛ ولا سند له ولا ظهير، فمن ليس له وليٌّ مسكين مكروب.

والعروس يوم زفافها وأثناء العقد، يقف بجوارها وليُّها، ومن ليس لها وليٌّ تتألم غاية الألم ليلة زفافها، وتشعر أنها وحيدة يوم فرحها.

غاب وليُّ البشَر، فشعرتَ بالألم والوحشة والحرمان، فكيف إذا غابت عنك رعاية وولاية الرب (الولي) سبحانه وتعالى؟!

الله هو **الوَلي**، فما تظن أنه فاعلٌ بك؟!

وإذا لم يتولَّ أمرك فكيف تكون حالتك؟!



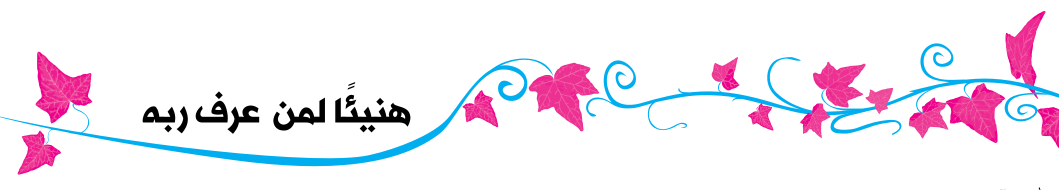
الأول: الولاية العامة

فالله يتولى بها شؤون جميع خلقه..

(١) اشتقاق الأسماء ص ١١٣.

ما عرف ربه الولي مَن عادى أولياء الله وآذاهم، فتعرَّض لسخط الله ومعاداتِه.





قال الله ﷻ:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

فهو وليُّ السماء وما فيها، والأرض وما فيها، وحافظٌ لكل شيء، وراعٍ لكل مخلوقاته، ومُدبِّرٌ لشئون هذا الكون..

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

تولى أمور خلقه، فأمَدَّهم بما يحتاجون، كما يُقال: قام فلان على كذا وكذا، فهو قائم على كل نفس بما كسبت أي يرزقها ويحفظها ويرعاها، والمعنى: أنه حافظ لا يغفل، وجواب العبارة محذوف، وتقديره: أفمن هو حافظ لا يغفل كمَنْ يغفل؟ أفمن قام على خلقه كمن لا يستطيع أن يقوم بأمر نفسه، فضلاً عن أمر غيره.

فالاستفهام إنكاري، فأيهما أحق بالعبادة والتوكل عليه واللجوء إليه:

من هو قائم على كل النفوس بما كسبت، فيعلم سرها وجهرها، ويجازيها على ما عملت من خير وشر؟!

أم تلك الآلهة والشركاء الذين لا يملك أحدهم أمر نفسه، فضلاً عن أن يتولى أمر غيره؟!

الثاني: الولاية الخاصة

وهي ولاية المحبة والتوفيق والنصرة، وهي بهذا المعنى خاصة بالمؤمنين المتقين، وهي التي تثمر في قلوب أولياء الله الطمأنينة والثقة في نصرته سبحانه وكفايته، كما قال:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

وهذا يثمر اليقين بذهاب الكفار وقطع دابرهم، فإنهم وإن انتصروا في حقبة من الزمان، فهم إلى زوال؛ لأن الولي لا يتولاهم.

وقد نهانا الله عن اتخاذ أي ولي غير الله:

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾

فالله وحده هو الذي يتولى أمور الخلق بالإصلاح أو بالنصر أو بالإعانة، فلا يُتوكل على غير الله، ولا يُصلِح الأمور إلا الله، ومن تولى غير الله فقد وكَل نفسه إلى العجز والضياع والخسران.

بين ولاية الله وولاية الناس

لا وجه للمقارنة بين ولاية الله وولاية البشَر، فأي إنسان قد يكون قريبًا منك بعض الوقت، لكنه لا

عرف ربه الولي مَن لم يوالِ الكافرين، ويناصِرهم على أبناء أمته.

يستطيع أن يكون بجوارك في كل الأوقات، فستمرٌّ عليك أوقات يغيب فيها عنك رغم شدة احتياجك إليه؛ إما لغياب أو انشغال أو مرض أو وفاة، أما ولاية الله لك فهي لا تنفكُّ عنك طرفة عين.

ولاية الإنسان تكون على عدد محدود ممن يتولاهم، فالأب وليُّ أسرته، والزوج وليٌّ زوجته، ومدير الشركة وليٌّ على العاملين بها، والمحافظ على سكان محافظته، والحاكم على شعبه، ولكن الوَلِي سبحانه يتولى أمر الخلائق جميعًا جملة واحدة وفي وقت واحد، فهو إن التفت إليك لم يلتفت عن غيرك، وإن رزَقَك لم ينشغل عن رزق الآخرين، فلا يشغله صوت عن صوت، ولا سؤال عن سؤال، سبحانه.. لا تختلف عليه اللغات، ولا تختلط عليه الأصوات.



ثالثًا: من وليُّ الله..

الولي له تعريفان:

أحدهما: هو الَّذي تتوالى طاعاته دون أن يتخلَّلها عصيان.

وهو قول **القشيري**:

«الوليُّ على وزن فعيل مبالغة من الفاعل، وهو من توالت طاعاته، من غير أن يتخللها عصيان»[1].

والثاني: من تولاه الله، فتولى حفظه وحراسته ورعايته ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ومن تولاه الله أنعم عليه برائع الخصال، ومن ضمنها ما قاله **القشيري** في تعريف جامعٍ مانعٍ للولي من المؤمنين:

«الوليُّ من لا يقصِّر فى حقِّ الحق، ولا يؤخِّر القيام بحقِّ الخلق، يطيع لا لخوفِ عقاب، ولا على ملاحظة حسن مآب، أو تطلُّعٍ لعاجل اقتراب، ويقضي لكلِّ أحد حقًّا يراه واجبًا، ولا يقتضي من أحد حقًّا له، ولا ينتقم، ولا ينتصف [لا يقتص بل يعفو مفوِّضًا أمره لله]، ولا يشمت، ولا يحقد، ولا يُقلِّد أحدا مِنَّة [لا يمُنُّ على أحد بإحسانه]، ولا يرى لنفسه ولا لما يعمله قَدْرًا ولا قيمة»[2].

إن وليَّ الله ليس -كما يصوِّره الجاهلون- هو الدرويش الأبله المنسحب من صخب الحياة إلى صومعته، وفاقد الإحساس، العاجز عن العمل، والخانع أمام الأعداء، وإنما هو المجاهد في بحار الحياة المتلاطمة، الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، ويأخذ بأيدي الخلق ناحية الحق بعيدًا عن أجواء الباطل.

(١) لطائف الإشارات ٢/ ١٠٥.
(٢) لطائف الإشارات ٢/ ١٠٥.

ما عرف ربه الولي من اتخذ من دون الله أولياء، فصار بهم أضعف الضعفاء.



ولقد أجاد الأستاذ **ماجد عرسان الكيلاني** رحمه الله في تعريفه الجامع للولي، وكيف أنه يشمل كل مناحي الحياة:

«والذين يُحسِنون هذه الولاية والرعاية -كلٌّ في ميدانه-، ويلتزمون في ولايتهم ورعايتهم -في ظل القيم والتوجيهات التي جاءت بها الرسالة الإسلامية- لشئون غيرهم أوامر الله توجيهاته حق الالتزام؛ دون أن تفتنهم المغريات هم أولياء الله.

وبذلك يكون ولي الله هو من يلتزم أوامر الله حق الالتزام في ميادين الاجتماع والسياسة، والإدارة والعسكرية والاقتصاد والتربية، والفكر والثقافة، والتوجيه والجهاد، والأمن، وغير ذلك.

وبهذا المعنى كان **أبو بكر وعمر بن الخطاب**، وليَّيْن لله في ميدان الحكم والسياسة.

وكان **خالد بن الوليد** ولي الله في ميدان العسكرية.

وكان **معاذ بن جبل** ولي الله في ميدان التربية والتعليم.

وكان **عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان** وليَّين لله في ميدان التجارة والأعمال.

وكان هناك ولي الله الزارع، وولي الله الصانع، وولي الله الشرطي، وولي الله الإداري، وهكذا ما دام الكل يعملون حسب أوامر الله نواهيه، ويتقونه حق تقاته»[1].

الله وليُّهما

وهنا نعرض لأثر اسم الله الولي مع قدوتين رائعتين: الأول: نبي، والثاني: ولي.

والنبي:

هو **يوسف** عليه السلام عندما ارتقى سُدَّة الحكم بعد حياة حافلة بتولي الله لأمره دعاه:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾

لم ينس **يوسف** شكر ربه الذي تولاه في جميع مراحل حياته، فقال عليه السلام:

«يا رب، قد توليْتَ أمري في ما مضى، وأنقذتني من البئر الذي أُلقيتُ فيها عند الصبا، وتوليتني عندما لقيتُ فتنة امرأة العزيز، وقد أرادت غوايتي وغلَّقت الأبواب، وتوليتني عند سجني الذي حُبِست فيه ظلمًا

(١) أهداف التربية الإسلامية ١/ ٣٤٢ - ماجد عرسان الكيلاني - ط دار القلم.

عرف ربه الولي مَن ولي أمر مسكين أو يتيم ليتولى الله أمره.

بلا أسباب، وتوليتني فرَدَدْتني إلى والدي بعد طول غياب، فأحسِن بي يا وليي وأنا على مشارف الآخرة؛ كما أحسنتَ لي يا وليي في كل ما مرَّ بي من دنياي».

لقد رأى **يوسف** كيف تولاه **الوَلِي** في كل الأوقات، فظلَّ متعلِّقًا بهذا الاسم العظيم حتى آخر لحظة له في دنياه، فما غاب عنه حتى عند احتضاره وموته، ولقد رأى أن الله تولاه في الدنيا، فطمع في الولاية الأعظم: ولاية الآخرة، وذلك بأن يُدخِله الله الجنة؛ ليلحق فيها بركب الصالحين.

والولي:

عمر بن عبد العزيز، واسمع تجربته مع اسم الله الولي، فما تمنى من وليِّه شيئًا إلا وأعطاه إياه، حتى طمع في الجائزة الكبرى والنعمة العظمى: الجنة. قال **دكُين الراجز**:

«أتيتُ **عمر بن عبد العزيز** بعد ما استُخلِف أستنجِزُ منه وعدًا كان وعدنيه وهو والي المدينة، فقال لي: يا دُكَيْن، إنَّ لي نفسًا توّاقة، لم تزَلْ تتوق إلى الإمارة، فلما نِلْتُها تاقَتَ إلى الخلافة، فلما نِلْتُها تاقَت إلى الجنة»[1].

وظل هذا الاسم عالقًا في ذهنه حتى احتضاره، فلما كان احتضاره دخل عليه **مسلمة بن عبد الملك**، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أفقرتَ أفواه ولدِك من هذا المال، وتركتهم عيلة لا شيء لهم، فلو وصَّيت بهم إليَّ وإلى نظرائي من أهل بيتك.

فقال عمر:

«..، وأما قولك: لو أوصيت بهم، فإن وصيّي ووليّي فيهم الله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين.. بَنِيَّ أحد الرجلين: إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجًا، وإما رجل مُكِبٌّ على المعاصي، فإني لم أكُنْ أقوّيه على معاصي الله»[2].

فكما تولاه الله، فسيتولى الصالحين من أبنائه، وما هذا إلا عن سابق تجربته التي جرَّبها في حياته، فاطمأن أن ولاية الله لأبنائه خير من ولايته لهم، فوكلهم إلى ربه.



١- لا خوف ولا حزن

ماذا يُعطيك الله إذا تولى أمرك؟!

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٣٣٤.
(٢) صفة الصفوة ٣٧٠، ٣٧١ بتصرف يسير.

ما عرف ربه الولي مَن لم يتول أمر غيره من الضعفاء والفقراء.



قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، فليس هناك خوف في الدنيا ولا حزن في الآخرة.

أو لا خوف عليهم في الآخرة، ولا هم يحزنون عند الموت.

أو لا يخافون على ذريتهم فإن الله تعالى يتولاهم، ولا هم يحزنون على دنياهم؛ لأن الله تعالى يعوِّضهم عنها.

٢- يُخرِجهم من الظلمات إلى النور

أهم فوائد الولاية الربانية للعبد: هدايته وإخراجه من الظلمات إلى النور.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

والظلمات جمع، والنور مفرد؛ لأن الحق لا يتعدد، أما الباطل فتتعدَّد سبله، ومن هنا خط النبي ﷺ خطًّا مستقيمًا للصراط المستقيم، وخطَّ حوله خطوطًا من حواليه هي سبُل الشيطان:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وضرب الله ثلاثة نماذج للانتقال من الظلمات إلى النور: قصة **إبراهيم** مع **النمروذ**، وقصة **عُزَير** مع حماره وطعامه، وقصة **إبراهيم** مع إحياء الموتى عن طريق الطير، وهي كلها نماذج عملية لإخراج العباد من الظلمات إلى النور.

و**الوَلِي** يتولى المؤمنين، فالولاية الخاصة مفتاحها بيد العبد ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾، فكل من لم يتَّق الله فقد حرم نفسه ولاية ربه.

٣- كرامات الأولياء

ما هي الكرامة؟

كثير من الناس يظنون الولي هو من يمتلك قدرات خارقة تخرِق العادت، ومن غير هذا لا ينال شرَف الولاية، وهذا غير صحيح.

إليكم هذه النقاط التوضيحية:

- مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء بشرائطها، وأنها واقعة موجودة مستمرة في جميع العصور.

شرط الكرامة أن يكون صاحبها موافقًا للكتاب والسُّنَّة، فيُنظَر إلى عبادته والتزامه بالشرع، فإن وُجِد صالحًا، وإلا كان دجالاً.

- خلط الناس بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان من السحرة والدجالين والمشعوذين وأرباب الطرق

من عرف ربه الولي من لم يخف من المستقبل ولم يحزن على الماضي.

الصوفية المنحرفة، فهؤلاء تحصل لهم خوراق العادات، ويستخدمون الجن في مثل هذا.

- لا يجوز أن يكون مقصود العبد بالعبادة تحصيل الكرامة، بل عبادة الله لطلب مرضاته وثوابه، وخوفًا من عقابه، والكرامات قد تأتي تبعا لذلك، وقد لا تأتي.
- قد تحصل الكرامة للمفضول ولا تحصل للفاضل.
- تحصل الكرامة لفريقين:

الأول: من بلغ في التصفية والعبادة والمجاهدة درجة عالية، فتكون الكرامة بمثابة الجائزة أو الهدية والعطية للعبد الصالح.

والثاني: من كان إيمانه مزعزعًا يوشِك أن ينهار، فتأتيه الكرامة تأييدًا وتشجيعًا.

- أعظم الكرامة ليس في ظهور خوارق العادات الحسية، بل في الكرامة الإيمانية بلزوم الاستقامة.

٤- النصر

إن تولى الله أمرك فأنت منصور لا محالة:

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:١٥٠].

وقوله عز وجل:

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾.

خامسًا: طريق الوصول إلى الولاية

١- التقوى

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]

أسهل وأجمل تعريف للتقوى هو أن يجدك حيث أمرك، ويفتقدك حيث نهاك، وللتقوى تمام، كما قال **أبو الدرداء** رضي الله عنه:

«تمام التّقوى أن يتّقي اللهَ العبد حتى يتّقيَه من مثقال ذرَّة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا، يكون حجابًا بينه وبين الحرام»[١].

(١) الدر المنثور للسيوطي ١/ ٦١.







فالأتمُّ تقوى هو الأحسن عملاً، وإحسانه وتمام تقواه بأن يجتنِب المكروهات بعد المحرَّمات، ويحافظ على المُستَحبّات بعد الواجبات.

ومن جميل ما قاله **الجيلاني** في حقيقتها:

«حقيقة التقوى أنك لو جمعتَ ما في قلبك، وتركتَه في طبق مكشوف، وطُفْتَ به في السوق لم يكن فيه شيءٌ يُستَحى منه»(١).

٢- المحافظة على الفرائض والنوافل

ففي حديث الولاية:

«من عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما أفترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه».

ومن سادة الأولياء: كل من علم علما فعمِل به؛ كما رآهم **الشافعي**، فقال:

«إن لم يكن الفقهاءُ العاملون أولياء الله، فما لله وليٌّ»(٢).



سادسًا: فادعوه بها عبادة وعملاً

١- موالاة المؤمنين

من أراد أن يعلم هل هُوَ مِن أولياء الله، فلينظر كيف ولاؤه لمن والاه، وعداوته لمن عاداه، والموالاة هي القرب والنصرة ورعاية المصالح.

روى **البخاري** من حديث **عمرو بن العاص**:

«إِن آل أبي ليسوا بأوليائي، إنما ولِيِّيَ الله وصالحُ المؤمنين، ولكن لهم رَحِمٌ أَبُلُّها بِبلالها»(٣).

قال **ابن بطال**:

«أبلُّها بمعْروفها، والبَلُّ هو الترطيب والتندية بالمعروف، وشبَّه صلة الرحم بالمعروف بالشيء اليابس يُنَدّى فيرطَّب، وذلك أن العرب تصف الرجل إذا وصفته باللؤم بجمود الكف، وإنه لحجر صلد يعني: أنه

(١) الفيض الرباني ص ٢٢٨.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٣.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم وأحمد كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٧٦٤.

عرف ربه الولي من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله.

لا يُطمَع في معروفه، كما لا يُرجى من الحجر الصلد ما يشرب، فإذا وصل الرجل رحمه بمعروفه، قالوا: بَلَّ رَحِمَه بَلا وبِلالا»[1].

وهذا الكلام يفيد أن القريب له حق الصلة ولو كان كافرًا، لكن ليس له حق الولاية من المحبة والنصرة، فلا يُوالَى ولا يُناصَر لما هو عليه من الباطل، فالمؤمن يوالي المؤمنين، ويحمل همَّهم، ويتألم لألمهم، ويسعد لسعادتهم، ويدفع عنهم، وأما أقرباؤه إن كانوا غير مسلمين، فلهم عليه حقٌّ واجب يؤديه.

وهذا موقف متوازن معتدل، تؤدَّى فيه الحقوق لغير المسلمين، أما قلبك فمع المؤمنين والصادقين والمحبين لله ورسوله.

الولاء للمؤمنين واجب ولو كانوا من غير أرضك ولا جنسك ولا لغتك، فالإيمان عليه معقد الولاء والبراء، وليس الوطن ولا الجنس ولا اللغة، وكل من أراد من الوَلي أن يواليه، فليوالي من أحب الله ويدنيه.

٢- عدم موالاة الكافرين

ومن والى الله؛ كيف يوالي أعداءه؟!

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

أي لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء تنصرونهم وينصرونكم، وتؤاخونهم وتعاشرونهم، بل وتعينونهم على إخوانكم، ثم علَّل النهي بقوله ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾، فكل هؤلاء أعداءٌ للمؤمنين، ولا فارق بينهم، وفيه دليل على أن الكفر ملة واحدة، ثم هدَّد الله من خالف هذا الأمر:

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾

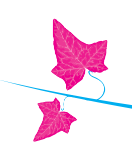
وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب عدم موالاة أعداء الدين مطلقًا.

والأولياء هم الأنصار، والاتخاذ هنا يفيد معنى التعمد والمثابرة، وفيه مكاشفتهم بالأسرار الخاصة بمصلحة الدين وأحوال المسلمين، وقوله: ﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قيد في هذا الاتخاذ، أي لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء وأنصارًا في شيء تُقدَّم فيه مصلحتهم على مصلحة المؤمنين، وذلك كما فعل **حاطب بن أبي بلتعة** في فتح مكة؛ لأن فيه إعانة للكافرين على المسلمين، وخيانة للمؤمنين.

وقد تأول المفسرون قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ بأحد تأويلين:

الأول: بحمل الولاية على الولاية الكاملة التي فيها الرضا بدينهم والطعن في دين الإسلام، فمن تولاهم

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢٨/ ٢٨٢ - ابن الملقن الشافعي المصري - دار النوادر، دمشق - سوريا.



في هذه الحال فهو منهم في الكفر والخلود في النار.

والثاني: أن يتولاهم بأفعاله من المساعدة والعون دون أن يعتقد معتقدهم، ولا أن يخِلَّ بمقتضيات الإيمان، فهو مشارك لهم في المقت والذم الواقع عليهم.

وأما ما عدا ذلك كالتجارة والمعاملات الدنيوية، فلا تدخل في ذلك النفي؛ لأنه ليس فيها محادة لله ورسوله، ثم قال ربنا بعدها:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾.

وجملة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ إلى آخرها متصلة بجملة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [المائدة: ٥١]، فموقعها موقع التعليل لهذا النهي؛ لأن ولاية المؤمنين لله ورسوله ثابتة، ومن كان الله وليُّه لا يكون أعداء الله أولياءه، وتفيد الجملة تأكيد النهي عن موالاة اليهود والنصارى.

وانظروا ماذا فعل **عمر بن الخطاب** حين شعر أن النصارى يحتكرون مهنة من المهن دون المسلمين؟!

عن **أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه قال:

قلت **لعمر** رضي الله عنه: إن لي كاتبًا نصرانيًّا.

قال: مالكَ؟ قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [المائدة: ٥١] ألا اتَّخذت حنيفًا؟!

قلتُ: يا أمير المؤمنين، لِي كتابته وله دينه.

قال:

«لا أكرمهم إذ أهانَهم الله، ولا أُعزُّهم إذ أذلَّهم الله، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله»[1].

ورُوِي أن **أبا موسى** قال: (لا قوام للبصرة إلا به)، فقال له **عمر**: مات النصراني والسلام.

يعني: هب أنه قد مات، فما كنت صانعًا حينئذ، فاصنعه الساعة، واستغن عنه بغيره من المسلمين.

٣- تولَّ أمور الناس ليتولى الله أمرك

أخي..

تولَّ أمر أرملة أو فقير أو يتيم أو مسكين، وخاطب ربَّك بلسان الحال: قد وليتُ أمر هؤلاء، فتولَّ أنت أمري يا وليَّ الأولياء.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٨٤، ٨٥.

إن الوَلي مصلحٌ في الأرض وليس راهبا في صومعة، بل صومعته بين الناس، ومحرابه ساحة المجتمع، وصيده قلوب الغافلين، وهي أمانة ثقيلة على كل مسلم، علِم ما لم يعلم غيره، ورزقه الله ما لم يرزق به غيره..

فماذا لو كنت مكلَّفًا بولاية بعض المسلمين؟! مثل المدير أو المحافظ أو الحاكم المسلم.

قال النبي ﷺ:

«ما من أميرٍ يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة»[1].

وهي عقوبة شديدة أن يحرم الله هذا الأمير من دخول الجنة؛ لأنه لم يتولَّ أمر المسلمين كما ينبغي له، وكما يفرض عليه الواجب.

٤- سكينة القلب

تخيَّل أن الله هو ولي أمرك، فكيف يكون حالك؟!

من قام بحقِّ الله تولّى الله أمره على وجه الكفاية، فلا يُحوِجه إلى أحد من الناس، ولا يدع شيئًا من أحواله إلا أجراه له على ما يتمناه، فاطمئن لرعاية الوَلي لك.

سابعًا: فادعوه بها مسألة وطلبًا

«يا وليَّ الإسلام وأهله.. مسِّكْني الإسلام حتى ألقاك عليه».

اللهم فاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ.. أنت وليِّي في الدنيا والآخِرَة، توفَّني مسلمًا، وألحِقني بالصَّالحين.

أسألك باسمك الولي..

اجعلني سِلمًا لأوليائك، وحربًا على أعدائك، أحب بِحُبِّك من أحبك، وأعادي بعداوتك من عاداك.

أسألك باسمك الولي..

تولَّ أمري، ولا تتخلَّ عني.

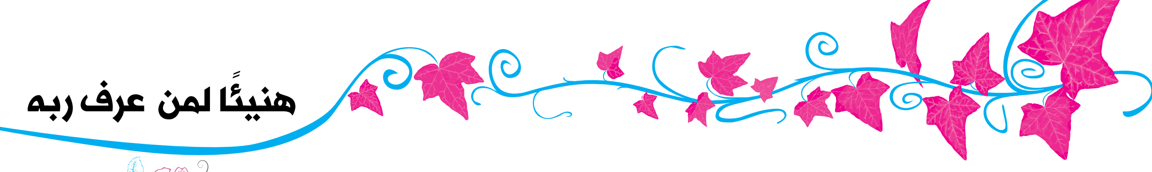
أسألك باسمك الولي..

اجعل ولائي وولايتي للمؤمنين، واجعل عداوتي للظالمين والمعتدين.

(١) صحيح: رواه مسلم عن معقل بن يسار كما في صحيح الجامع رقم: ٥٦٩٧.

ما عرف ربه الولي من اضطرب قلبه عند الشِّدة واهتز عند المحنة.







ثامنًا: حاسِبْ نفسك تعرِف ربَّك

	سابق بالخيرات (دائمًا) - مقتصد (أحيانًا) - ظالم لنفسه (نادرًا)	دائمًا	أحيانًا	نادرًا
١	هل تحرص على أن تكون من أهل ولايته بالقرب منه بالفرائض والانتظام في النوافل؟			
٢	هل توالي من والى الله، وتعادي من عاداه؟			
٣	هل تحرص على بسط ولايتك للمؤمنين بالأقوال والأفعال والأحوال؟			
٤	هل تراجع نفسك في تقواك، وتحاسبها على ما فرط منها؛ كي لا تنزع ولاية الله عن نفسك؟			
٥	هل توالي الله في العلن، وتعاديه في السِّر؟			
٦	هل تستحضر معنى أن تكون وليًّا لله في مجال عملك وساحة جامعتك بأن تراقب الله في كل أعمالك وأحوالك وتتقيه؟			

عرف ربه الولي من سكن قلبه إلى ولايته واطمأن لكفايته.

فهرس الكتاب



الفهرس



فهرس الكتاب

تم بحمد الله